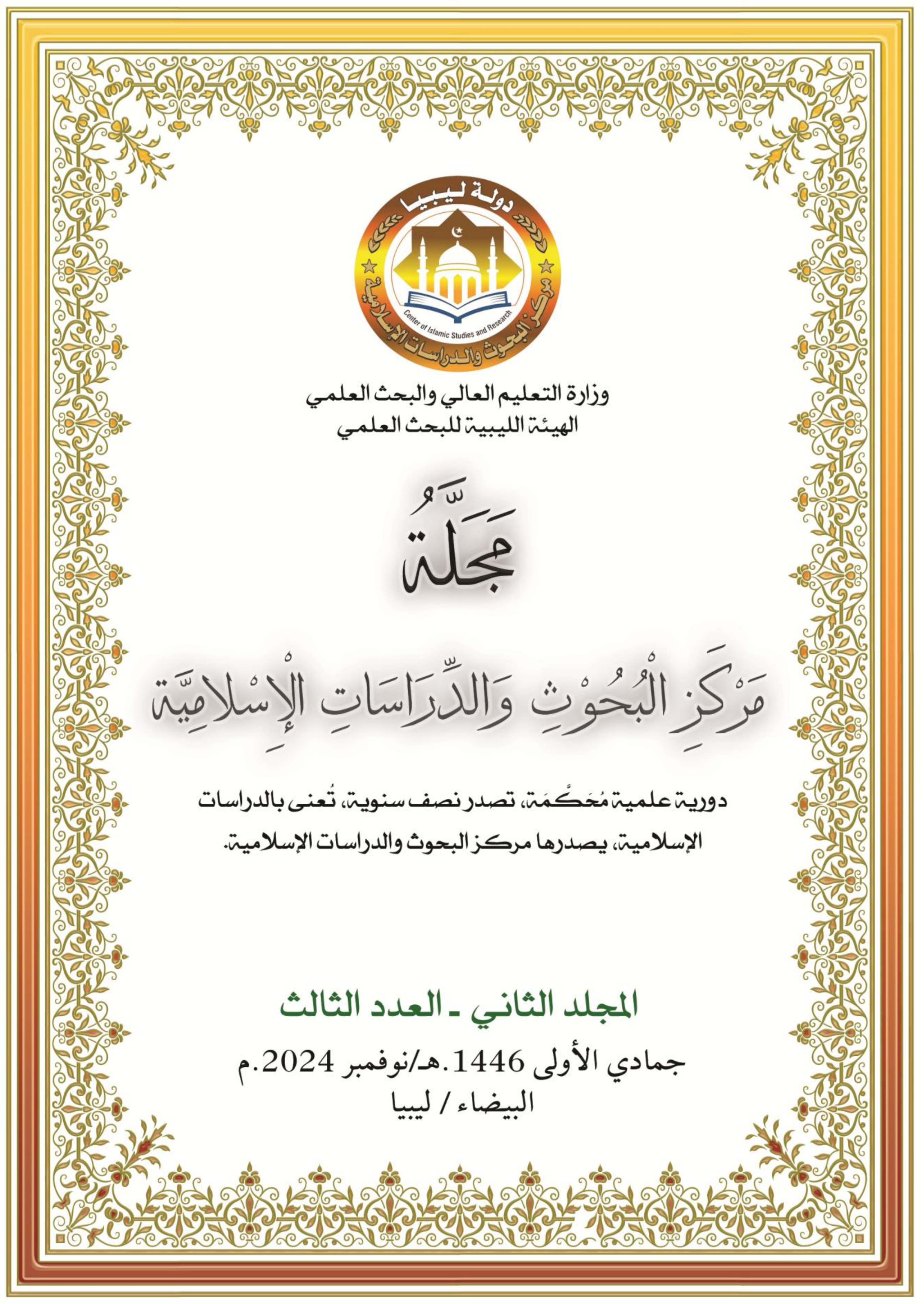


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الهيئة الليبية للبحث العلمي

مَجَلَّةُ

مَرْكَزِ الْبُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

دورية علمية مُحَكَّمَة، تصدر نصف سنوية، تُعنى بالدراسات الإسلامية، يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

المجلد الثاني ـ العدد الثالث

جمادي الأولى 1446.هـ/نوفمبر 2024.م

البيضاء / ليبيا


بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية



السنة الثانية	العدد الثالث	نوفمبر 2024م

محتويات العدد

الموضوع **الصفحة**



مركز البحوث و الدراسات الإسلامية

مجلة مركز البحوث الدراسات الإسلامية

دورية علمية محكّمة، تصدر نصف سنوية، تأسست بتاريخ 12 ذو القعدة 1444.هـ/1 يونيو 2023.م بموجب رقم إيداع في دار الكتب الوطنية ـ بنغازي: 2023/68.م

رئيس تحرير المجلة

أ.د / عادل سالم محمد الصغير

أعضاء هيئة التحرير

الاسم	الدولة	الصفة
1. د . عبد ربه يوسف بو بـــــريق	ليبيا	عضواً و مدير التحرير
2. د . إبراهيم سعد بو الفحلـــة	ليبيا	عضواً
3. د . علي عبد العاطي محمـــد	ليبيا	عضواً
4. د . سليمان عبد الله الهنيـــد	ليبيا	عضواً
5. د . صالح سعد صالـــح	ليبيا	عضواً
6. د . حليمة أحمد محمـــد	ليبيا	عضواً
7. د . محمد سليمـــان آدم	ليبيا	عضواً
8. د . فتح الله عبد النبي ضيـــف	ليبيا	عضواً
9. د . سعيد مفتاح حمـــد	ليبيا	عضواً

اللجنة الاستشارية

الاسم	الدولة	الصفة
1. أ . د . عمر خليفة بن إدريـــس	ليبيا	رئيساً
2. أ . د . شعبان عوض محمـــد	ليبيا	عضواً
3. أ . د . محمد حسين المرتضـــي	ليبيا	عضواً
4. أ . د . أحمد علي أحمـــد	مصر	عضواً
5. أ . د . هيثم عبد الحميد علـــي	الأردن	عضواً
6. أ . د . صالح صـــالحـــي	البحرين	عضواً
7. أ . د . محمد قـــــراط	المغرب	عضواً
8. أ . د . محمد عبد الرحيم سلطان	الإمارات	عضواً

م. جمال عبد السميع عبد الرازق
سكرتير المجلة

أ . احسين حمد احسين الفقيه
المخرج الفني للمجلة

د. شعيب إدريس الصَادق
المراجع اللغوي

تصدر بصيغة إلكترونية



أعداد المجلة متوفرة للقراءة على موقع:

www.archive.org



مفتوحة المصدر



شروط وضوابط الكتابة والنشر

تستقبل مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية العلمية المحكَّمة البيضاء البحوث والدراسات الموثَّقة للباحثين، مع مراعاة وضع البحث في قالب المجلة، ويشترط في البحوث التي تقدم للنشر الآتي:

1. تقديم الباحث طلب نشر بحثه (وفق النموذج المعد) على أن يكون البحث المقدم أصيلًا، متسمًا بالأصالة والابتكار والمنهجية العلمية، وسلامة الاتجاه، وصحة اللغة، خاليًا من الموضوعات التي تمس المقدسات الإسلامية والعصبيات الفئوية والطائفية.
2. التزام البحث بالأصول العلمية في العرض والتوثيق والاقتباس، والرسوم التوضيحية، والجداول والنماذج.
3. ألّا يقل عدد صفحات البحث على خمس عشرة صفحة ولا يزيد على أربعين صفحة.
4. أنْ تكون البحوث المقدمة إلى المجلة باللغة العربية أو الإنجليزية، ويجوز نشر البحوث بأية لغة تقبلها هيأة التحرير، وفي جميع الأحوال يجب أن يكون ملخص البحث باللغة العربية بالإضافة إلى لغة البحث إذا كتب بلغة أخرى، على ألا تتجاوز مائة وخمسين كلمة مع ذكر الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
5. إذا كان البحث عبارة عن ترجمة لبحث آخر يجب إعلام هيأة التحرير بما يفيد موافقة صاحب البحث الأصلي على ذلك أو من دار النشر (موافقة خطية).
6. أن يكون موضوع البحث ضمن مجالات المجلة وتخصصاتها.
7. أن يقدم الباحث إقرارًا بأن بحثه لم يُنشر ولم يقدم إلى جهات أخرى للنشر، ولن يُقدَّم إلى أي مجلة أخرى في حال قبوله للنشر (وفق النموذج المعد).
8. لهيأة التحرير حق الفحص الأوليّ للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم أو رفضه، ويكون ذلك من الناحية الشكلية للبحث (وفق النموذج المعد) (من الناحية الشكلية).
9. تخضع البحوث بعد مراجعتها من قبل هيأة التحرير للتحكيم العلمي من متخصصين، ويطلع الباحث على خلاصة تقارير المحكمين ليُصلح بحثه وفقها أو يبين رأيه فيما لا يؤخذ منها، وتحسم الهيأة الخلاف في ذلك.
10. يتحمل الباحث مسؤولية تصحيح بحثه وسلامته من الأخطاء الطباعية والإملائية، والنحوية، وأخطاء الترقيم والنشر، وإن أخلَّ الباحثُ بذلك فإن من حقِّ الهيأة رفض قبول البحث مبدئيًّا حتى للتحكيم.

11. عندما يقبل البحث للنشر تؤول حقوق النشر إلى المجلة ولا يحق للباحث أن يطلب عدم نشره بعد إرساله للمحكمين.
12. لا تلتزم المجلة بردّ البحوث التي لا تقبل للنشر.
13. الآراء في البحوث المقدمة للمجلة تعبر عن أفكار أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأى هيأة التحرير.
14. لا تقدم المجلة مكافآت مالية نظير البحوث التي تنشرها.
15. تُعطَى الأولوية في النشر لاعتبارات منها الأسبقية الزمنية والضرورات التنسيقية للموضوعات.
16. تُرَتَّب البحوثُ عند النشر في أعداد المجلة وفق الاعتبارات الفنية، وليس لأي اعتبارات أخرى أي دور في هذا الترتيب.
17. يتم إخطار الباحث بقبول النشر بخطاب موقع من رئيس هيأة التحرير مختوم بشعار محدد به الموعد ورقم العدد الذي سيُنشَر فيه البحث.

المكونات الرئيسة للبحث

منهجية البحث العلمي

1. ملخص الدراسة (باللغتين العربية والأجنبية) بحيث يجب أن يحتوي على الهدف العام للدراسة بالإضافة إلى العينة والأدوات المستخدمة.
2. المقدمة أو خلفية الدراسة.
3. مشكلة الدراسة وتحديد عناصرها وأسئلتها.
4. أهمية الدراسة وأهدافها.
5. الدراسات السابقة التي تفيد موضوع الدراسة وتساعد الباحث في مناقشة نتائجه، مع التزام الباحث بعرضها حسب التسلسل الزمني من الأقدم إلى الأحدث، أو العكس، كل منها في فقرة واحدة توضح الهدف الرئيس لها وعينتها وأدواتها وأهم نتائجها.
6. توضيح منهجية الدراسة المناسبة لطبيعة المشكلة البحثية، وتتضمن الإجراءات والبيانات الكمية أو النوعية التي مكنت الباحث من معالجة المشكلة البحثية.
7. تحديد مجتمع الدراسة وعينتها بشكل دقيق.
8. تحديد الأدوات المستخدمة في الدراسة وتوضيح خصائصها.
9. توضيح نتائج الدراسة بطريقة علمية.
10. مناقشة النتائج مناقشة علمية مبنية على الإطار النظري والدراسات السابقة، بحيث تعكس تفاعل الباحث مع موضوع الدراسة من خلال ما تم التوصل إليه من استنتاجات وتوصيات إلى تلك النتائج.

ضوابط كتابة البحث

1. يُطبع البحث بواسطة برنامج WORD على وجه واحد ورقة A4 ويرسل بنسخة ورقية ونسخة إلكترونية على قرص مضغوط CD.
2. يلي الملخصين: العربي والإنجليزي، الكلمات المفتاحية (Keywords) لا تزيد عن خمس كلمات (لم ترد في عنوان البحث) تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث.
3. تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (3) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
4. يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية (simplified Arabic) ويكون حجم الخط في المتن باللغة العربية بحجم (14) وللعناوين الرئيسية والجانبية (16) والهوامش بحجم (12)، و للبحوث الإنجليزية (Times Roman) بحجم (12) و الهوامش بحجم (10) والعناوين بحجم (14).
5. يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، أو الباحثين والمؤسسة التي ينتمي إليها باللغتين العربية والإنجليزية على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث ثم تتبع بصفحات البحث بدءًا بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعا بكامل البحث.
6. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته أو هوياتهم، وتستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثون) بدلًا من الاسم.
7. تكتب المراجع في قائمة منفصلة في نهاية البحث مرتبة هجائيًّا وفق إحدى الطرق العلمية المعتبرة مع ذكر كامل معلومات النشر المتعلقة بالمصادر والمراجع، ويكون العزو للمصدر أو المرجع في هامش الورقة مع ذكر بيانات النشر كاملةً لأول مرة ثم يُكتفى بذكر الكتاب والموضع في المرات التالية إلا في حالة تشابه أسماء المصادر والمراجع فيذكر اسم المؤلف للتمييز بين الكتابين.
8. يُعطى كلُّ جدول أو صورة أو شكل رقمًا تسلسليًّا وعنوانًا كاملًا يعبر عن مضمونه.
9. تحتفظ هيأة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على المادة المقدمة للنشر إن رأت ذلك ضروريًّا وبما يتلاءم مع أسلوب المجلة.
10. للمجلة حق الاحتفاظ بالبحث سواء قُبل للنشر أو لم يقبل.

معايير البحوث المقدمة لمجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية

- اختيار عنوان واضح وموجَز.
- الدقة والشمول في تناول جوانب الدراسة.
- وضوح إشكالية الدراسة.
- اختيار المنهج العلمي الذي يتوافق مع الدراسة.
- استخدام المنهجية العلمية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
- وفرة مصادر الدراسة التي تتسم بالأصالة والمعاصرة.
- الالتزام بالأمانة العلمية والموضوعية.

- تجري الدراسة أو البحث العلمي وفق الضوابط والمنهجية التي تتوافق مع رؤية ورسالة وأهداف مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
- الحصول على الموافقة اللازمة لاستخدام معلومات خاصة من الدوائر الرسمية وكتمان الأسرار المُطلع عليها.

توجه المراسلات بخصوص النشر إلى:

https://www.facebook.com/islamicresearch123456
+2180926368269
islamicresearchar@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة © لمجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية

جميع حقوق الطبع والترجمة والنشر الورقي والإلكتروني محفوظة للمجلة، وبموجب التسجيل الممنوح للمجلة؛ يحق لرئيس التحرير اتخاذ الإجراءات القانونية تجاه أي فرد أو مؤسسة أو موقع رقمي يعيد استخدام مواد المجلة أو أي جزء منها، دون الحصول على إذن خطي منه. وإن المجلة لا تتحمل أي مسؤولية قانونية عن الموضوعات التي يتم نشرها على صفحاتها. ويتحمل المؤلفين كافة المسؤولية عن المؤلفات التي تخالف القوانين وتنتهك حقوق الملكية الفكرية أو حقوق أي طرف آخر.

Copyrights © 2023 Journal of the Center for Islamic Research and Studies.

All rights of copyright, translation, and paper and electronic publishing are reserved to the magazine, and pursuant to the registration granted to the magazine; The editor-in-chief has the right to take legal action against any individual, institution, or digital site that reuses the magazine's materials or any part thereof, without obtaining written permission from the publisher. The magazine does not bear any legal responsibility for the topics that are published on its pages. The authors bear all responsibility for writings that violate laws and violate intellectual property rights or the rights of any third party.

الاستشراق السياسي وتغريب الفكر الإسلامي.

Political Orientalism and the Westernization of Islamic thought.

🖉اسم ولقب المؤلف: محمود عبد الرازق حسن محمود

الدرجة العلمية والوظيفة: محاضر. جامعة درنة، فرع القبة، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية.

البريد الإلكتروني: Mahmoud.mahmoud@uod.edu.ly

تاريخ استقبال البحث: 2024/08/29م، تاريخ القبول: 2024/09/23م

الملخص باللغة العربية:

حاولت هذه الدراسة تبيان الأثر السلبي الذي خلفه الاستشراق خصوصًا في جناحه السياسي، وما مدى تأثيره على المواطن العربي في غياب قاعدة دينية رصينة، كان للاستشراق دورًا مهمًا في زعزعتها ومحاولة القضاء عليها، وكما هو معلوم أن الاستشراق مَثَّلَ جناحًا فكريًا توغل كثيرًا في الدراسات الشرقية بصفة عامة، وفي الدراسات الإسلامية بصورة أكثر خصوصية، حاول من خلال هذا التوغل بث روح حضارته الغربية؛ لتحل محل الفكر الثقافي الإسلامي، وفق المنهج التاريخ الاستردادي والمنهج التحليلي الوصفي، قسمت هذه الدراسة إلى مبحثين هما: الأول الاستشراق، الجناح الفكري للغزو الغربي والثاني الاستشراق والخلافة، ودوره في التجزئة والإبعاد ونشر البديل، وكان من نتائجها أن الاستشراق قد وجد في الجانب السياسي وسيلة؛ ليحقق بها أهدافه، فقد نقد الفكر السياسي الإسلامي، لغرض تجزئته ووضع البديل محله.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق - الغزو الفكري - الخلافة - التجزئة - التشويه.

Research summary:



This study attempted to show the negative impact that Orientalism had, especially on its political wing, and the extent of its impact on the Arab citizen in the absence of a solid religious base, which Orientalism played an important role in destabilizing and trying to eliminate. As it is known, Orientalism represented an intellectual wing that penetrated greatly into Oriental studies in a way In general, and in Islamic studies in a more specific way, he tried through this incursion to infuse the spirit of his Western civilization to replace Islamic cultural thought, according to the retrospective historical approach and the descriptive analytical approach. This study was divided into two sections: The first was Orientalism, the intellectual wing of the Western invasion, and the second was Orientalism and the Caliphate, and its role in fragmentation, exclusion, and spreading the alternative. One of its results was that Orientalism found in the political aspect a means by which to achieve its goals. It criticized Islamic political thought for the purpose of fragmenting it and putting the alternative in its place.

Keywords :

Orientalism - Intellectual invasion - succession - fragmentation – distortion.

المقدمة:

كثيرًا ما استهوت الجوانب السياسية عددًا من المستشرقين، خصوصًا حقبة الغزو الأوروبي للعالم فترة الاحتلال، فقد أولى بعض المستشرقين اهتمامًا كبيرًا بالغزو الأوروبي، تمثل في تقديم معلومات عن الأمصار المراد احتلالها، تاركًا بذلك جملة من الآثار السياسية للفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مستخدمًا جملة من الوسائل منها تأجيج الجوانب العاطفية والفكرية بصور مشوهة عن طبيعة العلاقة بين العالم الإسلامي والأوروبي، و توظيف فكرة أن الإسلام لم يأتِ بجديد، بل جاء مشابهًا للمعتقدات اليهودية.

يمكن القول إن هذه الملامح تعد الأسلوب الذي استخدمه الاستشراق في التعامل مع التاريخ الإسلامي، وعرضه للغرب لغرض زرع صورة مشوهة عن الإسلام، بدافع محاربته

ومحاولة إيقاف مد الفتوحات الإسلامية الذي طال البلاد الأوروبية، فما كان له من وسيلة لردعه إلا القيام بهذه الحملة؛ لتساعده على مقاومة الفتوحات الإسلامية، وبما أن الدولة الإسلامية قائمة على نظام الخلافة، فطبيعة الحرب ستأخذ الطابع السياسي، وهذا النوع من الدراسات انشغل به الجناح السياسي من الظاهرة الاستشراقية، فركز دراساته على طبيعة النظام الفكري السياسي في الإسلام من دولة النبوة إلى دولة الخلافة، وصولًا لآخر مراحلها المتمثلة في الدولة العثمانية، ومن خلال دراسة الاستشراق لحال العرب قبل البعثة، علم جيدًا كيف كانت حياتهم قائمة على مجموعة من النعرات العرقية والعصبية التي ذوبها الإسلام، ولكن يأتي بعد ذلك الاستشراق؛ ليحاول إظهارها على السطح من جديد، محاولًا بذلك ضرب النسيج السياسي لدولة الخلافة الإسلامية وتقديم البديل، وهو ما سنناقشه خلال بحثنا هذا.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أن حاضر العالم الإسلامي يعاني اليوم تشظيا كبيرا جدًا بين عددًا من الجماعات الإسلامية التي ظهرت على الساحة، وأصبح المسلم تائهًا بين هذه الجماعات، التي يمكن القول إنها جسدت الإسلام في صور مختلفة على الرغم من أن مصدرها واحدًا، وجاء هذا الأمر نتيجة لما قدمه الاستشراق السياسي في فترات سابقة، كانت كفيلة بإظهار هذه الجماعات وصناعة الكراهية بينها؛ لأن الصراع في الأصل صراع سياسي قائم حول ولاية الأمر، وتطرح هذه الإشكالية جملة من التساؤلات نذكر منها:

هل استطاع الاستشراق السياسي تغيير الخارطة السياسية في نظام الدولة الإسلامي؟

هل ما قام به الاستشراق السياسي كان له دور في إسقاط النظام السياسي في الإسلام؟

هل قدم الاستشراق البديل ليحل محل النظام المسقط؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها قد تناولت الاستشراق السياسي مبينة الأثر العميق الذي تركه خلفه على الساحة السياسية الإسلامية، وكذلك كيف قدم الاستشراق نظام الخلاف الإسلامية للعالم الغربي.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة التي عالجت أثر الاستشراق السياسي على النظام السياسي في الإسلام، نذكر منها ما يلي:

1- مصطفى نصر المسلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1986م.

2- محمد ياسين عربي، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ط1، 1991م.

3- محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.

4- عبد الله يوسف سهر، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الإمارات العربية المتحدة للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2001م.

5- محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

6- علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015م.

7- مصطفى جابر العلواني، منطلقات الفكر السياسي الإسلامي في تنفيذ ادعاءات المستشرقين بشأن الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، مصر، العدد 157، 2015م

8- فخري صالح، كراهية الإسلام كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمين، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.

منهجية الدراسة:

استلزمت طبيعة الدراسة استخدام العديد من المناهج البحثية وهي : المنهج التحليلي الوصفي – المنهج التاريخي الاستردادي، والنقدي.

المبحث الأول:

الاستشراق، الجناح الفكري للغزو الغربي.

كما نعلم جميعا ولد الاستشراق وترعرع في البيئة الأوروبية بكافة أطوراها الفكرية والسياسية وغيرها، فقد نشأ في مجتمع سيطرت عليه فكرة الصراع ضد الإسلام، وكان هو أحد الأسلحة التي استخدمها الغرب في دعم صراعه ضد الحضارة الإسلامية، فقد "واصل الاستشراق دوره كسلاح علمي وفكري منذ بداية الإسلام، وحتى وقتنا الحاضر مرتبطًا بالحركات الاستعمارية الأوروبية، ووظيفة الاستشراق السياسية تقديم المعرفة بالأوضاع السياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية الخاصة بالبلاد الإسلامية للقائمين على الحركة الاستعمارية في البلاد الأوروبية المختلفة؛ لتسهيل عملية الاستعمار، وتيسير طرق التعامل مع أهل البلاد المستعمرة"[1] بذلك يبدو واضحًا في كون الاستشراق له عدد من الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها عبر مجموعة من الدوافع، كانت هي الوسائل لتحقيق هذه الأهداف، تمثلت هذه الأهداف في اتجاهين هما: البناء والهدم، أي أنه للاستشراق جانب يمكن أن نطلق عليه إيجابي، وهو جانب الدراسات الموضوعية، التي كانت غايتها الأساسية علمية صرف لا تشوبها نوازع داخلية ورؤى مسبقة، أما الجانب الآخر فهو الهدمي أو الدراسات الذاتية التي انطلقت من نوازع ذاتية، غايتها هدم أواصر هذه الحضارة، وهو ما يعرف بالجانب العنصري من الفكر الغربي، استخدم فيه الاستشراق عددا من الدوافع كان من بينها الدافع السياسي والاستعماري.

---

[1] - محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م، ص37.

يمكننا القول إن الاستشراق لم ينطلق وفق نظرية استعمارية أول أمره، إذ كان محكومًا بنوع من النوازع الدينية مختلطة ببعض الاتجاهات العلمية، حيث كانت الكنيسة هي البيئة الفكرية التي ترعرع فيها الاستشراق، ولكن بعد ذلك "اجتاح الفكر الاستعماري أوروبا، انطلاقًا من بعض النظريات العرقية التي قادها رينان وأضرابه، وتطلعت الدول الأوروبية إلى استعمار العالم الشرقي، احتاج هؤلاء إلى الكثير من المعلومات التي تساعدهم في تحقيق تطلعاتهم الاستعمارية، وقد وجدوا في المستشرقين قوالب جاهزة ذات علاقة قوية بالشرق، وعلى دراية كافية بالكثير من المعلومات التي تمهد لحركة الاستعمار، ومن هنا تم التلاحم بين الاستشراق والاستعمار، ودخل المستشرقون في مرحلة جديدة هي المرحلة الاستعمارية"[1]

اتخذ الاستعمار اطوارًا مرحلية متنوعة، كان من بين أهم وأخطر هذه المراحل على الحضارة العربية الإسلامية في الجوانب الفكرية والسياسية، المرحلة الممتدة بين القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث لم يتوقف خطر الاستعمار فقط بالسيطرة على مقدرات البلاد الاقتصادية ونهبها، وفرض الهيمنة الفكرية والسياسة، بل نجده قد "اتجه إلى إحداث التغيير في التفكير السياسي عند المسلمين وإجبارهم على تبني النظم السياسية الغربية، والتخلي عن النظم الإسلامية، وهذا بطبيعة الحال دور فكري، قام به الاستشراق السياسي الذي نقد النظم الإسلامية، ووصفها بالجمود والتخلف وعدم الصلاحية، وشرح النظم الغربية، وبين محاسنها وزينها في أنظار المسلمين، وحاول فرضها بالقوة في كثير من الأحوال، وأعد من بين المسلمين علماء تابعين للاستشراق، يروجون للنظريات السياسية الغربية، وينشرونها بين المسلمين"[2] في هذه الحقبة من الاستعمار جمع المستشرق بين دوره كمستشرق وعمله كمستعمر، حيث خلط بين دور الاستشراق في جانبه النظري وهو الجانب الفكري من دراسة وتمحيص، ثم تقديم الإنتاج في صور متعددة تخدم هذه التوجهات التي تنوعت بين الذاتية والموضوعية، والاستشراق في جانبه العملي الذي تمثل في إحدى صوره بالعمل الاستعماري.

---

[1] - محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط2، 2002م، ص ص 38،39.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 37،38.

نجد أن الكثير من الدارسين الذين اهتموا بالدراسات الاستشراقية، ربطوا بين ظهور الاستشراق، وبين هزيمة أوروبا في الحروب الصليبية، "لم يجد الغرب وسيلة مثلى لإحكام السيطرة على الشرق الذي هزمه في الحروب الصليبية إلا عن طريق دراسة هذا الشرق من كل النواحي لتطويقه، يقول مالك بن نبي إن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد توماس الأكويني، تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته،......، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية؛ ولتيسير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية، لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها"[1] فالحروب الصليبية التي استمرت فترة طويلة من الزمان، كان من أسبابها صورة الكراهية التي رسمها متعصبو المستشرقين في عقول الشعوب الغربية، حيث رسمت صورة عن الإسلام والمسلمين تبين مدى وحشيتهم، وبالتالي يعد قتالهم أمرًا واجبًا للدفاع والذود عن معتقداهم، وحفظهم من بعض الأفكار التي قد تنتقل إليهم، وتكون سببًا داخليًا في صناعة صورة من هذا المتوحش الشرقي داخل المجتمعات الأوروبية.

إذًا يعد الاستشراق عدوًا شرسًا وحاقدًا على الإسلام، وهو يشكل الخلفية الفكرية للرؤى الغربية تجاه الشرق، سواء حملت هذه الرؤى الطابع السلبي أو الإيجابي "سواء أكانت أسباب التشويه للإسلام ناجمة عن حسن نية أم جهل أم سوء قصد، فتلك احتمالات تفسر الدافع الباطن للاستشراق، لكنها تمثل أخطر الأعمال التخريبية للشخصية الإسلامية، كما تساهم مساهمة فعالة في تشويه الإسلام، وتقديمه إلى الأجيال، كما يرمى الاستشراق بأنه: نتاج خليط مشوه من اليهودية والمسيحية والوثنية العربية، الشيء الذي يؤدي إلى زعزعة أصالة الفكر الإسلامي، وتعريضه إلى خطر التصفية والانهزام أمام العلمانية، ونجاح عملية التغريب للشخصية الإسلامية عن دينها ولغتها وثقافتها، وتنفك عن

[1] - عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص ص 60،61.

عروتها الوثقى التي لا انفصام لها"[1] غالبًا ما سعى الاستعمار إلى رسم مخططات غايته منها تشويه الإسلام، مستخدمًا مجموعة من الأدوات ذات الطابع الإعلامي الرنان؛ لغرض تغذية الصراع والخلاف بين القوميات المختلفة، حتى تصبح سدًا منيعًا أمام تضامن ووحدة المسلمين، كان الاستشراق هو الأداة الرئيسة في تنفيذ هذه المخططات، حيث بث مجموعة من المفاهيم كالأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي، وكذلك تأجيج الصراع المذهبي بين السنة والشيعة، لغاية تجزئة العالم الإسلامي للسيطرة عليه، وفصله بحواجز سياسية متصارعة.

يمكننا القول إن الاستشراق قد عمل على إظهار الاختلاف الكبير بين الإسلام والمدنية والحداثة، وسعى جاهدًا إلى "إقناع المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان ولابد من رفع أحدهما، قاصدين الإسلام بالطبع، حتى تلحق البلدان الإسلامية بركب الحداثة والتطور، فلما كانت الحداثة الغربية هي النظام المبتغى والسائد عالميًا، ولا مندوحة عنها لمن يريد أن يلحق بركب التطور العالمي، كان من البديهي أن الذي سيرتفع من النقيضين هو الإسلام، لإثبات أنه لا يتماشى مع الأحكام العصرية، وأنه نظام قديم قد بلى، ولم يعد صالحًا لأن يساير متطلبات العصر، ولا ريب أن الاستشراق قد استهدف تزييف الفكر الإسلامي للوصول إلى غاية أساسية هي إخضاع المسلمين لحكم المستعمرين"[2] من خلال ذلك يتضح جليًا الدور الذي يلعبه الاستشراق في خدمة الاستعمار، وكيف أنه إحدى أدواته التي يستعين بها من أجل الغزو الغربي للعالم الإسلامي، حيث "يقوم الاستشراق بهجوم ثقافي بديلًا عن الاستعمار في هجومه المسلح، يهدف منه إلى التأثير على نفسيات وعقول الجماعة الإسلامية، كي يصيبها بعوامل التفسخ والانحلال ما يهيئها بالتالي إلى توجيهها وجهة مخالفة لأهدافه ومصالحه، وإذا كانت عمليات الاستعمار بالشعوب مفاجئة وسريعة، فإن عمليات الاستشراق جاءت هادئة تعتمد على التدرج والتهيئة، ووسيلته إلى ذلك هي إبراز السلبيات الثقافية من ثقافات شعبية أو أساطير، وتسليط الأضواء عليها، وإيهام القارئ بأن التراث

[1] - محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمارية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1993م، ص 108.

[2] - أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، دط، 1987، ص268.

الإسلامي هو تلك الخرافات الشعبية"[1] بدا واضحًا أن الاستشراق كان عاملًا مساعدًا للاستعمار، وأنه كان وسيلة تمهيدية للسيطرة على الفكر الإسلامي من خلال ما قدمه للجانبين الغربي والعربي، حيث اتسمت دراساته بالازدواجية فدرست في الظاهر الفكر الإسلامي، وهدفت في الباطن إلى تهيئة العقول الإسلامية، لتقبل حركة الاستعمار الغربي.

بعد انحسار الاستعمار اتجه كثير من المستشرقين للعمل في وزارات الخارجية للدول الغربية على هيئة خبراء في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية؛ لتقديم المعونة اللازمة لبلدانهم، حيث إنهم يمتلكون الذخيرة الثقافية الكافية في شتى المجالات عن الحضارة العربية الإسلامية "إن الاهتمام الأوروبي، ثم الاهتمام الأمريكي، بالشرق كان اهتمامًا سياسيًا وفق بعض الروايات التاريخية الواضحة له، لكن الثقافة هي التي أوجدت ذلك الاهتمام، وجعلت تمارس تأثيرها جنبًا إلى جنب مع الدوافع العقلانية الأخرى، من سياسة واقتصاد وعسكرية، حتى جعلت الشرق يتخذ صورة المكان المتنوع السمات والمعقد"[2] بناء عليه قد جذب العمل السياسي العديد من المستشرقين، حيث تقديم المعونة ووضع الخطط التي تساعد سياسة بلدانهم؛ لتطويع سياسة البلدان الإسلامية، استمر هذا العمل لعدة قرون حمل طابع الصراع بين الغرب والإسلام، كانت غايته الأساسية إحداث تأثيرات ذات طابع سلبي في فكر المسلمين السياسي.

كان غرض الاستشراق إحداث تغييرات في النظرية السياسية لدى المسلمين خصوصا في القرون الأخيرة، حيث سعى جاهدًا إلى "إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصيُّد الحوادث الفردية في التاريخ؛ ليصنعوا منها تاريخًا جديدًا يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد

[1] - الاستشراق رسالة استعمارية، ص 109.

[2] - إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ت محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص ص 57،58.

العربية، والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها"[1] لعب الاستشراق دورًا كبيرًا كونه مثل الجانب الفكري للاستعمار في إعادة إحياء فكرة الروح القومية التي كانت موجودة عند العرب قديمًا، التي كان لها دورًا مهمًا في تقسيم الأمة إلى عدة أقليات شعوبية، لتسهيل جذبه واستبدال الروح الأصيلة بروح هجين تساعد على إضعاف رابطة الشعوب". في سبيل تحقيق هذا الهدف نشط الاستشراق نشاطًا علميًا واضحًا في مجال الدراسات القومية التي ركزت على دراسة تاريخ كل شعب إسلامي على حده، بهدف تحقيق العزل الديني والثقافي للشعوب الإسلامية عن بعضها البعض، وإضعاف العامل الديني كعامل أساسي في ربط الشعوب الإسلامية، وتأصيل الوجود القومي لكل شعب، بالعودة إلى التاريخ القديم السابق على ظهور الإسلام، وعلى دخول الشعوب الإسلامية فيه، وإبراز الصفات والسمات القومية وإعلائها على السمات الإسلامية، وتقوية النعرة القومية والنزعة العرقية الانفصالية، والاتخاذ من التراث التاريخي والحضاري القديم كأساس للتفرقة، وتفضيل حضارة على حضارة، والإيحاء بالشعور بالأفضلية العرقية لكل شعب على الآخر"[2] بذلك يعد الاستشراق هو العامل الأساسي في إعادة النعرات العصبية، وإظهارها على سطح الفكر الإسلامي من جديد، فظهرت العصبية بين العرب والفرس والترك، وعزلت بفضل هذا العمل الاستشراقي بعضها عن بعض، لدرجة أنها اتخذت مواقفًا متضادة جاءت نتيجة لمصالح عرقية وقومية.

بالإضافة إلى ما قام به الاستشراق من بث وإعادة إحياء فكرة القومية والنعرات العصبية داخل المجتمعات الإسلامية، لغرض إقامة كيانات تقسم المجتمعات بعد أن كانت تحت رابطة واحدة، نجد للاستشراق دورًا آخرًا وهو نشر الفكر الشيوعي والرأسمالي بأطوارهما المتنوعة، وبثهما داخل المجتمع الإسلامي، لغرض صياغة نظام سياسي، وكذلك نظام اقتصادي ليحلا محل الأنظمة الإسلامية، إذ "من الواضح أن الفلسفة الليبرالية والنزعة القومية أولًا ثم الفكر الماركسي والاشتراكية وأنظمة الفكر الغربية الأخرى التي جاءت فيما بعد، من الواضح أن كل ذلك تربطه علاقات غامضة مع الاستشراق، فكل واحدة من

---

[1] - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص ص 28،29.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص 39.

هذه العقائد الفكرية، أثرت على الاستشراق في الوقت الذي راحت فيه تؤيد فرضياته الإيديولوجية الأساسية، كتفوق الغرب على الشرق، وضرورة وضع هذا الأخير تحت الوصايا، ولكن من الواضح أن الاستشراق يلعب دورًا كبيرًا في نشر هذه العقائد المستوردة داخل المجتمعات العربية الإسلامية، وفي الوقت ذاته نلاحظ أنه يتخذ هذه العقائد قناعا يختبئ وراءها لكي يحافظ على احتكاره لتقديم الصورة عن الشرق، بل لكي يدعم هذا الاحتكار"[1] فقد كان له دور كبير في نقل الفكر الشيوعي والرأسمالي، وثقافة المجتمعات الغربية الحاضنة له، إلى الدول الإسلامية حيث كان عامل تغيير ثقافي واجتماعي لهذه المجتمعات، كما كان للاستشراق دور كبير من خلال ما بثه من فكر، في تفكيك الأنساق الاجتماعية، وتفتيت وحدة المجتمعات الإسلامية السياسية والاقتصادية.

لعب الاستشراق دورًا بارزًا في تغيير نمط حياة البلدان الإسلامية، لغرض إعدادها وتهيئتها حتى تكون متماشية مع النظم الدخيلة، لدرجة اختفاء النظم الأصلية للمجتمعات الإسلامية، بعد ظهور وسيطرة الفكر القومي الذي كان من بين أهدافه الرئيسة إسقاط الدين الإسلامي، لأنه رابط هذه الشعوب، فقد أكد الفكر القومي على ثقافة الاختلاف، ونادى كثير بالعودة إلى حقب تاريخية قديمة تصل لمرحلة ما قبل الإسلام، حتى يبين للشعوب العربية أن حياتها الفكرية قبل الإسلام حملت العديد من الاعتقادات المطابقة أو المشابهة لما جاء به الفكر القومي؛ ليصل من خلال ذلك إلى دحر العامل الديني كوثاق للمجتمعات، وإحلال النظم الأجنبية الحديثة محله، كل ذلك وغيره كان من أعمال الاستشراق الذي كان يمثل ذلك الجناح الفكري للغزو الثقافي الغربي، فقد انتقل من كونه عاملا مساعدًا للاستعمار الصليبي إلى مرحلة العمل السياسي المتبلور في بث الأفكار الدخيلة؛ ليصل في آخر المطاف إلى غايته المنشودة، وهي زعزعة الفكر والنظم الإسلامية، وإحضار النظم البديلة لتحل محلها، حتى تكون البيئة الإسلامية مهيأة لقبول الاستعمار في صورته الجديدة، ويصبح المسلم مغتربًا عن ذاته داخل مجتمعه وبين أبناء جلدته.

المبحث الثاني:

[1] - محمد أركون وآخرون، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ت هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص 221.

الاستشراق والخلافة، ودوره في التجزئة والإبعاد ونشر البديل.

كان الإسلام ولازال يشكل الخطر الكبير على الغرب الصليبي، فقد دق المد الإسلامي نواقيس الخطر المسيحي، حيث سعت الخلافة الإسلامية إلى نشر الإسلام دون حد أو قيد، وتمثلت آخر معاقل هذه الخلافة في فترة الدولة العثمانية، وإن غلب عليها في فترات متأخرة طابع الضعف، حتى نعتت بالرجل المريض، ولكنها كانت تمثل وحدة المسلمين من جانب، ومثلت استمرار النظامي السياسي الإسلامي المتمثل في الخلافة الإسلامية من جانب آخر، تعددت أسباب ضعف الدولة العثمانية بين أسباب داخلية وخارجية تمثلت الأخيرة في تكالب الغرب المستعمر على النظامي الإسلامي –الخلافة- لغرض إسقاطها والتخلص منها، على اعتبار أنها كانت تمثل وحدة الإسلام والمسلمين.

إن الصراع سالف الذكر كان بين نموذجين من الحضارة الإنسانية، وهما النموذجي الحلولي _المسيحي_ والاستخلافي _المسلم_ أي أنه صراع يحمل بالإضافة إلى الطابع الديني طابعا استعماريا عسكريا وسياسيا بين الغرب والشرق، والاستشراق مثل الجناح الفكري للغزو الغربي، نجده قد أولى اهتمامًا بالغًا بهذا النظام _نظام الخلافة الإسلامية_ حيث كان "موضوع الخلافة من أهم الموضوعات التي أولاها الاستشراق الاهتمام العلمي والسياسي، وقد علم المستشرقون أن تشويه صورة الخلافة في الماضي وضربها في الحاضر يعد عاملًا أساسيًا في محاربة الإسلام الذي تمكن من خلال الخلافة في عصور قوتها من إرسال الفتوحات الإسلامية إلى البلاد النصرانية، ومواجهة الجيوش الصليبية، ومحاربة الاستعمار الحديث منذ القرن الثامن عشر الميلادي"[1] بذلك شكلت دولة الخلافة الإسلامية بجميع مكوناتها في ذلك العصر خطرا كبيرا يهدد الغرب المسيحي بتقويض أركانه، الأمر الذي دفعه إلى محاربة هذه التجمع الإسلامي الممثل في دولة الخلافة العثمانية الذي بات بمثابة الموت القادم من الشرق.

بطبيعة الحال شكلت هذه الحقبة التاريخية من خلافة الدولة الإسلامية رعب وتهديد مباشر لحلولية الغرب المسيحي، فلم تكن الدولة العثمانية عبارة عن رمز يمثل الدولة الإسلامية فقط، لكنها "قامت بالفتوحات الإسلامية، ولأول مرة في قلب القارة الأوروبية، وهو

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 42،43.

خطر عظيم لم يمر به الغرب من قبل في تاريخ علاقته بالمسلمين، لقد ظلت الخلافة العثمانية أكثر من خمسة قرون، وصلوا فيها بفتوحاتهم إلى أبواب فيينا، وأصبحت الخلافة العثمانية تمثل من وجهة نظر الغرب الأوروبي خطرًا دينيًا وسياسيًا على القارة الأوروبية؛ حيث امتدت أملاك الخلافة داخل القارة الأوروبية، وانتشر الدين الإسلامي على يد العثمانيين في العديد من البلاد الأوروبية الشرقية"[1] بذلك أصبح الصدام بين الدولة الإسلامية والغرب _بصورة أكثر جلاء_ صدامًا مباشرًا وعلى الساحة الغربية، على عكس ما كان سابقًا، حيث كان الصراع خارج القارة الأوروبية، فأصبحت أوروبا ساحة صراع عسكري وعقائدي زعزع أركان الغرب المسيحي.

بناء على هذه الأحداث التي أصبحت أوروبا ساحتها، ما كان للغرب من وسيلة يلجأ إليها للخروج من هذا المأزق سوى أن يضع الخطط التي قد تساعده على إيقاف المد الإسلامي ومنع انتشاره، وبالتالي الخلاص من هذه المسألة التي أطلق عليها المسألة الشرقية أو المشكلة الشرقية، حيث وضع الخطط للخلاص من هذه المشكلة، فقد عمل على "دفع المستشرقين إلى التخصص في الدراسات العثمانية، بهدف تحليل أوضاع الخلافة العثمانية في الداخل، ومعرفة أحوالها في البلاد الأوروبية التي وقعت تحت سيادتها، ومعرفة تأثيرها في البلاد الأوروبية الواقعة على حدود الخلافة العثمانية، وقد بدأ المستشرقون في بذل الجهود العلمية المضنية في تغطية الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية لبلاد الخلافة العثمانية، للتعرف على مواطن الضعف فيها والبحث عن سبل تقويض الخلافة من الداخل، وإثارة النزاعات القومية عند الشعوب الخاضعة لها، واستقطاب الشعوب العربية والإسلامية ضدها، والعمل على تغريب المجتمع التركي من الداخل"[2] بذلك يخطو الاستشراق أولى خطواته في مشروعه ضد دولة الخلافة الإسلامية فترة الحكم العثماني، مستخدمًا العديد من الوسائل لغرض الزعزعة وعدم الاستقرار الداخلي للدولة العثمانية كخطوة تمهيدية؛ لتقويض أركانها ووضع النهاية لدولة الخلافة الإسلامية.

يكمل بعد ذلك الاستشراق مشروعة حيث يعمل على عزل المواطن عن مجتمعه، لغرض تغريبه عن الدولة، وإبعاده عن الإسلام، ووضعه في هيئة تناسب المجتمع الغربي،

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص 43.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص44.

بعد أن "هجر سياسته الإسلامية، وتبنى علمانية أوروبية انعزل بها عن دينه، وارتمى في أحضان الثقافة والنظم الغربية"[1] بذلك تتزعزع وتنهار آخر معاقل الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية، وبسقوطها غاب الواقع السياسي للمسلمين، وأصبحت الدولة الإسلامية شتات لم تجمع تحت شمل واحد قائم على أسس عقائدية بعد ذلك.

بذلك تنطلق مرحلة جديدة في المشروع الاستشراقي ألا وهي التجزئة، بعد الانتهاء من تفتيت الدولة العثمانية وإسقاطها، انتقل الاستشراق للبدء في عملية تجزئة المسلمين إلى جماعات تجمعها عرقيات وأنساب ومصالح قومية ومذاهب، فأصبح التقسيم وفق نهج مصلحي قائم على أيديولوجيات معينة "وانتصرت القوميات والشعوبيات واختلاف الأجناس والألوان واللغات، وهي كلها عناصر نجح الإسلام في تذويبها والقضاء عليها، وإقامة أمة إسلامية واحدة على أساس من وحدة العقيدة"[2] فبعد أن وحّد الإسلام المسلمين وأزال جملة العقائد والافكار التي كانت نواميس تحدد طبيعة العلاقة بين العرب قبل البعثة، فجمعهم على عقيدة واحدة قائمة على أساس رصين، يأتي بعد ذلك المشروع الاستشراقي محاولًا زعزعة هذه الوحدة وتفتيت الأمة، بأن أحيا فيها جملة من النعرات الجهوية والعرقية؛ لتحقيق هدفه الأساسي وهو "الولوج إلى أفئدة الشعوب العربية لتهيئتها لقبول الوصاية الاستعمارية، وكانت أساليبه في ذلك متعددة، كلها تركز على أهمية ضرب الوحدة الفكرية"[3] وإن تعددت الوسائل والأساليب التي استخدمها الاستشراق للوصل إلى مبتغاه، ولكنها قامت على مسلمة أساسية انطلقت من وحدته الفكرية، وهي مجموعة من الرؤى المسبقة عن الشرق قائمة على جملة من النظريات منها الأطماع الاستعمارية، والنظريات العرقية التي غذت الفكر الغربي، كانت الغاية من ورائها ضرب الوحدة الفكرية للحضارة الإسلامية.

لكي يصل الاستشراق إلى مبتغاه في ضرب الوحدة الفكرية والثقافية للحضارة العربية الإسلامية، طرق العديد من النواحي التي كانت سببًا في تحقيق ما كان يصبو إليه، من بين هذه النواحي، عمد الاستشراق إلى "إضعاف الروح المعنوية لدى المواطن العربي وتشكيكه

---

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 44،45.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص 47.

[3] - الاستشراق رسالة استعمارية، ص 215.

في ذاته، فقد انداحت دائرة الاستشراق في دراساته عن الشرق وشعوبه، وقدمها في صورة سوداء، وأكد الاستشراق على أن الشرق ذاته موسوم بالغيرية وأنه سلبي، لا يستطيع بحكم طبيعته المشاركة في السلم الحضاري، وفي الوقت نفسه فهو عديم النشاط عديم الاستقلال لا يستطيع الاعتماد على نفسه"[1] وتعد هذه أولى المراحل ليحقق من خلالها الزعزعة المطلوبة، فيُقدّم الشرق للغربي بصورة سلبية دونية، ثم يجعل منها قاعدة تنطلق منها الدارسات نحو الشرق، لتصبح فيما بعد من دراسات الشرقيين أنفسهم، فقدم عديد الشواهد التي كانت بمثابة دليل على صحة كلامه، فاستشهد بحالة الشعوب الشرقية من حيث مقارنتها بما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم، الذي يقابله التخلف والتفكك لدى الشعوب العربية، لكي يرضخ الشرق للوصاية الغربية باعتبارها أكثر تقدمًا وهو القادر على قيادة دفة الحضارة الإنسانية؛ ليسهل عليه التحكم في الفكر الشرقي وإدارة مساقاته الفكرية، وبالتالي التحكم فيه سياسيًا، ليصل الأمر في آخر المطاف إلى حكمه والسيطرة عليه.

تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى قدمها الاستشراق في هذا الاجترار ألا وهي تركيزهم على تأصيل ماضي الحضارة العربية الإسلامية، والتي يعتبرها الكثير من البحاث أنها مثلت قمت التطور والازدهار، فنجد الدراسات الاستشراقية تقدمها في صورة مشوهة، فقد "حرصوا على إبراز خصائص هذا الماضي وتشويهه على اعتبار أنه إذا كان الماضي مشوهًا فالنتيجة الحتمية لذلك طبعًا أن تخلف الشرق في الوقت الحاضر أمر لا مفر منه مادام مرتبطًا بتراث ذلك الماضي المتخلف، وهذا بدوره مرسخ لأوضاع الاستعمار، ولأهداف نظرية العرق، ولا حياة لشعب نحى عن تراثه وماضيه"[2] فلم تهدف هذه الدراسات _التي كانت نشطة جدًا تجاه الحضارة العربية الإسلامية _إلا لتجديد بعض النعرات والعرقيات الشعوبية القديمة، لتذكي روح الخلاف ويضرب النسيج الفكري والعقائدي المتماسك.

كذلك وجه الاستشراق دراساته نحو الإسلام واللغة العربية، فقد شكلا أحد هذه المراحل، لأنهما مثلا قاعدة الوحدة العقائدية والفكرية للشرق الإسلامي، فقد حاولوا تشويه الإسلام، وبث السموم لإثارة الشبهات وإظهاره بشكل يجعله غير صالح كطريق سلوكي ومنهج

[1] - الاستشراق رسالة استعمارية، ص 215.

[2] -الاستشراق رسالة استعمارية ، ص 216.

للمسلمين، وكان ذلك واضحًا من خلال شروحهم للمتشابه من القرآن لبث الشكوك، وعمدوا إلى تشويه وتحريف السيرة النبوية، ليصلوا بعد ذلك للركيزة الثانية ألا وهي اللغة العربية، حيث حاولوا إظهار مدى عجزها عن مجاراة التطور الحضاري الغربي، ولكي تواكب ذلك التطور عليك تبني لغة العلم والحضارة اللغة الغربية، وكان الغرض من ذلك هو دفع مفكري الحضارة الإسلامية إلى استبدال أبجدية الضاد بالأبجدية الغربية، وكان من نتاج ذلك ظهور اللكنات واللهجات الدارجة أو المحلية، لتبعد حتى المواطن العادي عن لغته الأم، كل هذه الإرهاصات جاءت نتيجة لخوف الغرب من المد الإسلامي الذي روج له بحيث "يظل الخوف من الإسلام وهمًا من الأوهام التي روجت لها عناصر، رأت أن الإسلام يهدد مصالحها الخاصة، وأعان على ترسيخ هذا الوهم حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام، أحيانًا من قبل المنتمين إليه، ومن ثم تقديم معلومات مغلوطة ومشوهة عن هذا الدين الشمولي، وهنا يأتي أثر الاستشراق الصحفي الذي يميل إلى السياسة، ودوره في ترويج المعلومة المزيفة الموغلة في التزييف والتضليل، عمدًا في غالب الأحوال وفي الوقت نفسه إغفال أثر الحضارة الإسلامية والشرقية في بناء الجذور الحضارية الغربية المهيمنة اليوم، وتعمد تغييب هذا البعد الفعلي في تلاقي الحضارات، وتطويرها وتطويعها للمعطيات الثقافية، ما يعني وضوح أثر الاستشراق في هذا المجال"[1] بذلك يمكن القول إن الاستشراق بصورة أو أخرى قد وصل إلى مبتغاه، حيث كان عاملًا من العوامل الرئيسة التي ساعدت على زعزعة التناغم، والاتحاد الثقافي للحضارة الإسلامية، من خلال محاولاته لضرب الدين الإسلامي.

بعد هذه التجزئة والتفتيت للأمة الإسلامية سعى الاستشراق إلى جر الشعوب الإسلامية لمستنقع الحضارة الغربية المادية، لكي يبعدهم عن نظامهم الديني القائم على ركيزة التوحيد، لتحل محله الحضارة المادية، ليتحول _بعد ذلك _ تدريجيًا إلى تقمص هذه الشعوب أنظمة غريبة عنها، لتستبدل مبادئها الاجتماعية والسياسية القائمة على أسس إسلامية بقيم مادية متجردة من الدين، غايتها فصل الدين عن الدولة، وهو ما يعرف بالمد العلماني "نتج عن هذا التبني للفكر العلماني في مجال السياسة أن افترقت مصلحة الأمة الإسلامية إلى عدة مصالح سياسية متضاربة، وتوزعت البلاد الإسلامية بين عدة محاور

[1] - علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015م، ص ص 159،158.

سياسية، ولم تعد تربطها رابطة، ودخل بعضها في حروب ضد بعض بسبب الانتماءات السياسية، وتضارب المصالح القومية وظهور العديد من المحاور الإقليمية التي استقطبت العديد من البلاد العربية والإسلامية، وأبعدتها عن مصلحتها الإسلامية الأساسية"[1] بذلك أصبحت العديد من الدول العربية والإسلامية شتات تتبع دول خارجية سيطرت عليها بالغزو الثقافي وأفرغتها من محتواها الحضاري، مستخدمة في ذلك جملة الوسائل السالفة الذكر، فعن طريق التضليل الفكري طرح الاستشراق عددًا من القضايا كان لها دور كبير في الإساءة للإسلام، وتخدم في الوقت ذاته مآرب الاستشراق التي سعى إلى تحقيقها.

كما قدم الاستشراق نقدًا شوه به النظام السياسي الإسلامي، بإثارة العديد من الشبهات عن نظام الخلافة الإسلامية، كونها مثلت النظام الساسي للإسلام، وأظهرها في صورة عاجزة ومتخلفة غير قادرة على مجاراة ومجابهة القضايا الحديثة، لتقديم نظام سياسي يحل بديلًا عن النظام الإسلامي، فبعد إسقاط نظام الخلافة العثمانية، أصبحت الساحة السياسية الإسلامية شبه فارغة، وهو ما سعى إليه الاستشراق حتى يتمكن من وضع البديل وفرضه على الشعوب الإسلامية، من خلال إظهار أفضلية السياسة الغربية، ومدى مواءمتها للعالم المعاصر "أن النقد الاستشراقي للنظام السياسي في الإسلام منطلق من وجهة نظر غربية خالصة ترغب في سيادة النظام الغربي في العالم، وهو نقد خال من الموضوعية العلمية، ويعاني من عدة أخطاء منهجية من أهمها تفسير النظام السياسي في الإسلام في ضوء خلفية استشراقية سياسية غربية لا تصلح للحكم على نظام سياسي تابع لحضارة مختلفة، وصادر عن دين معين هو الإسلام، في الوقت الذي لا يرتبط فيه النظام الغربي بمصادر دينية، فهو نظام وضعي تم تطويره في ظل الفصل التام بين الدين والدولة"[2] من خلال هذا المنطلق يصبح النقد غير متواز في غياب سلطة الدين الرقابية على أخلاقيات العمل السياسي، حيث نجد النظام السياسي الإسلامي قائم وفق منظومة أخلاقية مستلة من الدين، تسعى إلى تحقيق العدل والمساواة بين أبناء هذه الأمة دون أية فروقات أو حواجز، في حين أن السياسة الغربية تسعى لتحقيق مصالح وفق توجهات أيديولوجية معينة سواء كانت قومية أم عرقية، وترى أن غاية وصولها لهذه المطامح مبررة بأي أسلوب

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 47،48.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص 49.

كان، فالغاية تبرر الوسيلة لتحقيق ما تطمح إليه من مصالح، دون الرجوع لأي قوانين أخلاقية وفي غياب تام لدور الدين الذي دائمًا ما يسعى لصنع التوازن الطبقي.

إن خلفية الفكر السياسي الغربي قائمة على مبدأ فصل الدين عن الدولة، أي ما يعرف بالنظام العلماني الذي حاول الغرب عن طريق الاستشراق في صراعه مع الحضارة العربية الإسلامية، حاول كثيرًا بثه وتسويقه في المجتمعات الإسلامية، وكان نجاحه في ذلك متفاوت بين تلك الدول، وقائمة أيضًا على مبدأ الديمقراطية، فقد "تأثر المستشرقون بفكرة الديمقراطية الغربية، واعتبروها المقياس الناقد والمعيار الذي تنقد في ضوئه كل النظم السياسية الأخرى ومن بينها النظام الإسلامي، وهنا يظهر خطأ استشراقي آخر في عملية المفاضلة بين الديمقراطية الغربية ونظام الشورى في الإسلام، وتفضيل الديموقراطية على الشورى"[1] والمفاضلة هنا بين النموذجين لا تستقيم، لأنه غير قائمة على معايير موضوعية، ولم تراع التسلسل التاريخي للشورى والديمقراطية، ولكنها جاءت نتيجة لمبدأ الهيمنة والسيادة الغربية والنظر إلى بقية النظم السياسية الأخرى نظرة دونية مهما كانت إيجابياتها.

إن نقد الاستشراق لنظام الحكم السياسي في الإسلام انطلق من مسلمة مفادها "أن الإسلام لا يملك فكرًا سياسيًا، وأن النظرية السياسية في الإسلام ليست أصيلة، وإنما مأخوذة من نظم أخرى أجنبية، والهدف من إثارة هذه الشبهة العامة تشويه الدين الإسلامي، ونسبة ما نشأ عنه من نظم ونظريات إلى أديان وحضارات أخرى، ورد منجزات الإسلام في مجال السياسة والحكم إلى مصادر أجنبية"[2] إن الناظر لمسيرة التاريخ يمكنه التمييز وبجلاء بين هذه الشبهة التي قدمها الاستشراق وبين حقيقة نظام الحكم الإسلامي، وما قدمه هذا النظام من نظرية سياسية لنظام الحكم في الدولة الإسلامية قائمة على نظام الخلافة ، الذي أثبت مدى استقراره واستمراره فترة طويلة، مثلت أطول فترة حكم في التاريخ، امتدت من دولة الخلافة الراشدة وصولًا إلى الدولة العثمانية، تخللتها العديد من المحطات، أثبت من خلالها هذا النظام رصانته وثباته، ولم تكتب له النهاية إلا بعد أن

---

[1] - أمينة الصاوي، عبدالعزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جده، السعودية، ط1، 1985م، ص228.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص 50.

تحالفت وتآمرت عليه الأنظمة الغربية، لإسقاطه في فترة وسمت بضعف وخور دب في نظام الخلافة الإسلامية في العصر الحديث.

خاتمة:

بناءً على ما تقدم، أدرك الباحث أن الاستشراق السياسي مثل مشروعًا ميدانيًا غربيًا، جاء ردة فعل ضد التمدد الإسلامي وتوسع رقعة الانتشار الديني، الأمر الذي دق نواقيس خطر العالم الغربي، وبعد أن أدرك الغربيون أن وسائل المجابهة المباشرة المتمثلة في الحروب كالحروب الصليبية لم تعد مجدية، ذلك أن الصراع تحول من صراع مسلح إلى صراع عقائدي، فلم تكن هناك من وسيلة لزعزعة هذه العقيدة إلا عن طريق ضربها بالغزو الثقافي، عن طريق وسائل متعددة كان الاستشراق السياسي من بين هذه الوسائل.

لقد استخدم الاستشراق السياسي كوسيلة لضرب النظام السياسي في الإسلام القائم على مفهوم الخلافة وعلى مبدأ الشورى، فجاء الاستشراق ليحيي ثلة من التوجهات الأيديولوجية والقوميات العرقية، ويبث الفكر الديمقراطي محاولًا وضعه عوضًا عن الشورى التي كانت سائدة في نظام الخلافة الإسلامية؛ ليصل في نهاية المطاف إلى نقد شامل للنظام السياسي في الإسلام، وتقديم الحل الغربي المتمثل في فصل الدين عن الدولة – العلمانية- كبديل.

النتائج:

1- يعد الاستشراق السياسي أحد أهم الوسائل التي استخدمها الغرب لضرب النظام السياسي في الإسلام.
2- سببت الدراسات التي قدمها المستشرقين عن الإسلام ، توترًا في علاقة الأمة الإسلامية مع بقية الأمم الأخرى.
3- أن العلاقة القائمة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، لم تكن في يومًا من الأيام علاقة تحاور، بل كانت النظرة الغربية للعرب نظرة استعلائية ينتج عنها بطبيعة

الحال صراع، وهو ما حدث بالفعل بين الحضارتين، كان هذا الصراع صراعًا فكريًا.

4- شوه الاستشراق صورة النظام السياسي الإسلامي، حيث وصفه بأنه غير قادر على مجاراة الفكر الحديث، وأنه جاء اجترارًا لأنظمة سابقة.

التوصيات:

1- إنشاء مراكز بحوث تُعنى بالدراسات الاستشراقية.

2- توسيع مجال الدراسات المتعلقة بالاستشراق لتشمل أكبر عدد ممكن من طلاب العلم.

3- عقد ندوات تهتم بالرد على الشبه التي ألصقها الاستشراق بالفكر السياسي الإسلامي.

المصادر والمراجع:

1- إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ت محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

2- أمينة الصاوي، عبدالعزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جده، السعودية، ط1، 1985م.

3- أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ط، 1987.

4- عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

5- علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015م.

6- محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمارية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.

7- محمد أركون وآخرون، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ت هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

8- محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.

9- محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط2، 2002م.

10- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

اللغة العربية وارتباطها بالهُويَّة وبناء مجتمع المعرفة.

Arabic Language and Its Relation to Identity, and Building of Knowledge Society.

اسم ولقب المؤلف: عمر عبد الله الدرويش

الدرجة العلمية والوظيفة: محاضر مساعد – عضو هيئة التدريس قسم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة الزنتان.

البريد الإلكتروني: abcomar18@gmail.com

تاريخ استقبال البحث: 2024/08/27م تاريخ المراجعة والقبول: 2024/09/26م

الملخص باللغة العربية:

يهدف البحث إلى التّركيز على أهمية اللغة في علاقتها بالهوية ، وإلى مناقشة السّبل التي تتيح للغتنا العربية الانخراط في مجتمع المعرفة الجديد، ومحاولة تبيين الوسائل؛ لتحقيق ذلك وتذليل العقبات أمامها، وفي سبيل هذا اتبعتُ المنهج الاستقرائي، وكذلك الوصفي للجمع والتحليل، وبعد الانتهاء من هذه الدراسة تأكدتُ من حقائق مهمة، وتوصلتُ إلى نتائج من أبرزها، أن اللغة هي الهوية في حد ذاتها، فلا هوية لنا من دون لغتنا العربية، وأن للغتنا منزلةً متفردةً بين اللغات، فهي لغة عالمية قادرة على مواكبة العصر، لغة تعليم وبحث بما تمتلك من سمات مميزة، معها سندخل مجتمع المعرفة المشحون بالتفاعل المعلوماتي، مجتمع الابتكار والتّطور الذي ننشده.

الكلمات المفتاحية: اللغة، اللغة العربية، الهوية العربية، المعرفة، مجتمع المعرفة.

Research summary:

This research aims to focus on the importance of language in relation to identity and to discuss the ways in which our Arabic language can engage in the new knowledge society. The research seeks to clarify the means to achieve this and to overcome the obstacles facing it. Therefore, an inductive and descriptive approach was followed to collect and analyse data. Upon completion of this study, I was certain of important facts and reached conclusions, the most prominent of which is that language is identity itself, and there is no identity for us without our Arabic language. Our language has a unique position among languages; it is a global language capable of keeping pace with the times, a language of education and research with its distinctive characteristics. With it, we will enter the knowledge society, which is charged with informational interaction, the society of innovation and development that we aspire to.

Key words: Language, Arabic language, Arab identity, Knowledge Society.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين **وبعد**،،،

ترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بهوية الفرد في مجتمعه، فهي عنصر أساسي لحفظ وتماسك المجتمع إذا تم الحفاظ عليها وتنميتها، وهي عامل تفكيك وتشتت في حال إهمالها، حيث يضعف التواصل اللغوي فينفرط عقد الجماعة، وقضية اللغة في عصرنا الذي يتسم بالتطور والتشعب، أشد أهمية وأبلغ خطراً من ذي قبل، فنحن في فورة تطور معرفي وتكنولوجي هائل، نقف فيه بلغتنا ومعها هويتنا حيال هذه الطفرة الهائلة، فإما أن نستغلها بما يخدم لغتنا ويحفظ كياننا، أو نهملها ونضيع وإياها في هذا الخضم، فبدافع من هذه الأهمية جاءت هذه الدراسة؛ لتسلط الضوء على لغتنا العربية وهويتنا في مجتمع المعرفة الجديد.

أسئلة البحث:

أهم التساؤلات العلمية والاشكاليات التي يسعى البحث لوضع إجابات ومقترحات لها هي:

1- ماهي الهوية وما علاقتها باللغة؟

2- كيف ساهم القرآن الكريم في تشكيل هويتنا اللغوية والثقافية؟

3- هل هويتنا مهددة من زاوية اللغة؟ وكيف يمكننا تعزيز قيمة لغتنا وهويتنا في الأجيال القادمة؟

4- هل اللغة العربية قادرة على الاندماج في مجتمع المعرفة؟

5- هل اللغة العربية لغة بحث وتعليم، وهل هي صالحة لمواكبة التطور المعرفي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى توضيح علاقة اللغة العربية بالهوية المعرفية، ومناقشة إشكالية انخراط اللغة العربية في مجتمع المعرفة في زمن العولمة والتطور التكنولوجي، كما يتطرق إلى الكيفية التي أسهم بها القرآن الكريم في تشكيل هويتنا اللغوية، وما للغتنا العربية من مميزات تمنحها الصلاحية العلمية، وكيف نعمل على تعزيز هذه المميزات عند أجيالنا اللاحقة.

الدراسات السابقة:

هذه بعض أهم الدراسات التي وقفتُ عليها وحاولتُ الاستفادة منها:

1- إليكس ميكشيلي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دمشق، ط1، سنة 1993.

يناقش كتاب ميكشيلي مفهوم الهوية من الجوانب الاجتماعية والثقافية والسيكولوجية، والفردية والجماعية، ويتتبع نشأة الدراسات حولها، ومفهومها، ومراحل نموها، وأزماتها، وتداخلها في أنشطة الفرد اليومية المهنية والسياسية والثقافية والفكرية، وتعددها بتعدد المواقف النّفسية (السيكولوجية)، مع مناقشة مستفيضة لموضوع الهوية الثقافية على وجه الخصوص.

2- اللغة والهوية، قومية – إثنية – دينية، جون جوزيف، ترجمة عبد النّور خراقي الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 342/ أغسطس – سنة 2007م.

يبحث كتاب اللغة والهوية هذا في موضع العلاقات المعقدة بين الهوية والقومية، والإثنية، والدينية لجماعات كلامية داخل المجتمع، وطبيعة اللغة التي يتحدثون بها، ويشدد كاتبه على ضرورة أن تشكل الهوية الجزء الأهم في أي دراسة أكاديمية ميدانية تجرى حول اللغة، إذا ما أريد للنظرية اللغوية أن تتطور، وتعاد إليها نزعتها الإنسانية.

والمؤلف يرى بأن الاهتمام يجب أن ينصب على الظروف التي وجدت فيها اللغة، وعلى الأسباب التي عملت على تطويرها وسبل تلقينها واستعمالها؛ لأن هذا سيساعدنا على استيعاب الخلفيات التاريخية لهوية لغة ما، مثل اللغة الصينية، أو اللغة الإنجليزية، أو اللغة العربية، ويعد كتاب اللغة والهوية من الكتب المهمة التي أحاطت بموضوعها، ودرست جوانبه دراسة بحثية معمقة ومنقحة، من شأنها إثارة اهتمام الباحثين والطلاب المهتمين بالدراسات والبحوث في المجال.

3- التمكين للغة العربية آفاق وحلول، محمود السيد، دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، المجلد 83، العدد 2، حزيران، سنة 2008.

هذا البحث يقف فيه صاحبه على مفهوم اللغة وأهميتها بوجه عام، وكيف تعنى الأمم الحية بلغاتها، ويبين سمات اللغة العربية والتحديات التي تواجهها، وصولا إلى التمكين للعربية والاهتمام بإتقانها وتعزيز سبل الارتقاء بها.

4- الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق، عبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، ط1، سنة 2014 .

يتتبع كتاب "الهوية العربية والأمن اللغوي" للناقد وعالم اللسانيات التونسي الدكتور عبد السلام المسدّي بالتوثيق والتحليل، سلسلة من المبادرات والمشاريع التي يدرجها الكاتب ضمن ما يسميه الوعي اللغوي الجديد، ويشتمل الكتاب على اثنين وعشرين فصلًا وخاتمة، ويقدم الكاتب فيه خلاصة سنوات طويلة من البحث والنضال، دفاعًا عن اللغة العربية، ويستأنف المسدي في الفصل الأول من الكتاب الأسئلة كما انتهى إليها في كتابه "العرب والانتحار اللغوي" الذي صدر عام 2011، ويبرر العودة إلى هذه الأسئلة بما جدَّ من أحداث لم تكن متوقعةً، وبأنّ استئناف الأسئلة هو أحد أسس النضال الفكري المتجدد، ويتساءل الكاتب: ألا نكون قد أسأنا طرح سؤال اللغة؟" ويشير إلى أنّ البحث في الشأن اللغوي دأب على الاهتمام بالخطاب الطاعن في صلاح العربية، موحيًا أنّ زمنها قد ولّى؛ ليُنتِج خطاب

مرافعة يقوم أساسًا على تفنيد هذه المزاعم، وتفكيك آليات المناورة الثقافية، ولكن الكاتب يرى أنّ المشهد العربي العامّ يحملنا على الاقتناع بأنّ وعيًا لغويًّا جديدًا ينبثق وتتسارع تجلياته، وهذا بالضبط هو موضوع الكتاب الذي يعمل فيه المسدّي على التشخيص المعرفي، واستقراء نشأة الوعي اللغوي الجديد بمفاصله الزمنية ومضامينه الدلالية، واستشفاف ما قد ينتهي إليه من مآلات، ولذلك يرى الكاتب أنه يتصدى لخطاب المنافحة موضوعًا للاستقراء والتشريح، بدلًا من اتخاذ خطاب المناكفة.

نلاحظ من خلال استعراض هذه الدراسات أنها أتت على بعض المواضيع التي تطرقتُ إليها والتي يسعى البحث إلى توضيحها، وهذه الموضوعات ليست جديدة أو غريبة عن الباحثين والكُتّاب قبلي، فهي مضامين بالغة الأهمية، تناولها المؤلفون الأجانب والعرب؛ إلا أني لم أجد قبلي من تناول المواضيع الثلاثة التي يدور عليها البحث (اللغة – الهوية – مجتمع المعرفة) مجتمعةً، وقد حاولتُ تناولها بما يخدم لغتنا وهويتنا ومجتمعنا في عصرنا الذي نعيشه.

خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول: عن الهوية، وفيه أربعة مطالب هي:

- معنى الهوية.
- علاقة اللغة بالهوية.
- أثر القرآن الكريم في تشكيل هويتنا.
- تعزيز قيمة اللغة والهوية في الأجيال العربية.

المبحث الثاني: مجتمع المعرفة، وفيه أربعة مطالب هي:

- مجتمع المعرفة، التعريف والمفهوم.
- اللغة العربية وإشكالية انخراطها في مجتمع المعرفة.
- مقدرة العربية على التطور ومواكبة مجتمع المعرفة.
- اللغة العربية لغة علم وتعليم.

وقد ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج وبعض التوصيات، وذيلته بمسرد للمصادر والمراجع.

واتبعت في عملي هذا المنهج الاستقرائي القائم على جمع المعلومات، وكذلك المنهج الوصفي المعني بالدراسة والتحليل، هذا ولله الحمد والمنّة، ومنه التّوفيق والسّداد،،،

المبحث الأول: معنى الهُوية:

المطلب الأول: تعريف الهوية ومفهومها:

أولا: تعريف الهوية:

بالرجوع إلى كتب التراث والمعاجم العربية، نجد مضمون الهوية لا يخرج عن كونها الشيء نفسه أو مثله، فقد وردت في كتاب التعريفات للجرجاني المتوفى سنة (816.هـ) بأن: ((الهُوية هي الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة)) [(1)]، ونجد الكفوي المتوفّى سنة (1094.هـ) يذكر أن: ((لفظ الهُوية -فيما بينهم- يطلق على معاني ثلاثة: الشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قال بعضهم ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتاً، وباعتبار تشخصه يسمى هُوية ... الأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب "ما هو" يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية)) [(2)]، أي أن الهُوية هي حقيقة الشيء، أو ذاته، أو هي الشخص نفسه، وما يتميز به عن غيره.

كذلك يقال إن ((لفظ الهُوية مشتق من أصل لاتيني: sameness؛ ويعني الشيء نفسه، بما يجعله مغايرا ومميزا عما يمكن أن يكون عليه شيء آخر)) [(3)].

ويذكر الأستاذ أحمد حسنين أن كلمة هُوية استعملت في الأدبيات المعاصرة؛ لتأدية معنى identity الذي يعبر-أيضا- عن مطابقة الشّيء لنفسه.

ويرى أن مستويات الهوية ثلاثة هي:

---

[1] - الجرجاني، علي الشريف، التعريفات، (د تح)، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1985، ص278.

[2] - أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1998، ص961.

[3] - بسام بركة، فايز الصياغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التّعليم والتّرجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، سنة 2013، ص312.

1- الهوية الوطنية أو القومية.
2- الهوية الجماعية.
3- الهوية الفردية [1].

وقد عرف المفكر الفرنسي أليكس ميكشيللي الهوية بمعناها الواسع بأنها: ((منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تتميز بوحدتها، وتنطوي على خاصية الإنسان بالجماعية والشعور بها، وهي –أي الهُوية- وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز)) [2].

ومن الناحية الاجتماعية والذاتية، أمكن تعريفها بأنها: ((وعي الإنسان بانتمائه إلى مجتمع أو وطن أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام)) [3].

ثانيا: مفهوم الهوية:

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات متعددة، ولا سيما مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي، ومن أكثر المفاهيم تغلغلا في حياتنا الثقافية والاجتماعية، ومن أكثرها شيوعاً واستخداماً [4].

ورغم أن مفهوم الهوية حديث الظهور فقد شهد تأويلات عدّة، حيث أعلن عدد غير قليل من الباحثين صعوبة تحديد مفهومها؛ وذلك لكونه مرنا، وأي محاولة لضبطه في مفهوم محكم تجعل أجزاء منه تهرب أو تغيب [5]، ومع هذا فقضية الهُوية مطروحة ومطروقة بشدة في الساحة الدولية مؤخراً؛ نظراً لما تقتضيه طبيعة العصر الذي نعيشه من تطور، فمارسيل غوشيه يطلق على هذا العصر: ((عصر الهويات)) [6].

---

[1] - ينظر: المرجع نفسه، ص312.

[2] - المرجع نفسه، ص313.

[3] - المرجع نفسه، ص317.

[4] - ينظر: إليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دمشق، ط1، سنة 1993، ص7.

[5] - ينظر: بسام بركة، فايز الصياغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص311.

[6] - مارسيل غوشيه، الدين في الديموقراطية، مسار العولمة، ترجمة شفيق محسن، مراجعة بسام بركة، علوم إنسانية واجتماعية، (دون مكان) سنة 2007، ص11.

وحينما تُثار إشكالية الهوية في أي مجتمع إنساني، تغدو أم القضايا التي يتوقف الباحثون حيالها كثيرا؛ لأنها تمنح الأفراد في المجتمع كينونتهم، فهي ليست قضية اختيار أو لفظة خالية من المدلول؛ لكنها ذات أبعاد معنوية ودلالات جوهرية، فهي أساس الوجود والانتماء [1]؛ كما يمكن القول: إن الهوية باعتبار مفهومها ذات دلالة لغوية وفلسفية نفسية واجتماعية وثقافية [2]، فهي مرتبطة بكل هذه المضامين، فمن الباحثين الجزائريين من يرى أن الهوية: ((هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، وتجعل للشخصية الوطنية والقومية)) [3].

المطلب الثاني: علاقة اللغة بالهوية:

إذا تتبعنا الخيط الرفيع الذي يربط بين اللغة والهوية، وبحثنا في نقاط التلاقي بينهما، نجد اللغة عنصرا مركزيا في الهوية لأي مكون اجتماعي، فهو الذي يجعل جماعة معينة تمتلك مميزات تختلف عن باقي الجماعات؛ لأن اللغة وثيقة الصلة بهوية الإنسان، وهي الوعاء الحافظ لتاريخه وتراثه [4]؛ ونظرا لما بينهما من اتصال قال سماتس: اللغة هي التي ولدت الهوية [5]، ويقول عبد الرحمن بودرع: اللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية؛ لأن اللغة هي الهوية ذاتها [6]، واللغة في علاقتها بالهوية تتعدى كونها أداة تواصل بين أفراد الجماعة الواحدة فحسب؛ ولكنها تعتبر أيضاً رمزاً من رموز الجماعة، وأداة محافظة على وحدتها، واستمرار ترابطها [7]، وإلى هذا ذهب رمزي البعلبكي قائلاً: ((اللغة منظوراً إليها من زاوية الهوية، ليست مجرد أداة تواصلية محايدة وسلبية؛ بل هي كائن إيجابي وفاعل في

---

[1] - ينظر: بسام بركة، فايز الصياغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص297.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص312.

[3] - بوزغاية باية، ابن داود العربي، إشكالية الهوية والعولمة والثقافة، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (د ت)، ص659.

[4] - ينظر: نور الدين صدار، دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة، الناشر كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر: (د ت)، ص7.

[5] - ينظر: جون جوزيف، اللغة والهوية، قومية- إثنية- دينية، ترجمة عبد النور خراقي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد 342، أغسطس/ سنة 2007، ص17.

[6] - ينظر: بسام بركة، فايز الصياغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص82.

[7] - ينظر: سعاد بضياف، ولبوخ بو جملين، الجزائر: مجلة الأثر، العدد 25، جوان/ سنة 2016، ص196.

إعادة إنتاج ذات الهوية، وتطويرها)) (1)، كما أن اللغة يمكن أن تكون أداة تشتيت وتفرقة، وسببا في انقسام الجماعة، ويحدث ذلك عندما يتدنى وعي الجماعة بدور لغتها الأم، وتهمل المحافظة عليها، أو تسمح بتطور اللهجات وتحولها إلى لغات يتكلمها أفرادها، فعندما أُهملت اللاتينية في أوروبا أحس أهل كل بيئة بأن لهم كيانا مستقلا ومتميزا، فكان مولد القوميات المتعددة في أوروبا مرهونا بمولد اللغات المحلية، وهو السّر الحقيقي في نشأة الكثير من القوميات في مناطق أوروبا المختلفة (2)، ويحدث في الحروب أيضا بعد أن يتغلب شعب على شعب آخر ذو لغة وثقافة مغايرة، أو حضارة على أخرى، فتهيمن لغة الغالب على لغة المغلوب، وتستلب بذلك هوية الجماعة المغلوبة، وقد تكرر هذا مرارا في تاريخ البشرية، يقول ابن خلدون: ((إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء في شعاره، وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ... فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك الاقتداء، أو لما تراه، والله أعلم)) (3)، فاللغة المسيطرة، والعادات والثقافة السائدة هي للحضارة المتغلبة، التي تطبع الشعوب المهزومة بهويتها، ولنا مثال من تاريخنا الإسلامي، فعندما كان العرب والمسلمون من البداوة والبدائية يشيدون حضارة إسلامية قارعت وتغلبت على أقوى إمبراطوريتين في ذلك العصر (الفرس- الروم)؛ ليقيموا دولة بسطت نفوذها على مشارق الأرض ومغاربها، فكان لسانهم العربي المبين هو المسيطر الذي تفوق على باقي الألسنة، يقول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله: ((اللغة العربية أصبحت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون ... إن اللغة العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب، حيث تخلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد)) (4)، أما عندما ضعف العرب، ضعف لسانهم، يقول ابن خلدون:

---

[1] - رمزي البعلبكي، وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي ـ إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سنة 2013 ص120.

[2] - ينظر: إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، سنة 1970، ص 284.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق جمعة شيخة، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع- الدار التونسية للنشر، (دون مكان)، سنة 1984، ج1، ص184.

[4] - عبد العزيز بن عبد الله، اللغة العربية وتحديات العصر، الرباط: مجلة اللسان العربي، إصدار مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، مجلد 13، سنة 1976، ص7-8.

"ولما تملك العجم وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسُد اللسان العربي لذلك، ولولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة" [1]، فلكتاب الله وكتب الحديث والدين عظيم الأثر في حفظ لغة العرب والحفاظ على هويتهم.

المطلب الثالث: أثر القرآن الكريم في تشكيل هويتنا:

أنزل الله كتابه الخالد على نبينا الكريم محمد ﷺ، ليخرج به العرب وغيرهم من الظلمات إلى النور، وقد تكلم الله بآياته وأنزله بلسان العرب: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [2]؛ وبهذا شرّف ربّ العزة اللغة العربية التي وسعت كلام الله، وأدت معانيه في حسن وبيان، يقول الحافظ ابن كثير: " وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل الله أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه" [3].

فلم تضق هذه اللغة بأوامره ونواهيه الموجهة إلى الناس كافة، وقد اضطلع بهذه الأمانة في بدايتها النبي العربي صلى الله عليه سلم وأصحابه الذين كانوا عربا غالباً، فنشروها بين الناس بلسانهم، اللسان العربي الذي به نزل القرآن؛ مما أعطى العربية انتشاراً وعالمية، يقول زكي مبارك: "لقد كان الإسلام عاملاً، نقل العربية تلك النقلة الواسعة من لغة قوم إلى لغة أقوام، من لغة محدود أصحابها إلى لغة دعوة جاءت إلى البشر كافة، فكانت العربية بذلك لسان تلك الدعوة" [4].

ساعدت سماحة الإسلام في انتشار اللغة العربية بين غير العرب، فالدين الإسلامي لا يفرق بين جنس أو لون أو وطن، ولا حال من يعتنقه من غنى أو فقر، يقول نبينا عليه الصلاة والسلام: "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص457.

[2] - سورة يوسف، آية: 2.

[3] - ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1999، ج2، ص467.

[4] - مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1979، ص130.

أسود على أحمر إلا بالتقوى ...)) [1]، فتلقت الشعوب الأخرى هذا الدين ولغته بالقبول؛ لما رأوا من سماحة في تعاليمه ورقي في تعامل الصحابة الفاتحين وسمو أخلاقهم [2]، وبسبب أريحية الإسلام أصبحت العربية هي اللغة المشتركة لكل الشعوب التي دانت بهذا الدين الحنيف، وقد شهد بهذا حتى من غير أهل الإسلام، يقول نولدكه: ((لم تصر العربية حقا لغة عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو سكان الواحات نصف العالم لهم وللإيمان، وهكذا صارت لغة مقدسة أيضاً)) [3].

ونظرا لما لهذا الكلام الإلهي من خصائص لغوية وبلاغية، ولما له من حلاوة ورونق وإعجاز عده العرب –مشركهم ومؤمنهم- معجزة أبهرت العقول، وحارت في تراكيبه الألباب: ((ذلك هو القرآن الذي ينظر إليه المسلم على أنه وحي السّماء إلى الأرض بلسان عربي مبين، وينظر إليه غير المسلم على أنه النموذج الرائع، والمثل الأعلى للبيان المعجز)) [4].

وقد تحدى الله بكتابه إنس العالم وجنه؛ وتحدى العرب قاطبة –وهم من هم في إجادة القول وفصاحة المنطوق- فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [5]

ثم تحداهم بما هو أيسر فقال سبحانه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ [6]، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ ﴾ [7]، فأعجزتهم المعجزة الإلهية، فأين للغة غير العربية أن تسع هذا الإعجاز الذي غيّر مجرى التاريخ والحضارة، وجعل أمّة من الأمّيين في سنين، عددا يقودون العالم بأسره، ويملؤون الدنيا إيمانا وعدلا

[1] - محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ج6، ص223.

[2] - ينظر: إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، ص96.

[3] - تيودور نولدكه، اللغات السامية تخطيط عام، ترجمة رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة، (د ت)، ص75.

[4] - مازن المبارك، نحو وعي لغوي، ص53.

[5] - سورة الإسراء، آية 88.

[6] - سورة هود، آية: 13.

[7] - سورة البقرة، آية: 23.

وحضارة، فينشرون الإسلام بلسانهم المبين، غير المعوج [العوج: الاختلاف] قال سبحانه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ٢٨﴾ [1].

فلو كان غير هذا اللسان قادر على حمل القرآن بغير اختلاف محتمل، لما صح وصفه بأنه قرآن غير ذي عوج، وكذلك وصفه بالمبين؛ [المبين: الواضح] يقول أبو الحسن أحمد بن فارس المتوفى سنة (395هـ): ((فلمّا خصّ- جلّ ثناؤه- اللسان العربي بالبيان، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه)) [2].

من هنا نتيقن أن القرآن والإسلام واللغة العربية، هم من شكلوا هويتنا العربية الإسلامية، ومنحوها الشكل والمضمون، فجلّ العرب مسلمون، وكل مسلم صادق هو محبٌّ للعرب ولغتهم، يقول محمد عمارة: ((إذا ما تساءلنا عن هوية ثقافتنا العربية الإسلامية، التي هي جوهرها وحقيقتها وثوابتها، فإننا نستطيع أن نقول: إن الإسلام منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة، قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة ... إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وأن معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها، هو المعيار الإسلامي)) [3].

المطلب الرابع: تعزيز قيمة اللغة والهوية في الأجيال العربية:

بعد إدراكنا لهذا الارتباط الوثيق بين اللغة والهوية، يتضح لنا السر الذي لأجله أولى علماؤنا اللغة أهمية بالغة، لما لها من ذاتية ورمزية للفرد، وباعتبارها لصيقة بكيان الإنسان وماهيته؛ يقول الدكتور شكري فيصل: ((إن المرء لا يختار لغته، لأنها قدره المتصل بوجوده ومصيره، ومن اتخذ لغة غير لغته الأصل، في التعليم أو المعاش كان كمن تنكر لوالديه أو جحد فضلهما عليه، أو حط من قدرهما، وحسب اللغة قيمة ورفعة أن تكون من مقومات القومية، ومدعاة الانتماء إلى الأمة، وطابع الحضارة وسمة الثقافة)) [4].

---

[1] - سورة الزمر، أية: 28.

[2] - ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، سنة 1993، ص44.

[3] - محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 1999، ص6-7.

[4] - إدريس بن الحسن العلمي، في اللغة، جمع وتقديم أمل العلمي، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، سنة 2001، ص157.

ولغتنا العربية مصدر فخر واعتزاز، ينبغي على كل عربي أصيل، وكل مسلم واعٍ، أن يجيد تعلمها، ويحافظ على ديمومتها، وأن يشيد بها في المحافل، فهي فضلا عن كونها إرث ثقافي، هي انتماء ديني، والحفاظ عليها حفاظ على كل غال ومقدس؛ يقول الدكتور حسن ظاظا: ((اللغة تراث قومي، وقد يكون دينيا أيضا، تقتضي الأمانة الحفاظ عليه كما كان على عهد السلف)) (1).

انطلاقا من هذا ينبغي علينا جميعا زرع الثقة بالعربية في نفوس الأطفال؛ ليشبوا على حب لغتهم، وأن نسعى لربطهم بماضيهم المشرق، وتوعيتهم بتراثهم في عصر نهضتهم، وتعزيز أهمية لغتهم وتبصيرهم بقوتها في عصور الازدهار الإسلامي (2)، فقد كانت اللغة العربية من العوامل المساعدة على تقوية الدولة الإسلامية، وترابط أجزائها، وعملت على تقوية العلاقة بين أقطارها، فكانت هي لغة البلاد من بغداد حتى شبه الجزيرة الإيبيرية، ففي القرن الثالث الهجري، حين سادت الفصحى في الأمصار التي فتحها المسلمون، أصبح الناس يتطلعون إلى هذه اللغة، ويعتزون بها، ويرون فيها وحدها ما يجذب بعضهم إلى بعض، وما يميزهم عن باقي الأمم (3)، فينبغي إعادة هذا الإحساس وغرسه في نفوس الأجيال العربية الجديدة.

وبخصوص الهوية فقد حذر كثير من المربين الغيورين على الهوية العربية من محاولات الاستعمار الغربي الجديد، الذي يسعى إلى صنع أجيال عربية فارغة المحتوى، وبعيدة كل البعد عن تراثها العربي العريق ولغته الرصينة، وذلك بما يبثه من سموم فكرية خبيثة، تهدف إلى صبغ الجيل الجديد بثقافة غربية منحلة، وإنشاء جيل أجوف تحركه الغرائز التي تحرك الحيوان، وقد تنوعت الأساليب التي استعملها المستعمر في هجماته، مستغلا الطفرة التكنولوجية الهائلة، ووسائل المعرفة الحديثة التي سهلت التواصل، والوصول إلى عقول شباب العالم الثالث من قنوات إعلامية، ومواقع إلكترونية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وصحف ومجلات، وكتب ورقية ورقمية وغيرها.

---

[1] - حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم- الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط2، سنة 1990، ص95.

[2] - ينظر: وليد أحمد العناتي، تعريب التعليم ومنزلته في بناء مجتمع المعرفة، دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية، (د ت)، مجلد 81، ج1، ص20 . 22.

[3] - ينظر: إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، ص214.

وقد شكا الأستاذ أحمد موسى قائلا: ((إن الطفولة في بلادنا مهدّدة بالضياع القومي، والاغتراب الوطني، والاحتواء المذهبي؛ أي أننا لانعرف فضائل قومنا ولا عظمة تاريخنا ولا قيمة رسالتنا ولا جمال لغتنا وروعة بيانها، ومنذ أن تحرك الفم نحو النطق والتعبير، يبدو شبح اللغات الأجنبية والألفاظ السوقية، وتتعرض النفوس الغضة لغزو مشبع بالفكر الأجنبي، ولصور تنقل إلينا ملامح غيرنا، ولكتب ومجلات متخصصة في تشويه شخصيتنا، وإبعادنا عن منابتنا، وتجهيلنا في ديننا وتعريفنا بالسلوك الأوروبي وحده!)) [1].

إذن يجب تعزيز العربية في أذهان ونفوس النشْء، وتربية الأطفال على حب العربية، وخلق البيئة الملائمة لذلك، وتوفير كل الاحتياجات التي تخدم هذا التوجه.

المبحث الثاني: مجتمع المعرفة:

المطلب الأول: تعريف ومفهوم مجتمع المعرفة:

أولا: تعريف مجتمع المعرفة:

مجتمع المعرفة كما عرَّفته منظمة اليونيسكو: هو المجتمع الذي لديه قدرات على إنتاج المعلومات ومعالجتها ونقلها واستخدامها من أجل التنمية الإنسانية [2].

ومجتمع المعرفة كما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربي هو: ((المجتمع الذي تتدفق فيه المعارف بسهولة ويسر، بدون عوائق أو صعوبات بحيث يمكن الوصول إليها بطرق سريعة)) [3]، وعرفته مجلة (النادي العربي للمعلومات) بأنه: ((مجتمع يعتمد في تطويره بصفة رئيسة على المعلومات والحاسبات الآلية وشبكات الاتصال)) [4].

---

[1] - محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار نهضة مصر، ط1، (دون مكان)، ص120.

[2] - ينظر: unsesco . towards knowledge societies .paris : unesco publishing 2005 p.27.

[3] - الأمم المتحدة، تقرير التنمية الإنسانية العربي، صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي الاقتصادي والاجتماعي، سنة 2003، ص17.

[4] - عرين، مجلة النادي العربي للمعلوماتية، العدد 28، شباط، سنة 2003، ص9.

من هنا يمكن تعريف مجتمع المعرفة بأنه: المجتمع الذي يعطي المعرفة الأهمية القصوى، وتلعب فيه تكنولوجيا المعلومات دورا أساسيا في جميع معاملاته؛ بهدف الوصول إلى رفاهية أبنائه، وتحقيق التنمية والتطور المنشود.

فالتنمية المعرفية من الأهداف التي يسعى أي مجتمع مثالي؛ لتحقيقها عن طريق استعمال شتى الوسائل الحديثة، فالمجتمعات الفاعلة تنمويا هي المجتمعات المنتجة للمعرفة، والموظفة لها، وتمتلك العقول المتميزة بالاقتدار المعرفي (1).

وإذا ما عرفته –أي مجتمع المعرفة- من منظور لغتنا، أرى: بأنه المجتمع الذي يسعى إلى استعمال كل التقنيات الحديثة، والمعارف المتطورة؛ لخدمة اللغة العربية وتنميتها وتطوير تعلمها وتعليمها.

فاللغة وثيقة الصلة بالمعرفة، وهي من أهم أدواتها، وقد وعى الفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر ذلك، ورأوا أن المعرفة ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة، كما أنهم أكدوا على ضرورة أن يجمع مجتمعهم المعلومات المتوافرة كلها في أي لغة كانت، من أجل تنظيمها في معارف، بحيث ستسهم هذه المعارف في تطوير التيارات الفكرية والأدبية عندهم (2).

ثانيا: مفهوم مجتمع المعرفة:

مجتمع المعرفة من الناحية المصطلحية، فقد أطلق عليه المنظرون من فلاسفة ومؤرخي تكنولوجيا وعلماء اجتماع وكتاب عدة تسميات مترادفة من أهمها:

- مجتمع المعرفة.
- مجتمع المعلومات.
- مجتمع ما بعد الحداثة.
- الموجة الثالثة.

---

[1] - ينظر: علي براجل وإحسان براجل، دور التربية والتعليم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفق الرؤية الإسلامية، الإمارات: مجلة جامعة الوصل للدراسات الإسلامية والعربية، العدد 56، ديسمبر/ سنة 2018، ص344.

[2] - ينظر: Encyclpedie v ou Dictionnaire raisonne des sciences, des. Orts des metlers (1755), pp.916-917.

- عصر اقتصاد المعرفة [1].

والمفهوم العام له يشمل كل هذه التسميات، وإن اندرجت تحتها بعض المدلولات ذات الخصوصية أحيانا، لكنها تدور كلها حول مفهوم النّقلة المجتمعية الحادة التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات، هذه التكنولوجيا الساحقة، وليدة التلاقي الخصب للعديد من الروافد العلمية والتكنولوجية، والتي يتسنم قمتها ثالوث تكنولوجيا الكمبيوتر، ونظم الاتصالات، وهندسة التحكم التلقائي [2].

غير أن أكثر تسمياته شيوعا هي تسميته بمجتمع المعرفة، ومجتمع المعلومات، ومفهوم مجتمع المعرفة أشمل وأوسع من مجتمع المعلومات نوعا وكيفاً، فمجتمع المعرفة هو مجتمع قائم على أساس التعلم، وتناول المعلومات بالتحليل والنقد بهدف الاستنباط والابتكار[3]، أما مجتمع المعلومات فهو قائم على أساس جمع المعلومات، وفحص مصادرها لاستقاء المزيد منها وتداولها[4].

وتجدر الإشارة إلى أن مجتمع المعرفة المنشود ليس بحوثا ومبتكرات علمية وتقنية يمكن توظيفها لتقديم منتجات متميزة تؤدي إلى الثروة فحسب؛ بل إن مجتمع المعرفة هو كل ذلك، إضافة إلى أنه مجتمع ذو تفاعل متواصل يحفز استيعاب المعرفة وتوليدها، ويعزز انتشارها وشراكة الجميع فيها، ومسؤوليتهم عن توظيفها والاستفادة منها اقتصاديا واجتماعيا وإنسانيا [5].

المطلب الثاني: اللغة العربية وإشكالية انخراطها في مجتمع المعرفة:

تعيش المجتمعات العربية اليوم أزمة لغوية تفشت حتى كادت أن تصبح عاهة، ويتوسع أمين الخولي في الحديث عن هذه الأزمة وعظم خطرها فيقول: ((إن آفات مجتمعنا في

1 - ينظر: نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد 184، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إبريل/ سنة 1994، ص11.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص12.

3 - ينظر: الأمم المتحدة، تقرير التنمية الإنسانية العربي، سنة 2003، ص39.

4 - ينظر: مجتمع المعرفة العربي ودوره في التنمية، جدة: (نحو مجتمع المعرفة) سلسلة يصدرها مجلس جامعة الملك عبد العزيز، الإصدار الأول، سنة 1425هـ، ص9.

5 - ينظر: التعليم العالي وبناء مجتمع المعرفة في المملكة العربية السعودية: تقويم دولي، الرياض: وزارة التعليم العالي، ط4، سنة 2014. ص11.

جمهرتها تعود إلى علل لغوية، تصدع الوحدة، وتحرم الدقة، وتبدد الجهد)) [1] ويعزو الخولي أن أصل هذه الأزمة يرجع إلى عدة أسباب أهمها:

1- عدم إلمام الكثير منا بالجوانب العديدة لإشكالية اللغة، فيقتصرون على تناول هذه الإشكالية غالبا من جانب المصطلح والتعليم فقط، ويغفلون واقع العربية في عصرنا في ظل التحولات المعرفية الراهنة، والانفجار المعلوماتي، الذي لو استغل الاستغلال الأمثل سيحقق نقلة نوعية هائلة، ترجع بفوائد جمة على لغتنا.

2- القصور المعرفي لمعظم المنظرين اللغويين عندنا.

3- خطأ التّشخيص لدائنا اللغوي وضعف الشخصية اللغوية لدى الكثير منّا، وفقدان الثقة بلغتنا، لما للدعاوى المغرضة المتداولة بين الفينة والأخرى من تأثير سلبي، وعدم التصدي لها من مطلق علمي واعٍ [2].

ويرى الدكتور نبيل علي أننا نشكو أزمة لغوية حادة، وقد جاءت تكنولوجيا المعلومات؛ لتضيف إلى هذه الأزمة بعدا فنيا متعلقا بمعالجة اللغة العربية آليا بواسطة الكمبيوتر، ولا يخفى على أحد أن وضعنا اللغوي الراهن، ينذر بفجوة لغوية تفصل بيننا وبين الكثير من الأمم التي تولي لغاتها القومية أقصى درجات الاهتمام، بصفتها شرطا أساسيا للحصول على عضوية (نادي المعلومات العالمي)، وقد أغفلت معظم دراساتنا اللغوية جوانب استخدام اللغة وظيفيا، بمعنى استخدامها في مسار الحياة الواقعية، في إبداء الآراء والدفاع عنها، وفي التراسل والتهاتف، وعمليات التبادل والتفاوض، فنحن ما زلنا أسرى اللغة المكتوبة وغير ملمين بالعلاقات اللغوية والتداولية التي تربط بين الأداء الشفوي والكتابي لدينا، ويتجلى ذلك بوضوح في أساليب حوارنا، وهذا لا يرجع إلى قصور في لغتنا، فهي تمتلك العديد من الأدوات؛ لتصبح لغة حوار فعالة.

وإذا نظرنا إليها من منظور معالجة اللغات الإنسانية آليا بواسطة الكمبيوتر، فقد أثبتت اللغة العربية جدارتها كلغة عالمية، فبفضل توسطها اللغوي يسهل تطويع النماذج البرمجية المصممة للغة العربية، لتلبية مطالب اللغات الأخرى وعلى رأسها الإنجليزية،

---

1 - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت،: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 265، يناير/ سنة 2001، ص 234.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص234 - 235.

فاللغة العربية -بلغة الرياضيات الحديثة- يمكن النظر إليها على أنها فئة عليا superset تتدرج في إطارها كثير من اللغات الأخرى كحالة خاصة من هذه الفئة العليا، إلا أن الجهود المبذولة في هذا الإطار لا تليق بعظمة هذه اللغة وخصائصها، كما أن اللغة العربية في عصر العولمة وثورة المعلومات، تتعرض لحركة تهميش نشطة، بفعل الضغوط الهائلة، الناجمة عن طغيان اللغة الإنجليزية على المستوى السياسي والاقتصادي والتكنولوجي والمعلوماتي، وتشارك العربية - في ذلك- معظم لغات العالم، إلا أن اللغة العربية تواجه تحديات إضافية؛ نتيجة للحملة الضارية التي تشنها العولمة ضد الإسلام، ومن ثم ضد العربية، لما بينهما من ارتباط وثيق [1].

فبالرغم من أن عدد الناطقين بالعربية يقدر بـ 300 مليون نسمة (ما يعادل 4.7% من سكان العالم) إلا أن نسبة مستخدمي الشابكة (الإنترنت) من العرب لا يتجاوز 1.4% ، وضعف الدخول إلى الشابكة يسبب تأخرً في دخول عصر المعلومات، بالإضافة إلى أن معظم هؤلاء المستخدمين العرب للإنترنت يتعاملون مع مواقع غير عربية وخاصة المواقع الإنجليزية، حيث قدرت نسبة المكتوب باللغة الإنجليزية وحدها من كل المادة المعروضة على الانترنت بـ 88% [2].

- بعض الجهود المبذولة في سبيل انخراط اللغة العربية في مجتمع المعرفة:

الحديث عن الأزمات التي تواجهها أمتنا، وتحديد مواطن الضعف والقصور والتقصير، لأجل وضع الحلول والمقترحات لها أمر ضروري ومطلوب، لكن من غير المحمود التوسع في ذلك أكثر مما يجب، ومن غير المحمود التحدث بيأس وإحباط وانهزامية، لما في ذلك من نتائج سلبية ذات مردود عكسي؛ كما أنه من الضروري أيضا ذكر الإيجابيات؛ ومنها تلك الجهود المبذولة مؤخرا لتمكين العربية في مجتمع المعرفة والارتقاء والنهوض بها، فقد شهد المشهد السياسي العربي على الصعيد الرسمي منذ سنة 2007 نشاطا بارزا في هذا الميدان، مما يدل على تنامي وعي لغوي جديد، وذلك حين اجتمعت شخصيات سياسية عربية ولغويين بارزين بعد أن استشعروا الحال الذي وصلت إليه لغتنا العربية من تفريط

---

[1] - ينظر: المرجع نفسه، ص240 - 243.

[2] - ينظر: عمر عبد الهادي عتيق، اللغة العربية بين العولمة والأصالة، تجليات العولمة في اللغة العربية، (دون مكان) مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 22، شباط 2011، ص368.

وإهمال، فقاموا بإعداد وثيقتين مهمتين، الأولى أعدت في دمشق وأسموها: (خطة عمل وطنية؛ لتمكين اللغة العربية، والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها) وقد ترأس وأشرف على هذه الخطة الدكتور محمود السيد عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وهو شخصية علمية له خبرة تربوية بحكم عمله الطويل في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) alecso، وأُرّخت هذه الوثيقة في 2007/1/25، وقد جاء في ديباجتها ما نَصّه: ((يجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا؛ كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائنا حيا ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهرا لانتمائنا القومي، وكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات؛ ولتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعا متينا في مواجهة محاولات التغريب والتشويش ...)) [1].

وقد تناولت هذه الوثيقة موضوعا في غاية الأهمية لطالما كان ضمن حيز الإهمال، فموضوع تمكين العربية والارتقاء بها في غاية الأهمية، ويمس هوية الفرد العربي، ومجتمعه ومحيطه المعرفي الذي بات لزاما عليه الاندماج فيه، متسلحاً بالمعرفة والعلم والثقافة.

أما الوثيقة الأخرى فقد صدرت في تونس مؤرخة عام 2010 تنص واجهتها على أنها صادرة في الوقت نفسه عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وعن الجمهورية السورية لجنة التمكين للغة العربية وكان عنوان الوثيقة: (مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة)، كذلك في السنة ذاتها أصدرت الألكسو وثيقة موازية للسلسلة التي انبرت، تبلور بها مشروع النهوض باللغة العربية وكان عنوانها: (تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية، وأثره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفي التوجه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة وقواعدها)، وقد صدر المدير العام للألكسو-وقتئذ- محمد العزيز بن عاشور هذه الوثيقة بقوله: ((لقد بات من المؤكد تعاظم أهمية اللغة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وصدرت العديد من النظريات في هذا المجال، وخاصة في زمن العولمة ... للغة عدة وظائف وأدوار في عملية التنمية، فهي توفر تبادل ونقل المعرفة والخبرة بين أفراد المجتمع ومؤسساته، وهو وسيلة التواصل بين أجزاء منظومة

---

[1] - عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، سنة 2014، ص79- 80.

العلوم والتكنولوجيا)) [1]، وأضاف قائلاً : ((إن تعلم العلوم والتكنولوجيا والتدرب عليهما، وتحويل هذه المعرفة إلى خبرات وأفعال ومنتجات وخدمات يحتاج لغة)) [2]، وختم حديثه بقوله: ((لقد حان الوقت لدراسة دور اللغة العربية في الاقتصاد العربي، كما أصبحت مسألة إعداد سياسة قومية وسياسات وطنية للغة، ودورها في عملية التوجه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة مسألة ملحة، تندرج ضمن توجهات مؤتمر القمة العربية الأخيرة، وكما قيل لم يشهد التاريخ تقدم أمة من الأمم بغير لغتها)) [3].

ومن الجهود الطيبة في خدمة اللغة العربية بشكل عصري ما قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة، التي انبعثت فيها بتاريخ 28/ 9/1999م جمعية اختار مؤسسوها تسميتها: بـ(جمعية حماية اللغة العربية) وكان مقرها الشارقة، وكان من أهم أهدافها غرس الاعتزاز باللغة العربية والتوعية بأهميتها، وحث الهيئات والمؤسسات الرسمية على جعلها لغة التعامل، وبعدها بحوالي عقد، أي في أواخر عام 2009 م أطلق ولي عهد إمارة أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان مبادرة حملت في بدايتها عنوان: (مشروع تطوير اللغة العربية) وانبثق عن هذه المبادرة فيما بعد مشروع إنشاء مؤسسة تعنى باللغة العربية أطلق عليها اسم (أكاديمية اللغة العربية) مقرها أبو ظبي، كان من أهم أهدافها كما وردت في وثيقة إنشائها: هو معالجة قضايا اللغة العربية، وفض الإشكالات العالقة بتداولها، وتعلُّمها، وجعلها اللغة المعبرة عن حاجات العصر، ورهاناته النابعة من الثورة المعرفية الكبرى التي تعيشها الإنسانية قاطبة.

وما هي إلا فترة وجيزة حتى أطلق حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد في مايو 2012 مبادرته الرامية إلى المحافظة على اللغة العربية، وتعزيز مكانتها في المجتمع، وجاء في صدارتها ما سُمّيَ (بميثاق اللغة العربية) وتم الإعلان عن تأسيس مجلس استشاري تنفيذي يعمل على تعزيز العربية وتمكينها في المجتمع [4].

---

[1] - المرجع نفسه، ص 93.

[2] - المرجع نفسه، ص93- 94.

[3] - المرجع نفسه، ص94.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، من ص161- 167.

فكل هذه الجهود يجب استثمارها والعمل على ديمومتها بفاعلية، والانخراط في المكونات والبرامج المنبثقة عنها.

المطلب الثالث: مقدرة العربية على التطور ومواكبة عصر المعرفة:

التطور من سنن الحياة منذ أن خلق الله الأرض إلى أن يرثها ومن عليها، فالذي لا يتطور يموت، ولغتنا ليست استثناءً من هذا في عصر سمته التغير والتطور السريع، فيجب أن تنمو وتتطور لتواكب هذا الانفجار المعلوماتي، فاللغات الأخرى تثري دوما معجمها اللغوي، فالإنجليزية مثلا يضاف إليها يوميا مصطلحات جديدة مثل: Telephone, Radar, Transistor, Radio وغيرها، ونحن يتحتم علينا توليد مصطلحات جديدة، لتلك المصطلحات المستحدثة عند غيرنا، على غرار الهاتف والمذياع وغيرها.

ونحن لا ننكر أن لغتنا أصابها بعض الركود الذي أصاب الأمة من تأخر عن ركب الحضارة، ونحن اليوم نقف بها أمام تحديات كبرى، تتطلب منا وعيا بما يشهده العصر من متغيرات معرفية هائلة، تفرض على لغتنا أن تستغل خصائصها ومرونتها في النمو والتوسع، وقد شهد لها حتى الغربيون بهذه المقدرة، يقول المستشرق الأمريكي وليم وورل: ((إن للغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها)) [1] ومن هذه الخصائص الاشتقاق والنحت والتعريب وغيرها؛ فلنستعملها لاستيعاب المصطلحات التي فرضت نفسها على واقعنا اليومي، وأن نستفيد من ثراء معجمنا التراثي ومخزونه الهائل من الألفاظ المهملة، ولا نخجل إذا بعد المدلول -نوعا ما- عن المعنى المراد توليد مثيل له، يقول الدكتور بالقاسم دفة عن هذا: ((في ظل هذه العولمة يجب أن تتطور اللغة العربية؛ لأن التقدم الحضاري يرافقه توسع في مفردات اللغة، وهذا حدث في الغرب، إلا أن التوسع في مفردات اللغات الغربية قام أكثره على مفردات اعتباطية، غير أنه بسبب ذيوعه وانتشاره اكتسب دلالات معينة مفيدة، ساعدت على تطور ونمو مفردات المعاجم الغربية)) [2].

---

[1] - محمود السيد، التمكين للغة العربية آفاق وحلول، دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، المجلد 83، ج2/ حزيران، سنة 2008. ص308 - 309.

[2] - بلقاسم دفة، الجزائر: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 8، سنة 2012، ص313.

كل هذه الميزات التي ذكرناها تجعل لغتنا العربية قادرة على مواكبة عصر المعرفة، وهي من منظور معلوماتي تتسم بصفات كثيرة مهمة مثل: المرونة النحوية؛ أي الحرية التي تتيح للكلمة تبديل موقعها في الجملة مع احتفاظ الجملة بذات المعنى، حيث تتيح هذه الخاصية للمنظرين معالجة النحو العربي آليا.

كما أن ابتداء العربية -كما هو معلوم- دائما بمتحرك جعلت كلمات العربية تتميز بأنها ذات نبر بسيط، فلا تبدأ بصامتين أبدا، ولهذه السمة أهمية كبيرة في توليد الكلام العربي، بحيث يبدو الصوت المولد طبيعيا، كذلك أعطى ثراء المعجم العربي وكثرة الترادف للعربية مقدرة توليدية عالية، يمكن استغلالها في وضع المصطلحات [(1)].

المطلب الرابع: اللغة العربية لغة علم وتعليم:

بعد معرفتنا بعبقرية اللغة العربية التي شهد بها القاصي والداني، نجد أنفسنا أمام سؤال لحوح يفرض نفسه علينا، ولا يسعنا التملص من الإجابة عنه، ألا وهو كيف لم يتيسر لهذه اللغة أن تكون لغة تعليم في جميع التخصصات في كل البلدان العربية؟

من هنا يتحتم علينا محاولة الإجابة عن هذا السؤال والبحث في هذه الإشكالية الحساسة.

من أهم الأسباب -في نظري- لا يرجع إلى قصور في اللغة العربية نفسها، بل هو سبب خارجي، ألا وهو استبداد مؤثرات خارجية ذات سلطة طاغية ووقوعنا تحت تأثيرها، وأعني به هنا طغيان اللغة الإنجليزية، فهي لغة فرضت نفسها بقوة أهلها وتقدمهم اقتصاديا وسياسيا، وهذا التفوق اللغوي معروف تاريخيا ومجرب كما يصرح جون إداوردز: إن أقوى العوامل التي تقف وراء ضعف اللغة هو عدم كفاءة أهلها وضعفهم، في مقابل الآخر الذي يتمتع بقوة اقتصادية وتقنية عالية [(2)].

ويبدو مظهر تفوق اللغة بتفوق القوة أشد رسوخا وثباتا في هذا العصر في ظل العولمة الاقتصادية، والانفجار المعرفي المتسارع، فقد أصبح الاقتصاد هو المتحكم في حياة الشعوب، وأصبح كل شيء يقاس بمقياس الربح والخسارة، وظهر ما عرف مؤخرا باقتصاد المعرفة، الذي يدل دلالة مباشرة على شدة ارتباط الاقتصاد بالمعرفة، فقد بات ينظر إلى

[1] - ينظر: نبيل علي، العرب وعصر المعلومات. من ص232 - 238.

[2] - ينظر: John Edwards, language, society, basil Blackwell, Oxford- New York, 1985, p50.

اللغة في هذا العصر على أنها سلعة تسويقية منفصلة عن الهوية، بل إن الهوية نفسها أصبحت تسوق، واتسم هذا العصر بالتغيير السريع، فصارت فيه اللغات غير قادرة على الصمود في وجه الطغيان اللغوي أمام لغات الشعوب المتقدمة، وخاصة اللغة الإنجليزية.

ولعل التعليم من أكثر المجالات التي يظهر فيها تأثر اللغة بما يطرأ على المجتمعات من تقلبات اقتصادية وسياسية واجتماعية، لذا نجد الدول -خاصة النامية منها وشعوب العالم الثالث- تقع تحت هيمنة اقتصادية وسياسية ولغوية بحيث نراهم ينساقون وراء اعتماد الإنجليزية لغة للتعليم، مما ينعكس سلباً على لغتهم الأم، ويؤدي إلى تهميشها، مع العلم أن الدراسات تشير إلى أن التعليم بلغة وافدة غير اللغة الأم يسبب في تدني التحصيل قياسا بمن يتعلمون بلغتهم الأصلية، فقد أشار التقرير السنوي لليونيسيف لعام 1999م إلى أن بحثا موسعاً حول لغة التعليم يبين أن الأطفال تظهر عليهم السرعة في تعلم القراءة، وتحصيل المعلومات والمهارة حين يتعلمون بلغتهم الأم، بل يظهرون سرعة في تعلم اللغة الثانية أكثر من غيرهم ممن بدؤوا في تعلم القراءة بلغة أجنبية عنهم [(1)].

كذلك الدعاوى الباطلة من ضعف العربية، وكثرة قواعدها كانت من الأسباب المهمة التي أدت إلى العدول عنها لغة للبحث والتعليم، تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ: ((مازال جيلنا منذ وعى يسمع دعاوي عن عجز العربية عن أداء العلوم الحديثة، حتى كدنا ننسى ماضيها العلمي في عصر الحضارة الإسلامية)) [(2)]، ومما يتعجب منه كيف للغة ذات خصائص متميزة، وتجربة نهضوية أن توصف بالقصور والجمود، يقول عضو المجمع العلمي العراقي الدكتور محمود الجليلي: ((إن اتساع اللغة العربية يجعلها قابلة للتطور؛ لتستوعب النمو السريع في مختلف العلوم والفنون، وقد سبق لها أن استوعبت العلوم والفلسفة قبل مئات السنين، وهي الآن ماضية في نفس السبيل)) [(3)]، وعلى رأي الدكتورة آمال بايشي التي ترى في العربية لغة تتصل بماضيها المعرفي، غير أنه يجب تطويعها وعصرنتها بشتى الوسائل التي تخدم مجال البحث والتعليم، تقول: ((فالعربية ليست منقطعة عن تاريخها العلمي، ولن

---

[1] - ينظر: unisef, the state of the world,s children New york, 1999, p 41-45.

[2] - عائشة عبد الرحمن، اللغة العربية وعلوم العصر، مجلة اللسان العربي، مجلد 13، ص15.

[3] - إدريس العلمي، في اللغة، ص16.

تستقيم في الكتابات العلمية المعاصرة إلا أن يوليها أهل العلم عنايتهم، فلن يصلح جهدهم وعلمهم، إذا ما أغفلوا الاهتمام بالوسيلة التي تنقل هذا العلم)) [1].

ولغتنا العربية قادرة أن تكون لغة علم وبحث وتعليم في عصرنا للأسباب والضرورات الآتية:

1- اللغة العربية هي وسط بين اللغات الأخرى، وهي أسهل بكثير من اللغات التي يتشدق بها دعاة التغريب، فالألمانية مثلا ذات قواعد صعبة، فتنقسم الأسماء فيها إلى مذكر ومؤنث وجنس ثالث لا تعرفه العربية هو المحايد، ولكل منها أربع حالات إعرابية، ولا تجد من يهاجمها كما تهاجم العربية.

2- تتميز العربية عن غيرها بأنه لغة تتصل بالتراث اتصالاً عميقا، وبحفظها لكتاب الله، فالتراث العربي وكذلك تعاليم الدين الإسلامي كتبت بالعربية.

3- يتعين التدريس بالعربية؛ لأن مجتمع المعرفة المثالي –كما عرفنا- يهدف إلى إشاعة المعرفة بين الناس، وصولاً إلى رفاهية جميع أبنائه، وفي اعتماد لغة أجنبية عن الشريحة العظمى، تجعل تلك اللغة لغة نخبة ومقتصرة على النخبة التي تتكلمها فقط، وفي هذا تناقض مع أبسط حقوق المعرفة التي ينبغي أن تكون مشاعة بين أفراد المجتمع.

4- التدريس باللغة العربية يوفر مبالغ طائلة ستنفق سنويا في شراء كتب التخصصات المختلفة: الطب والصيدلة، والحاسب الآلي، والعلوم ... إلخ [2].

5- اتساع العربية يجعلها قابلة للتطور والنمو سريعا، ولها تجربة تاريخية في ذلك، فقد استوعبت من قبل في مطلع النهضة شتى علوم الأمم الأخرى، كما استوعبت بكل اقتدار علوم الفلسفة ومصطلحاتها على غموضها وتشعبها [3].

6- ما تتسم به العربية من مرونة وما تمتلك من صفات الاشتقاق والترادف النحت وغيرها من السمات، يعطيها المقدرة والكفاءة التعليمية المطلوبة.

[1] - آمال محمد بايشي، الإشكالية المنهجية في الكتابة باللغة العربية الأبحاث الاجتماعية أنموذجاً، الإمارات: مجلة جامعة الوصل للدراسات العربية والإسلامية، العدد 57، يونيو/ سنة 2015، ص365.

[2] - ينظر: وليد العناتي، تعريب التعليم، من ص10 - 13.

[3] - ينظر: إدريس العلمي، في اللغة، ص16.

فينبغي علينا الحفاظ على لغتنا العربية من التهميش الذي من أهم مظاهره الانسياق وراء التوسع بالتعليم الأجنبي على حساب لغتنا، ولدينا أمثلة من أمم غيرنا حققت نموا ونهضة بلغتها القومية، فاليابان مثلاً: ((بعد أن استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، فعرض الأمريكيون شروطهم المجحفة على اليابان المستسلمة مثل تغيير الدستور وحل الجيش ونزع السلاح ... إلخ، وقد قبلت اليابان جميع تلك الشروط ماعدا شرطا واحدا لم تقبل به، وهو التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فكانت اليابانية منطلق نهضتها العلمية)) [1].

كذلك يجب الاهتمام بالمناهج الدراسية في تعليم العربية، خاصة في الصفوف الابتدائية والإعدادية والتركيز على اختيار المحفوظ الجيد؛ لتنمية الرصيد اللغوي والذائقة اللغوية، مع كثرة التطبيق لقواعد اللغة المختلفة، ولا بأس من تيسير بعض تلك القواعد بما لا يتنافى مع الثوابت ولا يهدم الأصول، كما لا يمنع أن تُدرَّس اللغات الأجنبية في المراحل الإعدادية، لكن لا تكون هي الأساس وعليها الاقتصار.

الخاتمة:

وصلت بهذا البحث إلى مجموعة نتائج، وبعض التوصيات، ومنها:

النتائج:

من أهم النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

- لغتنا هي هويتنا وكياننا، ومن أهم الروابط التي تربط أبناء الأمة العربية.
- اللغة العربية، قادرة على التعبير الدقيق، كيف لا وقد وسعت كلام الله، ولها تجربة تاريخية في استيعاب العلوم المتشعبة في عصر نهضتنا.
- العربية بفضل توسطها اللغوي لغة معرفة، قادرة على مواكبة التطور، وجديرة أن ترجع كعهدها لغة عالمية.

[1] - محمود السيد، التمكين للغة العربية، ج2، ص303.

- العربية لغة علم وهي الأنسب لتكون لغة تعليم لكل الشعوب العربية؛ لاتصالها بالتراث، ولأنها لغة كل أفراد المجتمع وليست نخبوية، والتعليم بها يوفر كثير من المال والجهد.

التوصيات:

ومن أهمها:

- توعية كل فرد بأهمية قضية اللغة باعتبارها مسألة جوهرية لكل مجتمع إنساني.
- التركيز على تعليم القرآن الكريم في مناهج الدراسة، حفظا وتفهما، وتخير المحفوظ الجيد والمتنوع والإكثار منه خاصة في سنوات التعليم الأولى.
- ينبغي تنمية الاعتزاز بلغتنا عند الجيل الجديد، بتشجيع تعلمها وتعليمها.
- الإشادة بلغتنا في المؤتمرات والمسابقات الثقافية، ودعم التأليف والترجمة.
- تنمية العربية بتشجيع التعليم الذاتي، ودعم التعليم النظامي والتقليدي.
- استغلال وسائل المعرفة الحديثة في خدمة العربية.
- الحد من التوسع بالتعليم الأجنبي، والتنبه لخطورة ذلك خاصة في المراحل الابتدائية.
- تعزيز مشروع الرصيد اللغوي العربي الذي أنجزته الجامعة العربية عام 1985، بتحديد حصيلة من الألفاظ الفصيحة لإفادة تلاميذ الابتدائية.
- لابأس من تيسير بعض علوم العربية، بما لا يهدم الثوابت اللغوية، كذلك الحرص على الاستعانة بالعلوم العصرية والتكنولوجيا لخدمة العربية.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، سنة 1970.
- إدريس بن الحسن العلمي، في اللغة، جمع وتقديم أمل العلمي، ، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، سنة 2001.
- آمال محمد بايشي، الإشكالية المنهجية في الكتابة باللغة العربية الأبحاث الاجتماعية أنموذجاً، الإمارات: مجلة جامعة الوصل للدراسات العربية والإسلامية، العدد 57، يونيو/ سنة 2015.
- إليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دمشق، ط1، سنة 1993.
- الأمم المتحدة، تقرير التنمية الإنسانية العربي، صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي الاقتصادي والاجتماعي، سنة 2003.
- بسام بركة، فايز الصياغ وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التّعليم والتّرجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، سنة 2013.
- أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1998.
- بلقاسم دفة، الجزائر: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 8، سنة 2012.
- التعليم العالي وبناء مجتمع المعرفة في المملكة العربية السعودية: تقويم دولي، الرياض: وزارة التعليم العالي، ط4، سنة 2014.
- تيودور نولدكة، اللغات السامية تخطيط عام، ترجمة رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت).
- الجرجاني، علي الشريف، التعريفات، (د تح)، مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1985.

- جون جوزيف، اللغة والهوية، قومية- إثنية- دينية، ترجمة عبد النور خراقي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد 342، أغسطس/ سنة 2007.
- حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم- الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط2، سنة 1990 .
- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق جمعة شيخة، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع-الدار التونسية للنشر، (دون مكان)، سنة 1984.
- رمزي البعلبكي، وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي . إشكالية تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سنة 2013.
- بو زغاية باية، ابن داود العربي، إشكالية الهوية والعولمة والثقافة، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (د ت).
- سعاد بضياف، ولبوخ بو جملين، الجزائر: مجلة الأثر، العدد 25، جوان/ سنة 2016.
- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، سنة 2014.
- عبد العزيز بن عبد الله، اللغة العربية وتحديات العصر، الرباط: مجلة اللسان العربي، إصدار مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، مجلد 13، سنة 1976.
- عرين، مجلة النادي العربي للمعلوماتية، العدد28، شباط، سنة 2003.
- عمر عبد الهادي عتيق، اللغة العربية بين العولمة والأصالة، تجليات العولمة في اللغة العربية، (دون مكان) مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 22، شباط/ 2011.
- علي براجل وإحسان براجل، دور التربية والتعليم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفق الرؤية الإسلامية، الإمارات: مجلة جامعة الوصل للدراسات الإسلامية والعربية، العدد 56، ديسمبر/ سنة 2018.

- ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، سنة 1993.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1999.
- مارسيل غوشيه، الدين في الديموقراطية، مسار العولمة، ترجمة شفيق محسن، مراجعة بسام بركة، علوم إنسانية واجتماعية، (دون مكان) سنة 2007.
- مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1979.
- مجتمع المعرفة العربي ودوره في التنمية، جدة: (نحو مجتمع المعرفة) سلسلة يصدرها مجلس جامعة الملك عبد العزيز، الإصدار الأول، سنة 1425هـ.
- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 1999.
- محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار نهضة مصر، ط1، (دون مكان).
- محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ج6، ص223.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت،: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 265، يناير/ سنة 2001.
- نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد 184، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إبريل/ سنة 1994.
- محمود السيد، التمكين للغة العربية آفاق وحلول، دمشق: مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، المجلد 83 ، ج2/ سنة 2008 م.
- نور الدين صدار، دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة، الناشر كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر: (د ت).

- وليد أحمد العناتي، تعريب التعليم ومنزلته في بناء مجتمع المعرفة، دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية، (د ت)، مجلد 81.

المراجع الأجنبية:

- Encyclpedie v ou Dictionnaire raisonne des sciences, des. Orts des metlers 1755.
- John Edwards, language, society, basil Blackwell, Oxford- New York, 1985.
- unsesco . towards knowledge societies .paris: unesco publishing 2005.
- unisef, the state of the world,s children New york, 1999.

حال إسرائيل بن يونس في الرواية.

The condition of Israel bin Yunus Al-Subaie in the novel.

🖋اسم ولقب المؤلف: فتحي سعد الصالحين محمد

الدرجة العلمية والوظيفة: محاضر مساعد. جامعة درنة، كلية التربية - فرع القبة، قسم الدراسات الإسلامية.

البريد الإلكتروني:——————————

تاريخ استقبال البحث: 2024/07/11م، تاريخ القبول: 2024/10/06م

الملخص باللغة العربية:

يتناول البحث بيان حال راوٍ من رواة الحديث المختلف فيهم بين أئمة النقد جرحاً وتعديلاً، وهو عملية تطبيقية لما رسمه أئمة الحديث من قواعد للتعامل مع من تعارضت أقوال أئمة النقد فيهم جرحاً وتعديلاً، وقد سار البحث في عرضه على تقسيم أقوال أئمة النقد حسب مناهجهم إلى متشدد ومعتدل ومتساهل، والخروج بخلاصة لأصحاب كل منهج، ثم النتيجة العامة لأئمة النقد عموماً، كما ذُكرت بعدها أقوال أئمة النقد المتأخرين، وقد خلص البحث إلى: أن إسرائيل بن يونس من الرواة الثقات، وخصوصاً في روايته عن جده أبي إسحاق السبيعي؛ لملازمته له.

الكلمات المفتاحية: إسرائيل- المتشددين-المعتدلين- المتساهلين- ثقة.

Research summary:

The research deals with an explanation of the situation of one of the narrators of the hadith in whom there is disagreement between the imams of criticism in terms of distortion and modification. It is an application process for the rules drawn up by the imams of hadith for dealing with those whose sayings of the

imams of criticism contradict each other in terms of distortion and modification. The research proceeded in its presentation on dividing the sayings of the imams of criticism according to their approaches to strict. Moderate and lenient, and coming up with a summary for the adherents of each approach, then the general conclusion for the imams of criticism in general, as I mentioned. Then there are the sayings of the late imams of criticism. The research concluded that Israel ibn Yunus is one of the trustworthy narrators, especially in his narration on the authority of his grandfather, Abu Ishaq al-Subaie, which accompanies him.

Keywords :

Israelis - Moderate extremists - Al-Nahlin - Language.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فإن الله تعالى قد بعث نبيه محمداً -ﷺ- بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وترك أمته على المحجة البيضاء الصافية النقية، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته تشريعاً إلى جنب القرآن الكريم، يقتدي به المسلمون في أمور دينهم، وسائر شؤون حياتهم.

ولما كانت السنة النبوية بهذه الأهمية وهذه المنزلة؛ هيأ الله تعالى لها رجالاً أمناء يتلقونها من معينها الصافي ويحافظون عليها ويبلغونها لمن جاء بعدهم، فكان الشرف بذلك للصحب الكرام، وقد جاء في حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- موقوفاً: ((إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد -ﷺ-خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته،

ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه -ﷺ- يقاتلون عن دينه...))[1].

كما أوكل الله تعالى لها بعد انتشارها في الأمصار حفاظاً أوفياء وصيارفة نبهاء، ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فقاموا بجمعها ونقدها وبيان الدخيل عليها... ومما قاموا به بيان أحوال الرواة النقلة لحديث رسول الله ﷺ، حتى يتعرفوا على أمانتهم وصدقهم وحفظهم، أداء للأمانة وصيانة لحديث لرسول الله ﷺ، فبينوا كل ما يتعلق بالراوي مما يخص الرواية: من شيوخهم وتلامذتهم، ومواليدهم ووفياتهم، ورحلاتهم وسائر حياتهم العلمية، فكانت "كقاعدة البيانات" التي من خلالها يعرف حال الراوي بغية الوصول إلى معرفة حال المروي من الحديث النبوي.

وقد برز في ذلك حفّاظٌ كِبارٌ عبر العصور المتقدمة الملازمة للرواية[2]، ثم جمعت هذا الأقوال ودونت في كتب خاصة تعرف بكتب الجرح والتعديل، والناظر في أحوال هؤلاء الرواة سيقف قطعاً على بعض من تباينت فيهم أقوال أئمة النقد وجرحاً وتعديلاً، وإن كان أئمة الحديث قد بينوا الضوابط والقواعد النظرية، إلا أن الجانب التطبيقي في التعامل مع هؤلاء الرواة المختلف فيهم أمرٌ غايةٌ في الأهمية لطالب الحديث؛ ولذا وقع الاختيار على راوٍ من هؤلاء الرواة المختلف فيهم جرحاً وتعديلاً؛ ليكون كالعينة التي من خلالها يتدرب الباحث، ويعلم القارئ المنهجية التي ينبغي السير عليها، وقد جاء هذا البحث بعنوان: (حال إسرائيل بن يونس السبيعي في الرواية).

- **إشكالية البحث:**

تبرز إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

1. ما هي أهم ملامح حياة إسرائيل بن يونس الشخصية والعلمية؟

---

[1] - أخرجه أحمد في المسند، تح: أحمد شاكر 505/3، برقم: 3600، (دار الحديث، القاهرة، ، ط: الأولى، ت: 1995م). موقوفاً على عبد الله بن مسعود. وصححه المحقق الشيخ أحمد شاكر. وقال الحافظ ابن حجر: ((إسناده حسن)). الدراية في تخريج أحاديث الهداية، 187/2. (دار المعرفة، بيروت: لبنان، ط: الأولى).

[2] - كشعبة، ويحيى القطان، وابن مهدي، وابن معين، وأحمد، والبخاري، والنسائي، وغيرهم.

2. ما هي أقوال أئمة النقد المتقدمين في بيان حال إسرائيل بن يونس على اعتبار مناهجهم من حيث التشدد والاعتدال والتساهل؟ وما الخلاصة التي يستنتجها طالب العلم من أقوالهم؟
3. ما هي أقوال أئمة النقد المتأخرين في بيان حال إسرائيل بن يونس على حسب المناهج المتقدمة؟ وما الخلاصة التي ينتهي إليها طالب العلم من أقوالهم؟
4. ما الخلاصة النهائية التي ينتهي إليها البحث بعد الاستقراء والتتبع؟

- **أهداف البحث:**

1. بيان أهم الجوانب التي تُفصح عن شخصية إسرائيل بن يونس.
2. بيان أقوال المتقدمين من أئمة النقد في حال هذا الراوي، ومحاولة الوصول إلى النتيجة التي تجمع بين أقوالهم.
3. ذكر أقوال المتأخرين من أئمة هذا الشأن، مع ذكر الخلاصة.
4. بيان الخلاصة النهائية والنتيجة التي ينتهي إليها البحث في بيان حال هذا الراوي.

- **أهمية البحث:**

تبرز أهمية هذا البحث فيما يلي:

1. الرجوع إلى أقوال أئمة النقد في الكتب المعتمدة، وفهم أساليبهم ومناهجهم وتعاملهم مع الرواة
2. كونه يُعدّ جانباً تطبيقياً؛ مما يجعل الطالب يُحسِن تطبيق القواعد التي رسمها أهل الفن في قضية تعارض الجرح والتعديل.
3. كونه يُكسِب الطالب الدربة على التعامل مع أقوال أئمة النقد المتباينة في الراوي الواحد، وفهمها في سياقها، والجمع بينها وتوجيهها على حسب مناهجهم من حيث التشدد والتساهل.
4. الوقوف على حكم عدل منصف دقيق في حق هذا الراوي؛ يكون خلاصة استقراء وتتبع لأقوال أئمة النقد عبر العصور المختلفة.

- **منهج البحث:**

اقتضت طبيعة البحث أن يكون على المنهج الوصفي والاستقرائي.

- **منهج الباحث:**

1. جمعت أقوال أئمة النقد في حق هذا الراوي، ووثقتها من المصادر الأصلية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.
2. قسمت أئمة النقد إلى متقدمين ومتأخرين، وقسمت كل فريق منهم بحسب مناهجهم من حيث التشدد والتساهل والاعتدال.
3. وضعت خلاصة لأقوال كلٍّ من المتشددين والمعتدلين والمتساهلين، كما وضعت خلاصة عامة للمتقدمين وكذا المتأخرين.
4. خرجت الأحاديث التي وردت في هذا البحث، مع ذكر الحكم عليها من أقوال أئمة الحديث.

هيكلية البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول: ترجمة إسرائيل بن يونس، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.
- المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه وطبقته:
- المطلب الثالث: وفاته.
- المبحث الثاني: أقوال أئمة النقد من المتقدمين. وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول: أقوال الأئمة النقاد من المتشددين.
- المطلب الثاني: أقوال الأئمة النقاد من المعتدلين.
- المطلب الثالث: أقوال الأئمة النقاد من المتساهلين.
- المطلب الرابع: الخلاصة العامة لأقوال الأئمة المتقدمين.
- المبحث الثالث: أقوال أئمة النقد المتأخرين. وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: أقوال الإمامين الذهبي وابن حجر.
- المطلب الثاني: الخلاصة.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ترجمة إسرائيل بن يونس

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده:

- أولاً: اسمه ونسبه: هو أبو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي[1] الكوفي.

والهمداني: بفتح الهاء وسكون الميم والدال المهملة، هي منسوبة إلى همدان، وهي قبيلة من اليمن نزلت الكوفة، وهي همدان بن أوسلة وهمدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[2].

والسبيعي: بطن من همدان، وهو سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان، وبالكوفة محلة معروفة يقال لها السبيع لنزول هذه القبيلة بها[3].

والكوفي: نسبة إلى الكوفة، بلدة في بلاد العراق معروفة.

- ثانياً: مولده: ولد رحمه الله سنة مائة من الهجرة النبوية[4].

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه وطبقته:

- أولاً: شيوخه: روى إسرائيل عن خلق كثير، ولعل من أشهرهم.[5]:

- إبراهيم بن عبد الاعلى: وروايته عنه أخرجها أبو داود في السنن، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن ماجه في السنن.
- أشعث بن أبي الشعثاء: وروايته عنه أخرجها النسائي في السنن، وابن ماجه في السنن.
- جابر بن يزيد الجعفي: وروايته عنه أخرجها ابن ماجه في السنن.

1- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تح: بشار عواد معروف، 476/7 (دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، ط: الاولى، ت: 1422هـ – 2002م). وتهذيب الكمال، للحافظ المزي، تح: بشار عواد، 515/2 (مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت: 1400هـ- 1980م). وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي، 355/7 (مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ت: 1405 هـ - 1985م).

2- ينظر: الأنساب، للسمعاني، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، 419/13.(مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: الأولى، ت: 1382هـ - 1962م).

3- ينظر: المصدر نفسه، 68/7.

4- ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، تح: السيد هاشم الندوي 56/2، (دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، د.ط، د.ت). وتهذيب الكمال، 524/2.

5-ينظر: تهذيب الكمال، 524/2

- زياد بن علاقة : وروايته عنه أخرجها البخاري في خلق أفعال العباد، ومسلم في صحيحه.
- سعيد بن مسروق الثوري: وروايته عنه أخرجها ابن ماجه في السنن.
- سليمان الأعمش: وروايته عنه أخرجها البخاري في الصحيح.
- سماك بن حرب: وروايته عنه أخرجها البخاري في الأدب، ومسلم، وأبو داود في سننه، والترمذي في سننه، والنسائي في سننه.
- جدُّه أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي: وروايته عنه أخرجها مسلم، وأبو داود في سننه، والترمذي في سننه، والنسائي في سننه.
- هشام بن عروة: وروايته عنه أخرجها البخاري في الصحيح.

- ثانياً: تلاميذه: روى عن إسرائيل بن يونس عدد كبير من الرواة، ومنهم[1]:

- أبو داود الطيالسي: وروايته عنه أخرجها أبو داود في السنن.
شبابة بن سوار: وروايته عنه أخرجها البخاري في الصحيح، وأبو داود في السنن، والترمذي في السنن.
- عبد الرحمن بن مهدي: وروايته عنه أخرجها الترمذي في الشمائل، والنسائي.
- عبد الرزاق الصنعاني: وروايته عنه أخرجها الترمذي في السنن.
- الفضل بن دكين: وروايته عنه أخرجها مسلم في الصحيح، والنسائي في السنن، وابن ماجه في السنن.
- النضر بن شميل: وروايته عنه أخرجها البخاري في الصحيح، ومسلم في الصحيح.
- وكيع بن الجراح: وروايته عنه أخرجها البخاري في الصحيح، ومسلم في الصحيح، وأبو داود في السنن، والترمذي في السنن، وابن ماجه في السنن.
- يحيى بن أبي بكير: وروايته عنه أخرجها البخاري في الصحيح، وأبو داود في السنن، والترمذي في السنن.
- يحيى بن زكريا بن أبي زائدة: وروايته عنه أخرجها مسلم في الصحيح.

ثالثاً: طبقته: ذكره ابن حبان في طبقة أتباع التابعين[1]، ورمز له الحافظ ابن حجر بما يدل على ذلك[2].

---

[1] - ينظر: تهذيب الكمال، 524/2.

المطلب الثالث: وفاته:

توفي رحمه سنة ستين ومائة، وقيل سنة إحدى وستين ومائه، وقيل سنة اثنتين وستين ومائة[3].

المبحث الثاني: أقوال أئمة النقد من المتقدمين.

المطلب الأول: أقوال الأئمة المتشددين:

أولاً: أقول المتشددين:

1◆ ابن معين: (ت: 233هـ):

قال ابن الجنيد: ((قلت ليحي بن معين: أيهما أثبت شريك أو إسرائيل؟ قال: إسرائيل أقرب حديثاً، وشريك أحفظ))[4].

وقال أحمد بن سعد بن أبي مريم، وأبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى: ((ثقة))[5].

وقال عباس: ((سئل يحيى عن إسرائيل، فقال: قال يحيى بن آدم: كنا نكتب عنده من حفظه، قال يحيى: كان إسرائيل لا يحفظ، ثم حفظ بعد))[6].

2◆ يحيى بن سعيد القطان رحمه الله (ت: 198هـ):

قال أحمد بن حنبل: ((كان يحيى يعني القطان يحمل عليه في حال أبي يحيى القتات، قال: روى عنه مناكير))[7].

وقال ابن معين: ((كَانَ يحيى بن سعيد الْقطَّان لَا يروي عَن إِسْرَائِيل و لاشريك))[1].

---

[1]- ينظر: الثقات، لابن حبان، تح: السيد شرف الدين أحمد، 79/6 (دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: الأولى ، ت: 1395هـ – 1975م).

[2]- ينظر: تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تح: محمد عوامة، ص: 52 (دار الرشيد، سوريا: حلب، ط: السادسة، ت: 1428هـ - 2007م).

[3]- ينظر: التاريخ الكبير، 56/2. وتاريخ بغداد، 482/7.

[4]- سؤلات ابن الجنيد، ص: 379 (دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: الأولى ، ت: 1395هـ – 1975م).

[5]_ الجرح والتعديل، للإمام ابن أبي حاتم، تح: المعلمي، 331/2 (دار إحياء التراث العربي، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت:1271 هـ 1952م).

[6]_ تاريخ ابن معين، (رواية الدوري)، للإمام ابن معين، تح: أحمد محمد نور سيف، 65/4.(مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط: الأولى، ت: 1399هـ- 1979م).

[7]- تاريخ بغداد، 476/7.

وقال أيضاً: ((كان يحيى بن سعيد القطان لا يرضاه))[2].

3◆ أبو حاتم رحمه الله (ت: 277هـ):

قال رحمه الله: ((ثقة صدوق، من أتقن أصحاب أبي إسحاق))[3].

4◆ النسائي رحمه الله (ت: 303هـ):

قال رحمه الله: ((ليس به بأس))[4].

5◆ العقيلي رحمه الله (ت: 322هـ):

قال رحمه الله: ((مختلف فيه))[5].

● **ثانياً: خلاصة الأقوال:**

من خلال ما سبق يتبين أن أغلب هؤلاء الأئمة على توثيقه، إلا ما كان من يحيى بن سعيد القطان؛ وهذا راجع منه لأمرين:

أ- لتشدده وتعنته في الرجال، قال الذهبي في سياق تقسيمه النقاد من حيث التشدد والتساهل: ((قسم منهم في الجرح متثبت في التعديل يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث ويلين بذلك حديثه، فهذا إذا وثق شخصاً فعضّ على قوله بناجذيك وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعّف رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه: إن وافقه ولم يوثق ذلك أحد من الحذاق فهو ضعيف، وإن وثقه أحد فهذا الذي قالوا فيه لا يقبل تجرحه إلا مفسراً)).

وقد صرح غير واحد من أئمة النقد بتشدد يحيى القطان، ومنهم:

- الإمام الذهبي، قال في سياق ترجمته لسفيان بن عُيينة: ((يحيى متعنّت جداً في الرجال))[6]. وقال في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار: ((حدث عنه يحيى بن سعيد مع تعنّته في الرجال))[1].

---

[1]- تاريخ ابن معين، 500/3.

[2]- تاريخ بغداد، 476/7.

[3]- الجرح والتعديل، 331/2.

[4]- ينظر: تهذيب الكمال، 523/2.

[5]- الضعفاء الكبير، للإمام أبي جعفر العقيلي، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، 131/1(دار المكتبة العلمية، بيروت: لبنان، ط: الأولى، 1404هـ - 1984م).

[6]- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام شمس الدين الذهبي، تح: علي البجاوي 171/2 (دار المعرفة، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت: 1382هـ - 1963م)

- والحافظ ابن حجر، حيث قال في سياق ترجمة سفيان بن عمر العبدي: ((ويحيى بن سعيد شديد التعنّت في الرجال، لا سيما من كان من أقرانه))[2].

ب- ولكون "إسرائيل" يروي المناكير عن أبي يحيى القتات؛ غير أن هذه المناكير ليست من إسرائيل، بل من أبي يحيى القتات، فالحمل فيه على غيره.

فقد قال الذهبي: ((وروى الأثرم عن أحمد بن حنبل قال: روى إسرائيل عن أبي يحيى القتات أحاديث مناكير جدا كثيرة. وأما حديث سفيان عنه فمقارب، فقلت لأحمد: فهذا من قبل إسرائيل؟ قال: أي شيء أجد أقول لإسرائيل. ثم قال: إسرائيل مسكين، من أين يجئ بهذه؟ ثم قال: هو ذا حديثه عن غيره، أي أنه قد روى عن غير أبي يحيى فلم يجئ بمناكير، أي هذا من قبل أبي يحيى. وقال علي ابن المديني: قيل ليحيى بن سعيد: إن إسرائيل روى عن أبي يحيى القتات ثلاثمائة حديث، وروى عن إبراهيم بن مهاجر ثلاثمائة. فقال: لم يؤت منه، أتى منهما))[3].

وبالتالي فيمكن القول بأن الخلاصة عند هؤلاء النقاد في حال هذا الراوي: أنه ثقة، وخصوصاً في جده أبي إسحاق السبيعي.

المطلب الثاني: أقوال الأئمة النقاد من المعتدلين.

أولاً: أقوال الأئمة المعتدلين:

1◆ عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله (ت: 198هـ):

((قال عبد الرحمن بن مهدي، عن عيسى بن يونس: قال لي إسرائيل: كنت أحفظ حديث أبي إسحاق، كما أحفظ السورة من القرآن))[4].

2◆ علي بن المديني رحمه الله (ت: 234هـ):

((قال محمد بن أحمد بن البراء، قال: قال علي ابن المديني: إسرائيل ضعيف))[1].

---

[1] - المصدر نفسه، 572/2.

[2] - فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تح: محب الدين الخطيب، 424/1 (دار المعرفة، بيروت: لبنان، د.ط، ت: 1379هـ).

[3] - ميزان الاعتدال، 586/4.

[3] - الثقات، للإمام ابن حبان، تح: السيد شرف الدين أحمد، 79/6 (دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: الأولى ، ت: 1395هـ – 1975م)

[4] - الثقات، لابن حبان، 79/6

3◆ أحمد بن حنبل (ت: 241هـ).

((قال حرب بن إسماعيل، عن أحمد بن حنبل: كان شيخنا ثقة، وجعل يعجَب من حفظه))[2].

((وقال أبو طالب: سئل أحمد: أيهما أثبت شريك، أو إسرائيل؟ قال: إسرائيل كان يؤدي ما سمع، كان أثبت من شريك. قلت: من أحب إليك يونس أو إسرائيل في أبي إسحاق؟ قال: إسرائيل، لأنه كان صاحب كتاب))[3].

وقال أبو داود: ((قلت لأحمد بن حنبل: إسرائيل إذا انفرد بحديث، يحتج به؟ قال: إسرائيل ثبت الحديث، كان يحيى، يعني القطان - يحمل عليه في حال أبي يحيى القتات، قال: روى عنه مناكير))[4].

4◆ الإمام العجلي رحمه الله (ت: 261هـ):

قال رحمه الله: ((كوفي، ثقة، وقال مرة: جائز الحديث))[5].

5◆ ابن عدي رحمه الله (ت: 365هـ):

قال رحمه الله: ((كثير الحديث مستقيم الحديث في حديث أبي إسحاق وغيرهم، وقد حدث عنه الأئمة ولم يتخلف أحد في الرواية عنه.. وحديثه الغالب عليه الاستقامة وهو ممن يكتب حديثه ويحتج به))[6].

●ثانياً: الخلاصة:

يتضح مما سبق بيانه من أقول هؤلاء الأئمة: إن "إسرائيل بن يونس" ثقة عندهم، وقول علي بن المديني محمول على ما حُمل عليه قول يحيى بن سعيد القطان كما تقدم في

1- تاريخ بغداد، 476/7.

2- المصدر نفسه، والصفحة.

3- تهذيب الكمال، 519/2.

4- المصدر نفسه والصفحة.

5- الثقات، للإمام العجلي، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ص: 63 (مكتبة الدار - المدينة المنورة السعودية، ط: الأولى، ت: 1405هـ – 1985).

6- الكامل في الضعفاء، للإمام ابن عدي، تح: تحقيق: عادل أحمد، 425/1 (دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت:1418هـ - 1997م)

خلاصة المطلب السابق، ولهذا قال الذهبي عنه: ((مشى عليٌّ خلف أستاذه يحيى بن سعيد.. فلا يلتفت إلى ذلك، بل هو ثقة))[1].

المطلب الثالث: أقوال الأئمة النقاد من المتساهلين.

أولاً: أقوال الأئمة المتساهلين:

1◆ الترمذي رحمه الله (ت: 279هـ):

قال –رحمه الله- في (الجامع) في سياق حديثه عن حديث "لا نكاح إلا بولي"[2]: ((وإسرائيل هو ثبت في أبي إسحاق، سمعت محمد بن المثنى يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما فاتني من حديث الثوري عن أبي إسحاق الذي فاتني إلا لما اتكلت به على إسرائيل لأنه كان يأتي به أتم))[3].

2◆الحاكم النيسابوري رحمه الله (ت: 405هـ):

قال -رحمه الله- في سياق تعليقه على حديث "لا نكاح إلا بولي": ((فأما إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق الثقة الحجة في حديث جده أبي إسحاق فلم يختلف عنه في وصل هذا الحديث))[4].

ثانياً: الخلاصة:

يظهر من قول هذين الإمامين إن "إسرائيل" ثقة عندهما، وخصوصاً في جده أبي إسحاق السبيعي.

المطلب الرابع: الخلاصة العامة لأقوال الأئمة المتقدمين:

من خلال ما سبق عرضه من أقوال الأئمة النقاد المتقدمين بمختلف مناهجهم وطبقاتهم؛ يتبين أن كلمتهم تكاد تجتمع على توثيق "إسرائيل بن يونس" لا سيما في روايته

---

[1]- سير أعلام النبلاء، 358/7.

[2]- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب النكاح، باب: لا نكاح إلا بولي، 399/3، برقم: 1101، من طريق: عبد الرحمن بن مهدي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري، مرفوعاً.

[3]- سنن الترمذي، 39/3.

[4]- المستدرك، على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، 184/2 (دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت:1411هـ– 1990م).

[4]- ينظر: تهذيب الكمال، 522/2.



عن جده أبي إسحاق السبيعي؛ لأنه كان أعلم بحديثه من غيره، فقد كان ملازماً له، وأملى عليه حديثه إملاءً(، ومعلوم أن الملازم لشيخه أوعب وأتقن لرواية شيخه من غيره من أصحاب الشيخ، وهو مقدم في الضبط على غيره.

((قال حجاج الأعور: قلنا لشعبة حدثنا حديث أبي إسحاق. قال: سلوا عنها إسرائيل، فإنه أثبت فيه مني))[1].

((قال عبد الرحمن بن مهدي، عن عيسى بن يونس: قال لي إسرائيل: كنت أحفظ حديث أبي إسحاق، كما أحفظ السورة من القرآن))[2].

((وقال عيسى بن يونس يقول: كان أصحابنا سفيان وشريك - وعدّ قوماً - إذا اختلفوا في حديث أبي إسحاق يجيئون إلى أبي، فيقول: أذهبوا إلى ابني إسرائيل، فهو أروى عنه مني، وأتقن لها مني، وهو كان قائد جده))[3].

وفي حديث "لا نكاح إلا بولي" الذي اختلف الرواة فيه بين الوصل والإرسال؛ رجح الإمام البخاري رواية الوصل على الإرسال، وهي رواية إسرائيل بن يونس؛ لما امتاز به إسرائيل من ممارسة حديث جدّه وإتقانه له، وقد قدّمه على جهابذة الحفظ والإتقان كأمثال شعبة وسفيان الذين روؤه مرسلاً[4].

كما أن البخاري ومسلم قد رويا له في الأصول في مواضع كثيرة من كتابيهما.

المبحث الثالث: أقوال أئمة النقد المتأخرين:

المطلب الأول: أقوال الإمامين الذهبي وابن حجر

◆ أولاً: الذهبي رحمه الله (ت: 748هـ):

---

[1]- ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، 128/2.

[2]- تهذيب الكمال، 519/2.

[3]- المصدر نفسه، 522/2.

[4]- ينظر: تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي، تح: محمد أمين الشبراوي،222/1 (دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ت: 1425هـ – 2004م)

قال رحمه الله: ((قد أثنى على إسرائيل الجمهور، واحتج به الشيخان، وكان حافظاً، وصاحب كتاب ومعرفة))[1].

وقال رحمه الله: ((إسرائيل اعتمده البخاري ومسلم في الأصول، وهو في الثبت كالاسطوانة، فلا يلتفت إلى تضعيف من ضعفه))[2].

2◆ ثانياً: ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت: 852هـ):

قال رحمه الله: ((إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني أبو يوسف الكوفي، ثقة تُكلم فيه بلا حجة))[3].

المطلب الثاني: الخلاصة:

يظهر من كلام هذين الإمامين: أنهما يذهبان إلى توثيق "إسرائيل بن يونس" وقد صرحا بذلك، ثم أشارا إلى ما غُمز به من قِبل بعض النقاد، وقد تقدم في المبحث الأول، وكلامها ظاهر في عدم اعتباره، وبالتالي فحكمهما جاء خلاصة لما قيل في حق هذا الراوي، وهو حكم في غاية العدل والإنصاف.

وبهذا يظهر أهمية كلام هذين الإمامين –الحافظ الذهبي والحافظ ابن حجر- في نقد الرجال وتقويم الرواة، وضرورة الرجوع إليهما في الرواة المختلف فيهم جرحاً وتعديلاً؛ حتى يقف الباحث على الدقة المتناهية، والتحرير المنضبط.

كما يتعلم كيفية التعامل مع أقوال أئمة النقد المتقدمين من أهل هذه الصنعة، ويزن الأقوال بميزان دقيق، ومن ثم يكتسب الدربة على خوض غمار أشد مضائق علم الجرح والتعديل؛ ألا وهو تعارض الجرح والتعديل في حق الراوي من قِبل أكثر من إمام.

الخاتمة والتوصيات:

أولاً: الخاتمة:

وخلص البحث إلى نتائج، وهذه أهمها:

---

[1]- سير أعلام النبلاء، 358/7.

[2]- ميزان الاعتدال، 587/4.

[3]- تقريب التهذيب، ص: 104.

1. أن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي من الرواة المشهورين من رواة الكوفة، ومن المكثرين من الرواية.
2. قام البحث على الموازنة بين أقوال أئمة النقد على حسب مناهجهم من حيث التشدد والتساهل والاعتدال، والخروج بنتيجة عامة لأصحاب كل منهج، ثم الخروج بحكم عام يمثل أئمة النقد المتقدمين.
3. تكاد تجتمع كلمة النقاد على تنوع مناهجهم في توثيق "إسرائيل بن يونس"، ولم يكن ثمة من خالف إلا ما كان من يحيى بن سعيد القطان؛ وقد حُمل رأيه في خصوص رواية إسرائيل عن "يحيى القتات" وبالتالي فهو ثقة عندهم، وخصوصاً في روايته عن جده "أبي إسحاق السبيعي" لملازمته له.
4. جاء حكم المتأخرين من النقاد -كالذهبي وابن حجر- بتوثيق هذا الراوي، وهو خلاصة ونتيجة لتمحيص وتحرير دقيق لأقوال المتقدمين الذين عايشوا الراوي في زمن الرواية.

ثانيًا: التوصيات:

1. يوصي الباحث بتكثيف الجهود نحو البحوث الحديثية التطبيقية، والتي من شأنها أن تنمي الفكر وتكسب الدُّرْبَةَ والخِبرة.
2. دراسة نماذج من الرواة المختلف فيهم جرحاً وتعديلاً بالمنهجية المتبعة في هذا البحث، بغية الوصول إلى حكم عدل، والتدرب على خوض غمار أهم معضلات علم الجرح والتعديل، وهي مسألة تعارض الجرح والتعديل.

المصادر والمراجع

- الأنساب، للإمام السمعاني، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: الأولى، ت: 1382هـ - 1962م.

- تاريخ ابن معين، (رواية الدوري)، للإمام ابن معين، تح: أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط: الأولى، ت: 1399هـ-1979م.
- تاريخ أسماء الثقات، للإمام ابن شاهين، تح: صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، ط: الأولى، ت: 1404هـ – 1984م.
- التاريخ الكبير، للإمام البخاري، تح: السيد هاشم الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، د.ط، د.ت.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، ط: الاولى، ت: 1422هـ – 2002م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي، تح: محمد أمين الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ت: 1425هـ – 2004م.
- تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت: 1404هـ- 1984م.
- تهذيب الكمال، للحافظ المزي، تح: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت: 1400هـ- 1980م.
- الثقات، للإمام ابن حبان، تح: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: الأولى ، ت: 1395هـ – 1975م.
- الثقات، للإمام العجلي، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة السعودية، ط: الأولى، ت: 1405هـ – 1985م.
- تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تح: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا: حلب، ط: السادسة، ت: 1428هـ - 2007م.
- الجرح والتعديل، للإمام ابن أبي حاتم، تح: المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت:1271 هـ 1952م.
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تح: عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة – بيروت.

- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ت: 1405 هـ - 1985م.
- سؤلات ابن الجنيد، (دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: الأولى ، ت: 1395هـ – 1975م).
- سنن الترمذي= الجامع الكبير، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: الثانية، ت: 1998م.
- الضعفاء الكبير، للإمام أبي جعفر العقيلي، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت: لبنان، ط: الأولى، 1404هـ - 1984م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت: لبنان، د.ط، ت: 1379هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام ابن عدي، تح: تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت:1418هـ - 1997م.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت:1411هـ– 1990م.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ت: 1416 هـ - 1995م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام شمس الدين الذهبي، تح: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت: لبنان، ط: الأولى، ت: 1382هـ - 1963م.

الفقيه المحدث:

دعلج بن أحمد السجزي

شيخ أهل الحديث (260-351.هـ/874-962.م).

Al-faqeih Talking:
Douleg Bin Ahmed Al-Sagzy
Sheikh Al-Hadith (260-351.AH/874-962.AD)

اسم ولقب المؤلف: محمد سعيد عبد ربه عبد الرحمن

الدرجة العلمية والوظيفة: محاضر مساعد. جامعة درنة، كلية التربية - فرع القبة، قسم الدراسات الإسلامية.

البريد الإلكتروني:——————————

تاريخ استقبال البحث: 2024/07/22م، تاريخ القبول: 2024/10/26م

الملخص باللغة العربية:

تستهدف هذه الدراسة إبراز علمٍ من أعلام الأمة، ومصباح من مصابيح الدجى، وهو الإمام دعلج بن أحمد السجزي، حيث تسلط الدراسة الضوء على أثر شيخ الفقهاء، وإمام المحدثين في زمانه، دعلج بن أحمد السجزي في إثراء الحياة العلمية في العديد من المراكز الثقافية الإسلامية خاصة بغداد، ومساندته أهل العلم من خلال أوقافه التي خصصها لهم، وذلك من خلال إلقاء الأضواء على رحلاته لتلك المراكز، فكان له دور مهم في ازدهار علم الحديث، تصنيفًا وتدريسًا، وقد أدرك طلاب العلم في العالم الإسلامي أستاذية دعلج، وسمو مكانته في علم الحديث والفقه، فتحلقوا حوله وأخذوا منه، وقد رصدت في هذه الدراسة أسماء الكثيرين من مشايخه، وطلابه الذين تأثروا به في تكوينهم العلمي، مما أهل بعضهم ليصبحوا أبرز شيوخ الفقه والحديث.

وجاءت الدراسة في سبع مباحث، المبحث الأول للتعريف بدعلج بن أحمد السجزي، والمبحث الثاني تناول نشأته في سجستان، والمبحث الثالث تناول ثرائه، وخُصص المبحث الرابع في الحديث عن شيوخه، وتناول المبحث الخامس رحلاته إلى مراكز الثقافة، والمبحث السادس خُصص عن أثره في الحياه العلمية والثقافية، وانفرد المبحث السابع بالحديث عن وفاته ومصادرة أمواله.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: أن مولد دعلج كان في مدينة زرنج أكبر مراكز سجستان، كما أنها بينت أنه لم يقتصر على الأخذ من شيوخ الشافعية فحسب، إنما أخذ أيضًا من شيوخ الحنفية والمالكية، فأصبح شيخًا للمحدثين والفقهاء في العالم الإسلامي، حيث عاصر الكثير من ملوك وأمراء الدول التي مر بها.

وتبين من خلال تحليل بعض النصوص التي وردت في كتب التراجم والطبقات، والمصادر الأدبية والتاريخية، أنه كان من أبعد المحدثين أثرًا في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي خاصة في مجال الحديث الشريف، حيث أفادت مصنفاته ودراساته الكثير من علماء عصره وطلابه.

وأثبتت الدراسة أن دعلج يُعد مرجعًا أساسيًا ومصدرًا من المصادر التي يعود إليها العلماء والطلاب في دراساتهم المتصلة بالعلوم الدينية، وأن منهجه العلمي المرتبط بالتنقيح والتصنيف كان من أهم عوامل تأصيل علم مصطلح الحديث، حيث اعتنى بالسند، والمتن، من حيث القبول والرد، وما يتبع ذلك من كيفية الرواية والأداء والضبط، فتحلق حوله الطلاب.

الكلمات المفتاحية: دعلج السجزي – سجستان – نيسابور – الحديث – مُسند.

Research summary:

This study aims to highlight one of the scholars of the Islamic nation, and an illuminator of of darkness, namely Imam Daalaj Ibn Ahmed Al-Sajzi, since it sheds light on the impact of the sheikh of jurists, and the imam of hadith scholars in his time, in enriching scientific life in many Islamic cultural centers, especially the city of Baghdad, and his support of scholars through his endowments that he allocated

to them. The study achieves so by shedding light on his trips to such centers, so he had an important role in the flourishing of the study of Hadith, concerning both classification and teaching. All students who were aspiring scholars at this time in the Islamic world realized Daalaj's professorship, and the loftiness of his position in the science of Hadith and jurisprudence (Fiqh), therefore they gathered around him to learn from him. In this study I have enlisted the names of many of his sheikhs, and his students who were influenced by him in their scientific formation, which qualified some of them to become the most prominent sheikhs of jurisprudence and hadith.

The study came in seven sections, the first one to introduce Da'laj Ibn Ahmed Al-Sajzi. The second one discusses his upbringing in Sistan. The third discusses his wealth. The fourth is devoted to talking about his sheikhs. The fifth deals with his trips to cultural centers. The sixth is devoted to his impact on scientific and cultural life. Finally, the seventh section is for talking about his death and the confiscation of his money.

The study concludes with a number of results, including: Da'laj's birth in the city of Zaranj, the largest center of Sistan. It also shows that he did not limit himself to obtain knowledge from the sheikhs of the Shafi'i school only, but also took from the sheikhs of the Hanafi and Maliki schools. As a result of that, he became a sheikh of hadith scholars and jurists in the Islamic world, as he was contemporary to many kings and princes of the countries he passed through.

Through analyzing some texts that were written in the books of biographies, and literary and historical sources, it was shown that he was one of the most influential hadith scholars in the scientific life in the Islamic East, especially in the field of Hadith, as his works and studies benefited many scholars of his time as well as his students.

The study proved that Dalaaj is considered to be a basic reference and a source that scholars and students refers back to in their studies related to religious sciences. Moreover his scientific approach related to proofreading and classification was one of the most important factors in establishing the science of Hadith terminology, as he was very careful and accurate about Isnād (chain of transmitters) and Matn (the text), concerning acceptance and rejection, and what follows that in terms of the method of narration, performance and control; therefore, students gathered around him.

Keywords: Dalaaj Al-Sajzi - Sistan - Nishapur - Hadith - Musnad.

تمهيد

انكب المسلمون منذ فترة مبكرة على دراسة علوم الدين، خاصة علوم الفقه والحديث، فالفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية[1]، والحديث هو كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، ويُبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث معرفة رواتها، ومن حيث كيفية السند وغيرها[2]، فالسنة النبوية قرينة القرآن من حيث المصدر والأهمية في المحافظة عليها، وهو ما جعل الفقه والحديث من أجل العلوم قدرًا، وأكملها مزية وأعظمها أجرًا، من حازهما فقد حاز فضلًا كبيرًا، ومن أوتيهما فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

حيث برز كثير من علماء الفقه والحديث في العالم الإسلامي، خاصة في إقليم سجستان[3] أحد مراكز الإشعاع العلمي في الدولة الإسلامية، الذي أنجب ثلَّةً من العلماء

---

(1) محمد الفرفور، مصادر الفقه الإسلامي، دار الكلم الطيب، دار ابن كثير، دار القادري، دمشق، بيروت، 1995م، ص5.

(2) القنوجي، أبجد العلوم، وضع فهارسه عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م، ج2، ص219-220.

(3) سِجِسْتانَ إقليم كبير وناحية واسعة، قاعدتها مدينة زَرَنج، وبها مدن وقرى، من أهمها مدينة بُسْت، ويحدُّ سجستان من الشمال إقليم خراسان، ومن الجنوب مَكْران، ومن الغرب صحراء كرمان الكبرى، وقُوْهستان، ومن الشرق تتداخل مع حدود بلاد السند؛ (لمزيد من التفاصيل انظر:اليعقوبي، البلدان،

الأعلام الذين برعوا في شتى المجالات العلمية، كان من بينهم دعلج بن أحمد إمام عصره في العلم والمعرفة والفقه والحديث، كما تبوأ أعلى منصب في الورع والتقوى والبر والإحسان، فكان أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين في عصره، والتف حوله الناس ليأخذوا منه الحديث ويرووا عنه، ويتلقوا منه الدين وآدابه، والعلم وفضائله، وليستفيدوا منه معاني الإيمان والتقوى، ومكارم الأخلاق والفضيلة، ومدارج الإحسان والعبادة.

وفي هذا السياق تسلط الدراسة الضوء على أثر شيخ الفقهاء، وإمام المحدثين في زمانه، دعلج بن أحمد في إثراء الحياة العلمية في العديد من المراكز الثقافية الإسلامية خاصة بغداد، ومساندته أهل العلم من خلال أوقافه التي خصصها لهم، وذلك من خلال إلقاء الأضواء على رحلاته لتلك المراكز، فكان له دور مهم في ازدهار علم الحديث، تصنيفًا وتدريسًا، وقد أدرك طلاب العلم في العالم الإسلامي أستاذية دعلج، وسمو مكانته في علم الحديث والفقه، فتحلقوا حوله وأخذوا منه، وقد رصدت في هذه الدراسة أسماء الكثيرين من مشايخه، وطلابه الذين تأثروا به في تكوينهم العلمي، مما أهل بعضهم؛ ليصبحوا أبرز شيوخ الفقه والحديث.

وارتكزتُ في الدراسة على المنهجين الوصفي، والتحليلي الاستقرائي، وقسمتها إلى عدة مباحث، كما أن الدراسة تحتاج إلى استقراء تام للمصادر الأولية التي ترجمت لدعلج بن أحمد، وتناولت الحركة العلمية والفكرية في العالم الإسلامي "خلال الحقبة موضوع

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ص101؛ ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص260، 295-297؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج3، ص190-191؛ ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ج5، ص58؛ محمد التونجي، المعجم الذهبي فارسي – عربي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ص584)؛ وفي العصر الحديث يقع إقليم سجستان في الجزء الجنوبي الغربي من دولة أفغانستان، ويمتد إلى داخل الحدود الشرقية لدولة إيران؛ (انظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص376-391؛ محمد النورستاني، مدينة سجستان، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد53، 2010م، ص52؛ إبراهيم باريزي، يعقوب بن الليث الصفار، ترجمة عن الفارسية محمد فتحي الريس، دار الرائد العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص76).

الدراسة"، ويقف على رأس تلك المصادر كتب التراجم والطبقات، والمصادر التاريخية، وأيضًا المصادر اللغوية والأدبية.

أولاً: نسبه وولادته:

هو أبو محمد دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج بن عبد الرحمن[1] السجستاني، وفي مصادر السجزي[2]، وكلمة دَعْلَج تعني في اللغة معاني كثيرة[3]، ومن بين تلك المعاني الشاب الحسن الوجه، والناعم البدن، وهو ما نعده سبب تسميته بذلك الاسم، كما أنه مثل اسم جده.

ومن المعلوم أن إقليم سجستان يضم العديد من المدن والقرى[4]، لكن أيُّ مدينة ولد ونشأ بها دعلج بن أحمد السجزي؟!، لم تحدد لنا المصادر، إلا أن إحدى الدراسات الحديثة[5] أشارت إليه كأحد الأعلام البارزين في مدينة بُست[6] ثاني أكبر مدينة بالإقليم بعد زرنج[1].

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ج9، ص366؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج2، ص271.

(2) السَجزِي نسبة إلى سِجِسْتانَ فيطلق عليها سجز؛(انظر:الإصطخري، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004م، ص238، 241؛ المقدسي، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، بدون تاريخ، ج4، ص77؛ ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938، ج2، ص415؛ الحموي، معجم، ج3، ص189؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ج2، ص87؛ تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د.محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1413هـ، ج3، ص291؛ ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه، ج5، ص58).

(3) انظر:ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج2، ص272؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد، والأنباء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965م، ج5، ص569).

(4) انظر:عبيد الله بن خرداذبة، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1988م، ص50؛ اليعقوبي، البلدان، ص101-102؛ الإصطخري، المسالك، ص239-240، 244-245.

(5) إبراهيم القلا، مدينة بُسْت منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر السلجوقي(30-590هـ/650-1193م)، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، بدون تاريخ، ص40-41.

(6) بُسْت في اللغة بمعنى روضة من رياض الورد أو الزهر والريحان، كما تأتي بمعنى التل والمكان المرتفع الذي لا يصل ارتفاعه إلى الجبل، وتأتي أيضًا بمعنى الأرض الوعرة الصعبة الشديدة، وهي مدينة بين

إلا أننا لا نميل إلى اعتبار مدينة بُست المكان الذي شهد مولد الفقيه دعلج ونشأته، ولكن نؤكد أنه ولد ونشأ في مدينة زرنج أكبر مراكز سجستان، ودليل ذلك أنه أطلق على زرنج نفسها بعد أن اختفى اسمها اسم سجستان، لأهميتها وشهرتها بوصفها حاضرة لإقليم سجستان[2]، وهو ما نسب إليه، وقد وصفها المقدسي بقوله: "زرنج هي قصبة سجستان محكمة الحصن عجيبة البنيان ومعدن الحيّات والرجال الشهام أصحاب همّة وعقل وفطنة وفقه وحفظ ودهاء وبهاء وأدب وخطب وحذاق وهندسة وحكمة ومتاجر ومعادن ومعايش ورخص وفواكه هي بصرة خراسان..."[3].

ولابد من الإشارة إلى مدينة بُست باعتبارها واحدة من أكبر مراكز دراسة الحديث النبوي، فمنها خرج الكثير من المحدثين، لذلك كانت محطة رئيسة في حياة الفقيه المحدث دعلج[4]، حيث دخل بُست في مراحل تعاليمه الأولى، ودرس الكثير على يد علمائها من الفقهاء والمحدثين.

وهناك مصادر أضافت في نسبه لفظ البغدادي[5]، في إشارة إلى انتمائه لبغداد، إلا أنه لم يكن بغدادي الأصل(كما أشرنا)، ويرجع سبب ربط بعض المصادر نسبه ببغداد إلى استقراره ووفاته بها، فكان ارتباطه النفسي، والعاطفي بها، فكانت من أحب البلاد إلى قلبه

سجستان وغزنة، وتقع على نهر هيلمند أكبر أنهار سجستان، كانت من أعظم مدن البلاد في شرق سجستان؛ (انظر:الإصطخري، المسالك، ص243؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص304؛ الحموي، معجم، ج1، ص114، 116؛ إبراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م، ج1، ص362).

(1) زرنج عاصمة سجستان مقابلها بالفارسية شهر سيتان، وكان ذلك اسمها حتى خربها تيمورلنك، وكانت تقع بالقرب من نهر سانار وهو من الأنهار الكبيرة الآخذة من نهر هيلمند حتى الغرب، وهي مدينة عليها حصن ولها خمسة أبواب وعليها سور؛ (انظر:المقدسي، أحسن التقاسيم، ص305؛ لسترنج، بلدان، ص374).

(2) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق محمد حسين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م، ج4، ص352.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص305.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص304.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، تقديم بشار عواد معروف، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج16، ص30.

فقال: "ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا ببغداد مثل محلة القطيعة[1]، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف، وليس في الدرب مثل داري"[2].

ولم توضح المصادر تاريخ ولادته بشكل محدد[3]، فأوضح الذهبي أنه ولد في سنة 259هـ/873م، أو قبلها بقليل أو بعدها بعام[4]، ثم عاد مرة أخرى وقال أنه ولد في سنة 260هـ/874م[5]، وهو ما نميل إلى اعتباره تاريخ مولده.

ثانيًا: نشأته في سجستان وارتباطه بالعلوم الدينية:

تناولت الكثير من المصادر دعلج ودوره العلمي خاصة في مجال علم الحديث، إلا أنها لم تمدنا بأي تفاصيل عن حياته ونشأته، ولعله من المفيد أن نجتهد في التوصل إلى الظروف التي أحاطت بنشأته وتربيته العلمية، فعن طريق تتبع نظام التعليم في إقليم سجستان، نجد أنه شهد حركة علمية واسعة منذ بواكير الفتح الإسلامي لهذه البلاد23هـ/643م[6]، شملت عددًا من القرى والمدن التي مثلت مراكز جذب لكثير من العلماء والطلاب، وظلت هذه المراكز تؤدي دورها العلمي والمعرفي بكفاءة واقتدار[7].

---

(1) يُقصد بها قطيعة الفقهاء بالكرخ في بغداد، والذي يسكنها عدد كبير من التجار والفقهاء، وبالتحديد في درب السلولي في غرب بغداد؛ (انظر:السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى وآخرون، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، 1962م، ج10، ص466؛ الحموي، معجم، ج2، ص448).

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366؛ الذهبي، سير، ج16، ص33.

(3) دعلج السجزي، المنتقى من مسند المقلين، تحقيق عبد الله الجديع، الطبعة الأولى، مكتبة دار الأقصى، تونس، 1985م، ص7من مقدمة المحقق.

(4) الذهبي، سير، ج16، ص30.

(5) الذهبي، تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج3، ص65.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، 1988م، ص381-383؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، دار التراث، بيروت، 1977م، ج4، ص94، 180-181، 244، 264.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص305؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص352.

حيث ازدهرت الحياة الثقافية بسجستان ازدهارًا كبيرًا في شتى فروع المعرفة، وكان من أكثر العلوم انتشارًا علم الفقه والحديث، حيث عرفت رواية الحديث منذ دخول الإسلام إليها، فقد قام الفاتحون من الصحابة، ومن تبعهم بواجب نشر العلم والحديث في ربوعها، فكانت النواة الأولى للحديث بها، حيث بَثَّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم العلم الذي تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ونشروا الأحاديث التي سمعوها منه عليه الصلاة والسلام[1]، وقد آتت جهود صحابة النبي صلى الله عليه وسلم منذ دخولهم تلك البلاد، ومن ثم تابعيهم أُكُلَها، فأثمرت وأينعت، وخرج منها الحفاظ والمحدثون من حملة لواء السنة المطهرة[2].

وتشير المصادر إلى أن التعليم في سجستان انقسم إلى مرحلتين، المرحلة الأولى وهي أشبه بالتعليم الابتدائي، ومقرها الكُتَّاب، يتعلم فيه التلاميذ القراءة والكتابة والحساب، بعد حفظ القرآن الكريم، ودراسة قدر من الفقه وحفظ الأشعار والحديث وبعض سير ملوك الفرس وحكم حكمائهم، ويتولى التعليم في الكُتَّاب، معلم الصبيان، ويتقاضى من أولياء الأمور أجرًا نظير مهمته[3].

---

(1) ابن حمدوية النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مقبل الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، 1997م، ج3، ص531؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق عادل العزازي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، 1998م، ج1، ص455، ج3، ص1633؛ ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1994م، ج2، ص835، ج4، ص1657؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، 2008م، ج3، ص489-490، ج12، ص238؛ سلما مالح العنزي، إقليم سجستان وتاريخه السياسي والعلمي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الصفارية(23-247هـ/643-861م)، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الأردن 2019م، ص72.

(2) الذهبي، سير، ج7، ص456؛ البُستي، الثقات، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1973م، ج9، ص75-76؛ كلثوم محمد حريد، الحركة الحديثية في إقليم سجستان، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، الإمارات، العدد1، يونيو 2019م، المجلد 16، ص297.

(3) الجاحظ، البيان والتبين، دار الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص209؛ عصام الدين الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص180.

وكان السواد الأعظم من الصبية يكتفي بهذا القدر من التعليم، وينصرفون إلى العمل ومشاغل الحياة، ولكن بعض هؤلاء الصبية لديهم رغبة في الاستزادة من العلم، فيلتحقون بحلقات دراسية في المساجد، حيث كانت المساجد الجامعة في المدن هي المقر الرئيس لهذا النوع من التعليم العالي كما لو كانت جامعات متخصصة، ويقوم بالتدريس في تلك الحلقات شيخ متخصص في فرع من فروع العلم، ويعقد مجلسه العلمي في وقت معين من اليوم، ويحيط به الطلبة، ولا يقبل الشيخ في حلقته إلا الطالب الذي يطمئن إليه، ولمس فيه المقدرة العلمية والجدية على الانتظام في حلقته[1].

ومن المؤكد أن دعلج التحق بتلك المؤسسات التعليمية في سجستان سواء الكتاتيب أو المساجد، التي لعبت دورًا كبيرًا في نشأته العلمية وبلورة الكثير من أفكاره الثقافية، وتوسيع مداركه العلمية والعملية في سوق العمل فيما بعد، كما أن أسرته كان لها دور كبير في مساندته وتشجيعه وتحفيزه على الالتحاق بتلك المؤسسات التعليمية، والإقبال على دراسة مختلف أنواع العلوم خاصة العلوم الدينية، كما أنه حفظ القرآن وهو في سن صغير.

وبالرغم من أن مولد دعلج ونشأته في سجستان كانت في ظل الدولة الصفارية(254-290هـ/867-903م)[2]، التي أهملت نوعًا ما الحياة العلمية، وغلب عليها الطابع الحربي، فلم

---

(1) مجهول، تاريخ سجستان، ترجمة محمود عبد الكريم علي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص78؛ الإصطخري، المسالك، ص265؛ عصام الدين الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص296.

(2) تنسب الدولة الصفارية إلى يعقوب بن الليث الصفار الذي كان يعمل في صناعة الصفر(النحاس)، فظهرت إمارتهم في إقليم سجستان، والتي كانت في بداية أمرها تتكون من المتطوعين الذين أرادوا معاونة الخلافة العباسية ضد أعداءها من الخوارج وقطاع الطرق، ثم سيطر على حركة المتطوعة يعقوب الصفار الذي قويت شوكته، واستطاع أن يستولي على سجستان، ثم أخذ يهاجم الإمارة الطاهرية، حتى تمكن من إسقاطها سنة(259هـ/872م)؛ (انظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة الحياة، بيروت، 1961م، ص169؛ أبو سعيد عبد الحي الجرديزي، زين الأخبار، تعريب محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية، فاس، 1972م، ص12؛ مجهول، تاريخ سيستان، (تاليف در حدود 445-725هـ)، باعتناء ملك الشعراء بهار، كتابخانه زوار- طهران، 1314هـ، ص200-201؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن، وحسن أحمد محمود،

تدون المصادر أي معلومات ثقافية أو نهضة علمية لها إلا القليل جدًا[1]، غير أن ذلك لم يؤثر كثيرًا على التكوين العلمي والثقافي لدعلج[2].

وفي تلك الأجواء العلمية برزت شخصية دعلج الذي اهتم بعلوم الدين، فدرس الفقه، ومن المؤكد أنه كان على مذهب الإمام الشافعي، غير أنه اهتم بشكل كبير بعلم الحديث، ودراسة أصوله، ومعرفة شروطه، خاصة وأنه كان في منطقة غدت من أكبر مناطق دراسة الحديث النبوي في العالم الإسلامي، وهو ما يوضحه لنا المقدسي عنهم بقوله "بأنهم أهل إسناد ودراية"[3].

ثالثًا: ثراء الفقيه المحدث دعلج بن أحمد السجزي

لم توضح لنا المصادر الحالة المعيشية والاجتماعية لأسرة دعلج بن أحمد السجزي، إلا أننا نستنتج أنها لم تكن من الأسر الكبيرة في سجستان، بل كانت أسرة متوسطة المعيشة، أما عن سبب ثراء دعلج، فلم يكن ميراث عن أسرته، وإنما اشتغل بعد أن اشتد عوده بحرفة التجارة، فعمل في ابتياع الثياب في الأسواق[4]، وظل على ذلك الحال إلى أن التقى بتاجر ميسور الحال، كان يعمل في البحر، فعقد شراكة تجارية معه، على أن يتاجر دعلج هو بماله، وذلك لكثرة سفره في البحر، وبالفعل نجح دعلج في استثمار الأموال، مستغلًا تنقله من بلد لبلد، لدراسة وجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم (كما سنشير)، فزادت

مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1951م، ص302-303؛ خليل السامرائي، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م)، طبع جامعة الموصل، 1988م، ص119).

(1) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1954م، ص94؛ بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، 1952م، ص99.

(2) ابن النديم، الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص115وما بعدها؛ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، 1999م، ج1، ص164-229؛ حسن أحمد محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981م، ص113.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص304؛ محمد الجمل، الدول الإسلامية المستقلة في المشرق (التاريخ والحضارة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص182-190، 465.

(4) البَزّاز من يعمل ببيع الثياب في الأسواق؛ (انظر: السمعاني، الأنساب، ج2، ص199).

تجارته، وأصبح ذا أموال عظيمة، وكان شريكه التجاري يلاقيه كل سنة، لمراجعة حجم المكسب والخسارة في التجارة، وبعد الحسابات، يحمل كثيرًا من الأموال، ويخرج في رحلاته عبر البحر مرة أخرى(1).

من هنا أصبح دعلج، أحد أبرز العلماء الأثرياء، فكبرت تجارته، واشتهر بالأمانة والعدل في توزيع أرباح تلك التجارة، حتى أنه أنفق الكثير من الأموال على العلم والعلماء، فخصص جزءًا كبيرًا من أملاكه وأمواله كأوقاف(2) وصدقات جارية تصرف على أهل العلم خاصة علم الحديث(3)(كما سنشير) في كل بلد يدخلها أو يزورها للدراسة والتدريس بها، وهو الأمر الذي يجعلنا نميل إلى أن ثراءه كان في بداية حياته العلمية والعملية أي بعد خروجه مباشرة من سجستان.

ولسنا نتعجب من براعة دعلج التجارية، فقد نشأ في سجستان أبرز الأقاليم الإسلامية والعالمية تجارة، حيث شهدت رواجًا تجاريًا متميزًا ساعدها على ذلك ارتباطها بطرق تجارية مختلفة، وتوافر وسائل النقل البري والنهري، وإنتاجياتها الاقتصادية المختلفة، وهو ما ساعد على ازدهارها التجاري(4).

رابعًا: شيوخه في سجستان:

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366؛ الذهبي، سير، ج16، ص34.

(2) الوقف لغةً هو الحبس، وهو مصدر وقف "وقف الأرض على المساكين وقفًا حبسها"، والحبس هو المنع، وفعل الوقف يدل على التأبيد بحيث أنه إذا قيل: وقف فلان أرضه وقفًا يفهم منه أنه جعلها حبيسًا لا تباع ولا تورث؛ (انظر:ابن قدامة، المغني، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، ج5، ص348؛ ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص320-323؛ منذر القحف، الوقف الإسلامي تطوره وإدارته وتنميته، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2006م، ص19).

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق أبو سعيد عمر، دار الفكر، القاهرة، 1995م، ج17، ص279؛ الذهبي، تذكرة، ج3، ص66؛ السبكي، طبقات، ج3، ص291.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص267؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص417-421؛ شوقي خليل، الحضارة الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص388.

درس دعلج الفقه والحديث في سجستان، ويفهم من المصادر أنه كان شافعي(ت204هـ/819م)[1] المذهب[2]، وذلك لأنه من شدة اعتناء فقهاء الشافعية بالحديث، وأخذهم به صار مصطلح (أصحاب الحديث)، و(مذهب الحديث) في المشرق الإسلامي يدل على المذهب الشافعي[3] الذي كان يجمع بين المذهب الحنفي (مذهب أهل الرأي)، ومذهب الإمام مالك (مذهب أهل الحديث)[4]، إلا أن أكثر المذاهب انتشارًا في تلك المنطقة المذهبان الحنفي والشافعي[5].

للأسف لم تمدنا المصادر التي ترجمت لدعلج بأسماء أئمة علوم الفقه والحديث في سجستان الذين تتلمذ على أيديهم، ولعله من المفيد أن نجتهد في التوصل إلى أسماء هؤلاء الشيوخ والوقوف على آثارهم العلمية؛ ليتبين لنا قيمة العلم الذي حصّله دعلج على أيديهم، وأثره في تكوينه العلمي، وبروزه كواحد من أئمة علماء الفقه والحديث في عصره.

فمن المرجح أن أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت275هـ/888م)[6]، كان من العلماء الذين لقيهم دعلج وتتلمذ على أيديهم، ونستدل على ذلك التصور أن أبا

---

(1) ابن يونس الصدفي، تاريخ ابن يونس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، ج2، ص190-191؛ عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1970م، ج3، ص174.

(2) السبكي، طبقات، ج3، ص291.

(3) إحسان ذنون وآخرون، الحياة العلمية زمن السامانيين(التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة)، بيروت، بدون تاريخ، ص154؛ عبد القادر الزبيدي، الرحلات العلمية بين العراق والمشرق الإسلامي في القرن الثالث للهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعة الموصل، 2005م، ص12، 13.

(4) الحموي، معجم، ج5، ص112؛ السبكي، طبقات، ج1، ص174.

(5) ذنون، الحياة العلمية، ص145.

(6) ابن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج2، ص141.

داود الأزدي كان معاصرًا لدعلج في فترة وجوده في سجستان، وعلى يديه تتلمذ كثير من العلماء، حيث كان أحد أئمة الفقه والحديث وحفاظه ومعرفة علمه وعلله[1].

واعتقد أن دعلج التقى بالفقيه أبي الفتح الحراني الجزار(ت277هـ/890م)، وتتلمذ عليه، فقد كان هذا الرجل فقيهًا واعظًا فصيحًا، وكان أيضًا معاصرًا لدعلج، وتولى قضاء بُست وعمل المظالم فيها[2]، ومما نعتقد أن دعلج تتلمذ على أيديهم الفقيه عبد الرحمن بن يحيى السجستاني البستي(ت278هـ/891م)، من أشهر علماء الفقه والحديث في عصره[3]، وتجدر الإشارة إلى وجود فقهاء ومحدثين كانوا معاصرين لمن سبق ذكرهم ومن طبقتهم، ونميل إلى أن دعلج أخذ عنهم، وأشهرهم: محمد بن راشد الجرجاني(ت289هـ/901م) دخل سجستان وبُست وحدث بها[4]، وأبو صالح منصور بن أحمد السجستاني(ت290هـ/903م) الذي اهتم بتدريس الفقه وأصوله في عصر الدولة الصفارية[5]، وبعدما سمع دعلج من شيوخ بلده، ارتحل إلى الأقاليم الأخرى في طلب الحديث[6]، والالتحاق بمراكز علمية جديدة.

جديدة.

خامسًا: رحلاته إلى مجالس العلم والثقافة:

قطع دعلج الفيافي والقفار، وهو ابن الخمس عشرة سنة أو قريبًا منها، وجاب البلاد شرقًا وغربًا، لدراسة الفقه والحديث، فمهدت له التجارة سبيل الطلب، ويسرت له دخول الكثير من البلاد، والسماع من أهلها، فكثر مشايخه[7].

---

(1) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، 1951م، ج1، ص95.

(2) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ، ج3، ص42.

(3) ابن أبي يعلى، المصدر السابق، ج3، ص27.

(4) الجرجاني، تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، 1987م، ص372.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص160؛ عمر كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، 2000م، ج13، ص10.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ج6، ص553.

(7) السجزي، المنتقى، ص8من مقدمة المحقق.

1-رحلته الأولى إلى مراكز التعليم في خراسان:

وبعد أن اكتمل تحصيل دعلج بمسقط رأسه، رحل عنها، وتردّدَ بين عدد كبير من مراكز الثقافة الإسلامية، يطلب العلم، فدخل مدن خراسان[1]، والتحق بمجالسها العلمية، في عهد الدولة الصفارية التي فرضت سيطرتها على شؤون خراسان(259هـ/872م-297هـ/909م)، وبالتحديد أثناء فترة حكم عمرو بن الليث الصفار(265هـ/878م-287هـ-900م)[2].

فدخل نيسابور[3]، التي كانت وجهته الأولى في رحلته العلمية والتجارية[1]، وسبب ذلك شهرة علماء نيسابور بدورهم الكبير الذي ساهم في دراسة علوم الحديث متونًا وأسانيد

---

(1) خراسان في الفارسية القديمة معناها "البلاد الشرقية"، وكان هذا الاسم يطلق على جميع الأقاليم التي تقع شرق الدولة الإسلامية، وخراسان في مدلولها الواسع تضم كلًا من بلاد ماوراء النهر ماعدا سجستان، ومعها قوهستان في الجنوب، إلا أن حدودها في العصور الإسلامية أصبحت تشمل أربعة أقاليم كبرى هي: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وكانت عاصمتها بعد الفتح الإسلامي تنحصر في "مرو" ثم "بلخ"، وفي عصور الأمراء الطاهريين(205-295هـ/ 820-872م) أصبحت "نيسابور" دار الإمارة الطاهرية، وفي العصر الصفاري(259-297هـ/872-909م) كانت خراسان هي الصخرة التي تحطمت عليها الآمال الصفارية في الاستيلاء على المشرق الإسلامي كله، ونتيجة لمعطيات تلك المنطقة السياسية آنذاك، كان طبيعيًا أن يدخل إقليم خراسان في حوزة السامانيين(289-389هـ/ 901-998م)، ثم دخلت في سيطرة الدولة الغزنوية(389-432هـ/998-1040م)، ثم حوزة الدولة السلجوقية سنة 429هـ/1037م؛ (انظر:الحموي، معجم، ج1، ص479؛ ج5، ص396؛ محمد بن خاوند شاه، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة د.أحمد عبد القادر الشاذلي، الطبعة الأولى، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1988م، ص47، 48؛ محمود عرفة، الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2008م، ص68؛ فتحي أبو سيف، خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، الطبعة الأولى، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1988م، ص85).

(2) الذهبي، سير، ج12، ص516؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م، ج7، ص267-268؛ عباس اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية 205هـ/820م-1343هـ/1925م، تعريب محمد منصور، راجعه السباعي محمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص118؛ Wilber, Donald N., Iran Past and Present, New Jersey, 1976, p.42.

(3) تعد نيسابور مدينة شهيرة تقع في إقليم خراسان أحد أقاليم الدولة الإسلامية، وقد عرفت نيسابور عند عند العامة باسم (نشاوور)، لكن الفرس أطلقوا عليها (نيشابور)، وعندما بسط المسلمون نفوذهم على

وروايات، فكان اهتمامهم منصبًا على علوم الحديث حتى غدا سمة بارزة في حياة نيسابور الفكرية، لذلك اتجهت أنظار الراحلين في العلم من البلاد الإسلامية، وعلى رأسهم دعلج إليها طلبًا للحديث، ورغبة في لقاء مشايخها، وسماعهم، والقراءة عليهم، وحضور مجالسهم في الإملاء والمناظرة[2].

ونستدل من رواية الذهبي أنه دخل نيسابور قريبًا من سنة275هـ/889م[3]، فقد كانت تزخر نيسابور بكوكبة من مشاهير أهل العلم والفضل من الفقهاء والمحدثين في مختلف المذاهب الإسلامية حينئذ، فصحب بعضهم، وتتلمذ عليهم، واقتبس منهم علوم الفقه وأصوله، وعلوم الحديث، ومن أبرزهم: محمد بن إبراهيم(ت290هـ/903م)[4]

إقليم خراسان عربوا اسم المدينة إلى نيسابور، وفيما يتعلق بجغرافيتها فهي أراضٍ سهلية، تحيط بها جبال شاهقة متصلة على شاكلة سلسلة جبلية، تمتد من سجستان إلى باميان وبنخشان؛ (انظر:الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص588؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م، ص71، 76؛ راضي عبد الله عبد الحليم، دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي 40-132هـ، الأندلس للإعلام والنشر، القاهرة، 1987م، ص116؛ لسترنج، بلدان، ص424؛ قحطان عبد الستار الحديثي، التواريخ المحلية لإقليم خراسان، دار الكتب، بغداد، 1990م، ص73؛ Fisher, W.B, The Cambridge History of Iran, london, 1968, Voll, P.68.).

(1) الذهبي، سير، ج16، ص31.

(2) عياض، الإلماع في معرفة أصول الرواية في تقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م، ص69-70؛ السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النوادي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، ج2، ص8، 13؛ إبراهيم دسوقي الشهاوي، مصطلح الحديث، دار وسام للطباعة، حلوان، 1969م، ص70-71، 76-77.

(3) الذهبي، سير، ج16، ص31.

(4) البُستي، الثقات، ج9، ص152؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج51، ص209؛ الذهبي، سير، ج13، ص589؛ السبكي، طبقات، ج2، ص192.

البوشنجي(نسبة إلى بلدة بوشنج)[1]، الذي كان أكبر فقهاء عصره، كما كان شيخ أهل الحديث في عصره، وبرز في مجال الأدب[2].

وممن روى عنهم دعلج وأخذ منهم محمد بن عمرو بن النضر قشمرد، المعروف بأبي علي الحرشي النيسابوري(ت287هـ/900م)[3]، وممن التحق بحلقاتهم، واستفاد من علومهم أبو العباس أحمد بن خالد الدامغاني[4](ت288هـ/901م)، أحد أبرز رواة الأحاديث في نيسابور في ذلك الوقت[5].

وتتلمذ دعلج بنيسابور أيضًا على أبي الفضل النيسابوري(ت295هـ/908م)[6]، وكان عَلامة وإمامًا في الحديث، وكان ثقة فيما يرويه من أحاديث، نقلها عنه كثير من طلاب العلم[7]، ومن شيوخه بنيسابور أيضًا: محمد بن إسحاق بن راهوية(ت294هـ/907هـ)[8]، وكان من أكابر الفقهاء، والمحدثين، فقال عنه الخطيب البغدادي أنه "كان عالمًا بالفقه، وجميل الطريقة، ومستقيم الحديث"[9]، وتولى قضاء نيسابور يومئذ[10].

---

(1) السمعاني، الأنساب، ج2، ص360؛ ابن نقطة، تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، السعودية، 1418هـ، ج1، ص497.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج51، ص205؛ يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د.بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ج24، ص310؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ، ج9، ص8.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص277؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص819.

(4) نسبة إلى مدينة دامغان بلد كبير بين الري ونيسابور؛ (انظر:ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980م، ج1، ص486؛ أبو الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1332هـ، ج2، ص96، 306).

(5) الجرجاني، تاريخ جرجان، ص72؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج71، ص99-100.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص277؛ الذهبي، سير، ج14، ص46-48؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج6، ص30.

(7) الذهبي، سير، ج14، ص46-48؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج6، ص30.

(8) ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص269؛ الذهبي، سير، ج13، ص545.

(9) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص50؛ ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص269.

(10) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص544-545.

وأشارت المصادر إلى أن دعلج دخل مدينة هراة في غرب أفغانستان[1]، وتتلمذ على مشايخها، وأخذ عنهم، وكان من أبرزهم: الفقيه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني(ت280هـ/893م)، فقد كان إمامًا في الحديث والفقه والأدب[2].

2-رحلته الأولى إلى مراكز التعليم في العراق:

حرص دعلج على دخول العراق لدراسة الفقه والحديث، ومن المرجح أن رحلته تلك كانت قبل عام 283هـ/896م، أي في عهد في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله(279-289هـ/892-902م)، فتردد بين مراكز التعليم بالمدن العراقية، فدخل البصرة وبغداد، حيث كان لعلمائهما دور كبير في دراسة علم الحديث، فأقيمت مجالس عديدة لتدريسه، فكان شيوخه بها العباس بن الفضل الأسفاطي البصري(ت283هـ/896م)، فقد كان إمامًا صدوقًا، حسن الحديث[3]، والتقى في بغداد بأبي بكر محمد بن سليمان بن الحارث الباغندي[4](ت283هـ/896م)، الذي أثنى عليه كثير من علماء عصره، وشهدوا له بالصدق، والتيقن من رواية الحديث[5].

كما روى عن هشام بن علي السدوسي(ت284هـ/897م)[6]، وأبى خالد عبد العزيز ابن معاوية بن محمد القرشي(ت284هـ/ 896م)[1]، وهم من أشهر رواة الأحاديث بالبصرة،

---

(1) الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ، ص318؛ الهروي، الإشارات في معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، طومين، دمشق، 1953م، ص99؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م، ص283؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1955م، ج3، ص1411؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار وغرائب الأمصار، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص134).

(2) ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص221؛ الذهبي، سير، ج13، ص319-325؛ ابن السبكي، طبقات، ج2، ص302-306.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج16، ص376.

(4) نسبة إلى قرية من قرى واسط بالعراق؛ (انظر: السمعاني، الأنساب، ج2، ص45)

(5) الذهبي، سير، ج13، ص386؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ج3، ص80.

(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج21، ص245.

واتصفوا بالدقة، والصدق[2]، وتتلمذ على أبي جعفر محمد بن غالب الضبي البصري(ت284هـ/897م)، الذي كان إمامًا لعلم الحديث في بغداد، متقن له، وثقة فيما يرويه[3].

كما جالس دعلج الكثير من علماء العراق، فحصل على الكثير من العلوم والمعارف عن طريقهم، وروى عنهم الكثير من الأحاديث منهم: أبو علي بشر بن موسى الأسدي البغدادي(ت288هـ/901م)، الذي اشتهر بالثقة والأمانة، ونال تقدير وإكرام وإجلال الكثير من علماء وطلاب عصره[4]، وأبو العباس أحمد بن علي بن مسلم بن الأبار(ت290هـ/903م)، الذي كان من أشهر علماء الحديث في بغداد، كما أنه جمع كثير من الأحاديث، وصنف الكثير من الكتب في الفقه والحديث[5]، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل البغدادي(ت290هـ/903م)، كان أحد أبرز النقاد، ومحدث بغداد الأبرز، حيث روى الكثير من الأحاديث خاصة عن أبيه، وألف الكثير من الكتب في التفسير والفقه والحديث، فقد وعى علمًا كثيرًا، حتى أنه تفوق على الكثير من العلماء في مجال الحديث[6].

3-رحلته إلى مراكز التعليم في مكة:

---

(1) ابن حبان، الثقات، ج8، ص397-398؛ الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج12، ص376؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، ج6، ص358، 359.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص219؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج36، ص363؛ الذهبي، سير، ج13، 382-383.

(3) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م، ج8، ص55؛ الجوزي، المنتظم، ج12، ص369؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج5، ص337-338.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص569؛ ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص121-122؛ الذهبي، سير، ج13، ص352-353؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، بدون تاريخ، ج11، ص85.

(5) ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص52؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، ص284-285.

(6) الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م، ص169-170؛ الذهبي، سير، ج13، ص516-526؛ ابن الجرزي، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1351هـ، ص76.

استقطبت دراسة الحديث النبوي عددًا كبيرًا من الدارسين في مكة، كان على رأسهم دعلج، إذ تتوافر لدينا عدد كبير من المعطيات عن علماء برزوا في هذا المجال، وأسهموا بدور كبير في الحفاظ على الأحاديث بالرواية والنقل والتصنيف، وجعلوا من مكة أبرز مركز للحديث وأوثقها[1].

فدراسة الحديث بها ارتكزت على بعض العلماء الذين استقوا معارفهم في هذا المجال من رواته الأصليين، أي من عدد من الصحابة الذين تأخرت وفاتهم، وكذلك من كبار التابعين الذين أخذوا الحديث من علماء الصحابة الذين يشكلون المصدر الأول في هذا المجال، حيث كانت عملية الأخذ عن الرواة الأصليين بالغة الأهمية، فهذه العملية كانت تمنح مكة درجة عالية من الوثوق فيما يتعلق بصحة الأحاديث، وكان ذلك من العوامل التي أعطت مكانة بارزة لها بين المراكز العلمية الأخرى طيلة القرون الإسلامية الأولى، ولعل ذلك ما يبرر الرحلة إليها لأخذ الحديث من علمائها[2].

وهو ما يبرر حرص الفقيه المحدث دعلج بن أحمد السجزي على الرحلة إلى مكة لدراسة الفقه والحديث بها، وكذلك للتدريس بها، وتشير المصادر إلى أن رحلته كانت بعد سنة280هـ/893م، مما يعني أنه دخل مكة في فترة ولاية الأمير عج بن حاج والي الحرمين الشريفين(281-300هـ/ 894-913م)[3]، في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله، وتوضح لنا المصادر أن دعلج لاقى طائفة كبيرة من علماء الفقه والحديث في مكة ونقل عنهم، ودرس الكثير على أيديهم[4].

ومن المؤسف أن المصادر لم تذكر لنا من بين تلك الطائفة التي تعلم على يديها دعلج ابن أحمد السجزي شيئًا إلا المحدث أبو الحسن علي بن عبد العزيز البغوي(نسبة لبلدة

---

(1) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ، ج2، ص345.

(2) ابن أبي حاتم، الجرح، ج8، ص319؛ ابن حبان، الثقات، ج8، ص265؛ الذهبي، سير، ج6، ص17.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص566؛ أحمد فهد العريفي، عج بن حاج والي الحرمين في آخر القرن الثالث الهجري، العدد11، 12، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، أكتوبر 1998م، ص800-806.

(4) الذهبي، تذكرة، ج3، ص65.

بخراسان تُسمى بغشور)(ت287هـ/900م)[1]، الذي كان له نشاط علمي ملحوظ في مكة، ويعد من محدثي مكة الثقات، الذي اشتهر بقوة وصحة الإسناد، غير أنه مما كان يؤخذ عليه أنه كان يتقاضى أجرًا على علمه لحاجاته إلى المال، ولم يكن هذا يعيب العلماء خاصة علماء الحديث، فكان ما يعيبهم هو الكذب، وذلك لم يكن صفاته بل على العكس اتصف بالحفظ، والصدق، وجمع وصنف كتابًا في الحديث سماه "المسند المنتخب"[2].

ومن المؤكد أن دعلج استفاد من مصنف الإمام البغوي في الحديث، كما أنه كان يدفع أجرًا نظير حضور مجالسه العلمية، والتعلم على يديه، مستفيدًا من أسانيده ورواياته التي اتصفت كلها بالدقة، واحتلت مكانة كبيرة عند علماء عصره[3].

لم تسعفنا المصادر بذكر نصوص تتعلق بمشايخ آخرين لدعلج في مكة، غير أننا نستطيع أن نحدد على الأقل عالمًا تتلمذ على يديه دعلج من خلال استقراء الروايات الخاصة بتكوينه العلمي، فربما تتلمذ على المحدث محمد بن علي المكي الصائغ(ت291هـ/904م)، الذي تركز نشاطه العلمي على رواية الحديث حتى وصف بـ "محدّث مكة"، وقد أخذ عنه هذا العلم الكثير من الطلاب والرحالين[4].

اعتزم دعلج الإقامة في مكة، وعدم الخروج منها، للدراسة والتدريس بها، فساعدته قدراته المادية على شراء دار العباسية بمكة بثلاثين ألف دينار[5]، وبعد سنوات من الدراسة والتدريس بها، اضطر إلى الخروج منها مكرهًا، وذلك بعد أن هدده جماعة من الأعراب بها

---

(1) الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الآمين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج5، ص267-268؛ السمعاني، الأنساب، ج1، ص392؛ الذهبي، العبر، ج1، ص115.

(2) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ج4، ص1795-1796؛ الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق د.همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان (الأردن)، 1404هـ، ص104؛ الفاسي المكي، العقد الثمين، ج5، ص267-268؛ جلال عليبي، الحياة العلمية في الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة نوقشت بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2005م، ص284.

(3) الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص1795.

(4) الذهبي، سير، ج3، ص428-429.

(5) الذهبي، تذكرة، ج3، ص66.

بقتله، وسبب ذلك أن جماعة من خراسان قتلوا أخًا لهم، فحاول أن يبرئ نفسه، وأن يوضح لهم أن خراسان ليست بمدينة واحدة، وإنما تضم عددًا كبيرًا من المدن، وسبب اعتبار هؤلاء الأعراب أن دعلج من خراسان، هو أن بعض العرب كانوا يعتبرون سجستان إحدى كور خراسان التابع لإقليم المشرق(1)، الأمر الذي جعل دعلج يدافع عن نفسه، ويحاول إقناعهم بأنه ليس من خراسان، إلا أنهم لم يقتنعوا، ولم يخلصه منهم إلا جماعة من الناس، فرحل عن مكة خوفًا منهم، متوجهًا إلى بغداد(2).

ربما تعرض دعلج بن أحمد لوشاية هدفت به السوء، وإجباره على الخروج من مكة، وبالفعل خرج مجبرًا من مكة، أحب البلاد إليه، ولم تذكر المصادر تاريخًا محددًا لخروجه من مكة، ونعتقد أنه خرج منها قبل سنة290هـ/903م.

4-رحلته الثانية إلى مراكز التعليم في العراق:

كما أشرنا ارتحل دعلج من مكة إلى بغداد مرة أخرى، فاستقر بها، ومن المؤكد أن ذلك قريبًا من سنة290هـ/903م، أي في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي، فأقام بها سنوات طويلة، قام خلالها بالدراسة والتدريس، فكانت بغداد أحب البلاد إلى قلبه(3)، ومن المؤكد أنه لم يقتصر على الدراسة ببغداد فحسب، بل تردد بين المراكز العلمية بالمدن العراقية للتوسع في دراسة الفقه والحديث، حيث ازدهرت الحياة العلمية بشكل كبير في ذلك الوقت، خاصة في مجال العلوم الدينية، بسبب تشجيع الخلفاء العباسيين للفقهاء والمحدثين على تأليف الكتب في مجال الفقه والحديث، وصرف مكافآت لهم نظير ذلك، وقد تميز علماء الحديث في العراق بمنهج علمي، تميز بالدقة والتثبت وبراعة الاستقراء وجودة التوثيق، وقد

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص260، 295-297.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366؛ الذهبي، سير، ج16، ص32؛ السبكي، طبقات، ج3، ص291-292.

(3) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج9، ص366؛ الذهبي، سير، ج16، ص33.

بذلوا في سبيل تدوين السنة، وتمييز الصحيح عن غيره كثيرًا من الجهود، حيث عرفوا أن لتلك الأحاديث والسنن قدرها في دراسة الدين والشريعة الإسلامية[1].

في تلك المرة استفاد دعلج كثيرًا من مؤلفات علماء العراق، فحرص على دراستها، وتحصيل أحاديثها، لذلك صحب كثيرًا من علمائها، وتتلمذ عليهم، واقتبس منهم الفقه، وروى عنهم الأحاديث، ومن أبرزهم: أبى مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مهاجر البصري الكجي[2](ت292هـ/904م)، وكان شيخ العصر، ألف كتاب سماه "السنن"، أقبل عليه كثير من طلاب العلم، لشهرته بعلم الحديث وطرقه، كما أنه كان عالي الإسناد[3]، وتتلمذ على أبا محمد الحسن بن المثنى بن معاذ العنبري(ت294هـ/907م)، وكان ثقة، ورعًا عابدًا[4].

ومن شيوخه الذين التقى بهم، أبو عمران موسى بن هارون البزاز(ت294هـ/907م)، وكان من أشهر رواة الأحاديث في العراق، فكان إمامًا لتدريسه للطلاب، كما كان من أكبر النقاد، صنف الكثير من الكتب في علم الحديث، فأقبل عليه علماء عصره، وطلاب العلم، لثقتهم في روايته، وأسانيده[5]، كما قرأ دعلج بن أحمد على شيخه أبى عبد الله أحمد بن إبراهيم بن ملحان البلخي[6] البغدادي(ت294هـ/907م)، بعض كتب الحديث، فقد كان ابن

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج52، ص194؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق زاهر إسحق وآخرون، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2013م، ج16، ص489؛ Melchert Christopher, Religious Policies of the Caliphs from al-Mutawakkil to al-Muqtadir, 232-295AH/847-908AD, Islamic Law and Society, Vol.3, No.3, 1996, pp. 316-342.

(2) نسبة إلى الكج، وهو الجص، أي ما تُطلى به البيوت من الكلس أي الجير، وسبب تلك التسمية، أنه بنى دارًا بالبصرة من الجير؛ (انظر: السمعاني، الأنساب، ج11، ص50؛ الذهبي، سير، ج13، ص423-425).

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص36؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص34-36؛ السيوطي، طبقات، ص276.

(4) ابن أبي حاتم، الجرح، ج3، ص39؛ الذهبي، سير، ج13، ص526-527.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج16، ص31؛ ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص334؛ الذهبي، سير، ج12، ص116-119؛ السيوطي، طبقات، ص296.

(6) نسبة إلى مدينة بلخ إحدى مدن خراسان؛ (انظر: ابن رسته، الأعلاق، ج7، ص287؛ الحموي، معجم، ج1، ص568؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص68).

ملحان محدثًا متقنًا، اهتم بأسانيد الحديث[1]، ودرس دعلج على أبي شعيب عبد الله بن الحسن الحراني(ت295هـ/908م)، أحد أوثق رواة الأحاديث، وكان ممن يتقاضى أجرًا في تدريس الحديث[2].

ونستدل من الروايات أنه تتلمذ على أبى محمد يوسف بن يعقوب البصريُّ الأصل، البغدادي(ت297هـ/910م)، فقد كان أفضل أهل زمانه ببغداد في علم الحديث، وصاحب مؤلفات في الفقه والحديث[3]، وتتلمذ بالعراق على أبى بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي(نسبة إلى فارياب من نواحي بلخ)[4](ت301هـ/913م)، وسمع منه الكثير من الكتب، حيث ألف الكثير من الكتب النافعة، والتي استفاد منها طلاب العلم، وعرف عنه سعة العلم والمعرفة[5]، وتتلمذ أيضًا على أبى عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد الصوفي البغدادي(ت306هـ/919م)، كان صاحب حديث وإتقان، ودرس على يد كبار علماء عصره[6].

ونستدل من النصوص أن دعلج قد تتلمذ على أبي بكر محمد بن سليمان بن الحارث الباغندي[7](ت312هـ/925م)، وكان من أشهر رواة الأحاديث في بغداد، فجمع، وصنف، وانفرد بذكر عدد من الأحاديث، وارتحل إلى كثير من البلاد، للتأكد من صحة الأحاديث، والنقل من رواته الأصليين[8]، وتتلمذ أيضًا بالعراق على أبي بكر عبد الله بن سليمان

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص18؛ الذهبي، سير، ج13، ص533-534.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص94؛ الجوزي، المنتظم، ج13، ص76.

(3) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج16، ص456؛ الذهبي، سير، ج14، ص85-86؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص112؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929م، ج3، ص171.

(4) السمعاني، الأنساب، ج10، ص205؛ الحموي، معجم، ج4، ص284؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص85.

(5) ابن النديم، الفهرست، ص324؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص102؛ عياض، ترتيب، ج3، ص187-188.

(6) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج5، ص132؛ ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص36-37؛ الذهبي، سير، ج14، ص152-153؛ الصفدي، الوافي، ج6، ص189.

(7) نسبة إلى قرية من قرى واسط بالعراق؛ (انظر: السمعاني، الأنساب، ج2، ص45).

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص226-227؛ الذهبي، سير، ج14، ص383-388.

الأشعث السجستاني(ت316هـ/929م)، أحد أشهر الفقهاء والمحدثين في بغداد، وسمع منه كثيرًا من مؤلفاته في علوم الشريعة، نذكر منها: السنن، والمصاحف، وشريعة المقارىء، والناسخ والمنسوخ، والتفسير، والقراءات، والمسند، فقد كان بحرًا من بحور العلم[1].

كما سمع دعلج من شيخه أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي البغدادي(ت317هـ/929م) مصنفاته الدينية، ومنها: معجم الصحابة، وغيرها من المؤلفات، فقد كان أبو القاسم البغوي ثقة في رواية الأحاديث، لإدراكه الأسانيد العالية، حيث ساعدت دراسته للحديث واهتمامه به منذ الصغر على النقل عن صغار التابعين ومجالستهم[2]، وتتلمذ دعلج على أبي بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الشافعي(ت324هـ/ 936م)، وكان عالمًا في الفقه والحديث، وتفوق على الكثير من علماء عصره، وألف كثيرًا من الكتب، فكان إمام الشافعيين في عصره بالعراق، كما كان من الحفاظ المجودين في علم الحديث[3].

5-رحلته إلى مراكز التعليم في الري:

من المؤكد أن دعلج بن أحمد توجه إلى مدينة الري في إقليم بلاد الجبل[4] أثناء استقراره بالعراق، فدخلها في حدود سنة290هـ/384م، وذلك لحضور مجالس علماء الحديث بها، فتتلمذ على أبي الحسن علي بن الحسين بن الجنيد(ت291هـ/385هـ)، فقد كان أحد أئمة الحديث المالكي، حيث جمع أحاديث الإمام مالك[5]، ومن شيوخ دعلج بالري

(1) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج11، ص136-140؛ ابن أبي يعلى، طبقات، ج2، ص51-55؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص404-405؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص222؛ السيوطي، طبقات، ص324-325.

(2) ابن النديم، الفهرست، ص325؛ ابن أبي يعلى، طبقات، ج1، ص190-192؛ الجوزي، المنتظم، ج6، ص227-230؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص161؛ الذهبي، سير، ج14، ص440-455؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص163-164.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص339؛ الجوزي، المنتظم، ج13، ص363؛ الذهبي، سير، ج15، ص65-68؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص217؛ السبكي، طبقات، ج3، ص310-314.

(4) شمال غرب إيران حاليًا؛ (لمزيد من التفاصيل انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص385؛ الحموي، معجم، ج3، ص117).

(5) ابن أبي حاتم، الجرح، ج6، ص179.

أبو عبد الله محمد بن أيوب الرازي(ت294هـ/388م)، الذي كان من أئمة الحديث، وصاحب كتاب فضائل القرآن[1].

6-رحلته الثانية إلى مراكز التعليم في خراسان:

لم يتقوقع دعلج على نفسه في بغداد، إذ ظل يمارس دوره الطليعي في دراسة الحديث، فخرج إلى خراسان، وبالتحديد إلى نيسابور مرة أخرى للقاء علمائها والاطلاع على مصنفاتهم، فدخلها قريبًا من سنة 300هـ/913م، أثناء حكم السامانيين لنيسابور(290-384هـ/901-1153م)[2]، فالتقى بأبي العباس الحسن بن سفيان بن عبد العزيز الشيباني الخراساني النَّسَوِيُّ(ت303هـ/916م)، كان إمامًا للفقه والحديث والأدب، صنف كثيرًا من الكتب، وسمع دعلج منه كتاب المسند في الحديث[3].

ونستدل من المصادر أن دعلج بن أحمد على أبي بكر الشافعي الحافظ محمد ابن إسحاق بن خزيمة النيسابوري(ت311هـ/924م)، فقد كان يجمع بين الحديث والفقه، اشتهر بعلمه الواسع، وأدرك أصحاب الإمام الشافعي وتفقه عليهم، جمع وصنف الكثير من الكتب في الحديث والفقه، ومن أشهر كتب ابن خزيمة كتابه "مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم"، وهو ما اشتهر بين العلماء باسم صحيح ابن خزيمة، وذلك لحرص ابن خزيمة على تحري صحة الأحاديث[4].

7-رحلته إلى مراكز التعليم في دمشق ومصر:

ارتحل دعلج إلى بلاد الشام، وبالتحديد دمشق، التي كانت تعاني تقلبات سياسية في العصر العباسي الثاني في الفترة من247-334هـ/861-945م، غير أن الأوضاع العلمية بها تميزت بالازدهار خاصة علم الحديث، وهو ما جعل دعلج في حدود سنة320هـ/932م يقطع البيادي والقفار؛ ليحضر دروس العلماء الذين كانوا حجة في العلم، وقد كان الحديث يروى

---

(1) الذهبي، سير، ج13، ص449-450.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص500-503؛ اشتياني، تاريخ إيران، ص115.

(3) الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1963م، ج1، ص492؛ السبكي، طبقات، ج3، ص265.

(4) ابن حبان، الثقات، ج3، ص109.

بالسماع من العلماء والذين لابد من الارتحال إليهم، فالتقى بعدد من علماء الحديث بها، ولم توضح لنا المصادر عدد من لقيهم[1].

ونستدل من النصوص أنه تتلمذ في دمشق على أبي الحسن أحمد بن عمير بن يوسف المعروف بابن جوصا(ت320هـ/932م)، كان شيخ الشام في وقته، فكان يعتبر إمام أهل الحديث، ورئيس الشام، وعلى الرغم من براعة وإتقان ابن جوصا لعلم الحديث، إلا أنه وجهت ضده بعض الاتهامات، بوجود ضعف في عدد من الأحاديث التي تناولها، وذلك أن علماء تلك البلاد اهتموا بصحة الحديث من خلال تتابع الإسناد له من غير انقطاع، وهو ما جعل دعلج يرفض النقل عنه، بالإضافة أن دعلج رأى أمرًا أنكره على ابن جوصا، حيث وجده يربي كلبًا، فقال: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اقتناء كلب"[2].

ومن إشارات المصادر يتبين لنا أن دعلج ارتحل إلى مصر في حدود سنة323هـ/935م، في عهد الدولة الإخشيدية323-358هـ/935-969م، حيث تميز عهدهم بظهور عدد من أعلام المحدثين من أبناء مصر كان لهم نشاط مرموق في علم الحديث مما جعل دعلج يرحل إليهم للأخذ عنهم، والاستماع إليهم، كما أنه حدث بها[3].

سادسًا: أثره في الحياة العلمية والفكرية:

ساهم دعلج بن أحمد في ازدهار العلوم الدينية خاصة علم الحديث والفقه في البلدان التي ارتحل إليها، فلم يقتصر دوره على الدراسة والتدريس فحسب، بل امتد إلى أبعد من ذلك.

1- أوقافه على أهل العلم:

كان دعلج من ذوي اليسار والأحوال، فرغم ثرائه، وزيادة حجم تجارته، إلا أنه عزف عن الدنيا، شأن أسلافه الموسرين، من الصحابة والتابعين، الذين لم تُغرِهم كثرة الأموال،

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج14، ص278-279؛ ج51، ص202؛ أيمن عمر عبد الله البطوش، الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني(247-334هـ/861-945م)، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة مؤتة، الأردن، 2015م، ص51-60.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج5، ص116.

(3) الذهبي، سير، ج16، ص31.

ولم تصدهم عن طلب الآخرة، فكان أحد المشهورين بالبر والفضل، وله صدقات جارية، ووقوف محبسة على أهل العلم خاصة أهل الفقه والحديث، بالعراق، ومكة، وسجستان[1].

ونستدل من المصادر أن تلك الأوقاف لم تكن من أموال دعلج وحده، وإنما أيضًا من أموال شريكه في التجارة(تاجر البحر)، ففي آخر سنة لقي فيها دعلج، أوصاه قائلًا: "إن قضي الله علي بما قضاه على خلقه فهذا المال لك على أن تصدق منه، وتبني المساجد، وتفعل الخير"، وهذا ما فعله دعلج، فسدد ديون كثير من أهل العلم، وأنفق الكثير عليهم[2]، فخففت عنهم ضغوط الحياة، ويفهم من المصادر أن أوقافه ساهمت في إنشاء المساجد والمراكز العلمية مثل مسجده الذي أنشأه في بغداد بالكرخ بدرب السلولي، كما أنها ساهمت في إنشاء المرافق اللازمة لراحة العلماء وطلاب العلم[3].

2- طلابه:

يتضح أثر دعلج في الحياة الدينية في الشرق الإسلامي، أنه ساهم بفعالية في تشكيل ثقافة تلاميذه، مما أهّلهم للوصول إلى منزلة عالية في علوم الشريعة خاصة، والعلوم الدينية عامة، بل إن بعضهم نبغوا في علوم الفقه والحديث، وأصبحوا شيوخًا للعلم في عصرهم، نذكر منهم: أبا عمر محمد بن العباس بن حيويه البغدادي(ت382هـ/992م)، وكان من أهل الحديث والثقة[4]، ونذكر منهم أيضًا: أبا الحسن علي بن عمر بن أحمد(ت385هـ/995م)، الشهير بالدارقطني(نسبة إلى دار القطن ببغداد)، من أخص تلاميذ دعلج، وتذكر المصادر أنه حدث بمصنفات شيخه، وأكثر من الأخذ عنه[5]، ومنهم بمصر: الرحال الإمام المحدث أبو محمد الحسن إسماعيل بن محمد المصري(ت392هـ/1002م)[6]،

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص279؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص333.

(2) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج9، ص366؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج17، ص282-283؛ الذهبي، سير، ج16، ص33-34، 456.

(3) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج9، ص366؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج17، ص283.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص205؛ الجوزي، المنتظم، ج7، ص170-171.

(5) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج13، ص487-494؛ السمعاني، الأنساب، ج5، ص273-275.

(6) الجوزي، المنتظم، ج7، ص183-184؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص297-299.

ومنهم بمكة: الرحال القدوة الرباني الحافظ أبو الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي(399هـ/1008م)، إمام الحرم، كان من أوعية الحديث، روى الكثير بمكة[1]، ومنهم أيضًا: الرحال أبو الحسين بن أحمد الغساني(ت402هـ/1012م)، ومنهم أيضًا: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الشافعي(ت405هـ/1014م)، كان ممن"صَنَّفَ وَخَرَّجَ، وَجَرَح وَعدَّل، وَصحَّح وَعلَّل"[2]، ومنهم أيضًا: شيخ القراء بالعراق أبو أحمد الفرضي عبيد الله بن محمد(ت406هـ/1016م)، كان ذو علم وقرآن وإسناد[3]، كان عالم صالح مأمون ثقة[4]، ومنهم: الإمام الحافظ الزاهد المحدث أبو علي الحسن بن علي بن محمد(ت471هـ/1078م)[5].

وكان الإمام المحدث أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه البغدادي(ت412هـ/1021م)، من أشهر تلاميذ دعلج، ومن جلة شيوخ بغداد[6]، وممن أخذ عن دعلج وسمع منه وروى عنه العالم الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن الفضل البغدادي(ت415هـ/1024م)[7]، وعلي(ت415هـ/1024م)، وعبد الملك(ت430هـ/1039م) ابنا محمد بن عبد الله بن بشران[8]، والإمام محمد بن عمر بن زياد بن غيلان(416هـ/1025م)[9]، والإمام العلامة الأوحد الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الإسفراييني(ت418هـ/1027م)، أحد المجتهدين في عصره[10]، والإمام أبو الحسن علي

---

(1) السمعاني، الأنساب، ج8، ص54؛ الذهبي، سير، ج17، ص111-112.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص509-510؛ الجوزي، المنتظم، ج7، ص274-275؛ الذهبي، سير، ج17، ص162-177؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص280-281.

(3) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج12، ص113.

(4) السمعاني، الأنساب، ج8، ص116، 119؛ الذهبي، سير، ج17، ص52-56.

(5) الحموي، معجم، ج5، ص365.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2، ص211؛ الجوزي، المنتظم، ج8، ص4-5؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص256.

(7) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج17، ص331؛ السمعاني، الأنساب، ج10، ص186-187.

(8) الجوزي، المنتظم، ج8، ص18-19، 102.

(9) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص53.

(10) السمعاني، الأنساب، ج1، ص237؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص28.

بن أحمد بن محمد بن داود البغدادي(ت419هـ/1028م)[1]، والإمام الفاضل الثقة أبو الحسن أحمد بن علي بن الحسن(ت420هـ/1029م)، المعروف بابن البادا[2]، كما كان الإمام الإمام الفاضل الصدوق أبو علي الحسن بن أبي بكر أحمد بن شاذان البغدادي(ت425هـ/1034م)[3]، والشيخ أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الضبي المحاملي(ت429هـ/1038م)[4]، من تلاميذ دعلج.

2- مكانته العلمية ومصنفاته ومنهجه في رواية الأحاديث:

عرفت المجالس العلمية بالشرق دعلج عالمًا ناضجًا واسع العلم والثقافة، فلم يكتف بالتعليم وسماع الطلاب منه، بل صنف عددًا من الكتب في علوم الدين، خاصة علم الحديث، ومنها: "المسند الكبير"[5] الذي صنفه له تلميذه الدراقطني، ويذكر ابن الخطيب أنه صنف كتابًا في "حديث شعبة ومالك"[6]، وذكر الكتاني أن دعلج صنف كتابًا بعنوان "غرائب مالك"[7]، وكان عند الخطيب نسخه منه[8]، وقد نسب ابن حجر العسقلاني إلى دعلج كتابين هما "الفوائد"، الذي اقتبس منه، و"مُسند المُقلين"[9]، ومن المؤسف أنه لم يصلنا من مصنفاته سوى "مُسند المُقلين"، وهو أصل كتاب المنتقى الذي قام بتحقيقه الدكتور عبد الله الجُديع[10].

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج12، ص188؛ ج13، ص234؛ الذهبي، سير، ج17، ص369-370.

(2) السمعاني، الأنساب، ج2، ص17.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص223؛ الجوزي، المنتظم، ج8، ص86-87؛ ابن الأثير، الكامل، الكامل، ج9، ص445.

(4) الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج5، ص393؛ الذهبي، سير، ج17، ص538.

(5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص280.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366.

(7) الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، الطبعة السادسة، دار البشائر الإسلامية، 2000م، ص113.

(8) أكرم ضياء العُمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، 1985م، ص370.

(9) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج4، ص452؛ العُمري، موارد الخطيب، ص370.

(10) السجزي، المنتقى، ص19من مقدمة المحقق.

أمدتنا المصادر بإشارات مهمة عن منهج دعلج في دراسة الفقه ورواية الحديث، وفي كتابة مصنفاته خاصة تلك التي ارتبطت بعلم الحديث، فاهتم بالدراسة على أبرز علماء عصره وجهابذة نقاد الأحاديث ومعرفة عللها، فكان يلتقي بحفاظ الحديث، لتبادل الآراء معهم، والاستفادة منهم، والاطلاع على مصنفاتهم، حيث هدف إلى الاستزادة من الحديث وحفظ ما لم يكن موجودًا عند علماء بلده، ومعرفة سيرة الرواة في بلدانهم، ليعلم قوتهم من ضعفهم، ومقدار ما يتمتع به الراوي من أمانة ودقة، وعدالة وضبط، فإذا رأى منهم ما يعيب عليهم ذلك، تحفظ في الأخذ والنقل عنهم[1].

حرص دعلج في روايته للحديث على تحقيق قاعدة "علو الإسناد وقدم السماع"[2]، فالعلو هو قلة عدد الوسائط في سند الحديث مع اتصال السند، وحدث العلو عن طريق سماع الحديث من راوٍ عن شيخٍ حي، فيذهب إلى ذلك الشيخ ويسمع منه، فقد رأى دعلج أن للعلو فائدة عظيمة، وهي أن يبعد الإسناد من الخلل، لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع من جهته خلل في النقل، فإذا قلت الوسائط تقل جهات الاحتمال للخلل، فيكون علو السند وقوة الحديث[3]، وهو ما نجح دعلج في تحقيقه.

الأمر الذي جعل دعلج يضع قواعد منهجية لنفسه في جمع الحديث، حتى يميز الصحيح من الزائف، ويبين الموضوع من الأخبار، ووضع علامات يعرف بها الوضع بنوعيه في السند والمتن، فكان جمع الحديث عنده له طريقتان هما: الحفظ في الصدور وذلك من خلال السماع من الشيخ فيما يسمى مجالس التحديث، والحفظ في السطور وذلك من خلال تدوينها في الكتب، وبعد الجمع تأتي مرحلة الانتقاء والتصفية، فإذا اكتشف ضعف الراوي أو كذبه، خرق حديثه، ورمى به، وهو ما جعل عمر بن جعفر البصري(ت357هـ/968م) يقول عنه: "ما رأيت ببغداد مما انتخبت عليهم أصح كتبًا، ولا أحسن سماعًا من دعلج"، كما قال عنه تلميذه الدراقطني:"لم أر في مشايخنا أثبت منه"[4].

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج5، ص116؛ الذهبي، سير، ج15، ص17.

(2) السيوطي، تدريب الراوي، ج2، ص142.

(3) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1966م، ص231.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص366.

كما اهتم دعلج بتدقيق وتنقيح مصنفاته، فالمصادر تشير إلى أنه عندما انتهى من تأليف كتابه المسند أرسله إلى كبير حفاظ الحديث أبي العباس بن عقدة(ت332هـ/944م) لينظر فيه، ويراجعه، وجعل في داخله بين كل ورقتين دينارًا، نظير ما قام به أبو العباس، كما أن الدراقطني كان ممن قام بالتدقيق في مصنفات دعلج ومراجعتها[1]، الأمر الذي جعل من كتابات دعلج ومجالسه العلمية قيمة عظيمة، نالت اهتمام الكثير من علماء وطلاب عصره، فأقبلوا لدراستها، والأخذ عنها.

عرف علماء العالم الإسلامي عامة، والشرق خاصة، قدر دعلج ومكانته العلمية الرفيعة، حيث شهد له علماء عصره من الفقهاء والمحدثين فيما كان يحسنه من علوم، وأثنوا عليه وقرظوه بأقوال حسنة، ووصفوه بما يرفع شأنه، ويُعلي قدره من الصدق والأمانة والثقة والجود والكرم، ولقبوه بـ"شيخ أهل الحديث"، كما شهد له تلاميذه بالفضل والألمعية والتقدم في علم الحديث والفقه[2].

سابعًا: وفاته ومصادرة أمواله:

تغيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق منذ سنة 334هـ/946م، وهي الفترة التي شهدت استقرار دعلج ببغداد، وانتظامه للتدريس في مسجده، حيث سيطرت الدولة البويهية[3] على الخلافة العباسية في بغداد، فبعد تولي معز الدولة البويهي منصب نائب أمير الأمراء في بغداد(334-356هـ/946-967م)، سيطر على مقاليد الأمور، ونجح في خلع الخليفة المستكفي(333-334هـ/944-946م)، وتولية ابن عمه الخليفة المطيع لله(334-363هـ/946-

---

(1) الخطيب البغدادي، المصدر السابق نفسه.

(2) الخطيب البغدادي، المصدر السابق نفسه؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص279.

(3) جاء البويهيون من منطقة الديلم، وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين؛ وامتد سلطانهم إلى حدود العراق، ثم سيطروا عليها سنة 334هـ/946م دون مقاومة بعد ترحيب الخليفة المستكفي بهم، ومبايعتهم له بالخلافة، وفي نفس الوقت منح الخليفة العباسي أميرهم بفارس منصب أمير الأمراء في الخلافة العباسية، وعين أبو الحسن أحمد بن بويه نائبًا له بالعراق، ولقب بمعز الدولة؛ (انظر: أحمد بن محمد مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، 2001م، ج2، ص85؛ ابن دحيه، النبراس في تاريخ الخلفاء، تحقيق مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م، ص114).

974م)[1]، وساءت الأحوال الاقتصادية في بلاد العراق نتيجة قيام معز الدولة بإقطاع قادته والخواص عدد من الإقطاعات الزراعية للجنود بدلًا من الرواتب، مما أدى إلى إفلاس خزينة الدولة، وقيامه بمصادرة أموال الناس[2].

ولما توفي دعلج سنة 351هـ/962م في بغداد، بعد حياة طويلة في طلب العلم ونشره في الأفاق، وزاخرة بالبر والإحسان، قام معز الدولة البويهي بمصادرة جميع أمواله وأملاكه باستثناء الأوقاف[3]، غير أن الذهبي أشار إلى أن معز الدولة لم يسيطر على كل أملاك دعلج، بل صادر ثلاثمائة ألف دينار[4]، ولم يكن سبب مصادرة أموال دعلج، هو سوء الحالة الاقتصادية فحسب، وإنما أيضًا انتقامًا منه؛ لأنه رفض الشهادة على غلام معز الدولة دون أن يراه، ويدافع عن نفسه، الأمر الذي أغضب معز الدولة عليه[5].

الخاتمة

أكدت الدراسة على أن مولد دعلج كان في مدينة زرنج أكبر مراكز سجستان، كما أنه التحق بالمؤسسات التعليمية في سجستان سواء الكتاتيب أو المساجد؛ ورجحت الدراسة أن ثراءه كان في بداية حياته العلمية والعملية أي بعد خروجه مباشرة من سجستان، مما مكنه من القيام برحلاته العلمية إلى مراكز الثقافة الإسلامية المشرقية، فكان لذلك كبير الأثر في تكوينه علميًا وثقافيًا، وساعدت في تحقيق علو السند وقوة الحديث، كما أنها بينت أنه لم يقتصر على الأخذ من شيوخ الشافعية فحسب، إنما أخذ أيضًا من شيوخ الحنفية والمالكية، فأصبح شيخًا للمحدثين والفقهاء في العالم الإسلامي، حيث عاصر الكثير من ملوك وأمراء الدول التي مر بها.

---

(1) المسعودي، التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م، ص345؛ أحمد ابن يوسف القزماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ج2، ص152.

(2) ابن كثير، البداية، ج15، ص170؛ محمد حسن الدليمي، الاقطاع العسكري في الدولة العباسية 447-656هـ، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، 2011م، ص64-67.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص285.

(4) الذهبي، تذكرة، ج3، ص66.

(5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج17، ص281.

وتبين من خلال تحليل بعض النصوص التي وردت في كتب التراجم والطبقات، والمصادر الأدبية والتاريخية، أنه كان من أبعد المحدثين أثرًا في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي خاصة في مجال الحديث الشريف، حيث أفادت مصنفاته ودراساته الكثير من علماء عصره وطلابه، ويعد نموذجًا للتواصل العلمي والترابط الفكري بين أبناء الأمة الإسلامية، كما كان لأوقافه على أهل العلم عامة، ومشايخ الحديث خاصة دور كبير في رفع المعانة عن كثير من العلماء وطلاب العلم.

وأثبتت الدراسة أن دعلج يُعد مرجعًا أساسيًا ومصدرًا من المصادر التي يعود إليها العلماء والطلاب في دراساتهم المتصلة بالعلوم الدينية، وأن منهجه العلمي المرتبط بالتنقيح والتصنيف كان من أهم عوامل تأصيل علم مصطلح الحديث، حيث اعتنى بالسند، والمتن، من حيث القبول والرد، وما يتبع ذلك من كيفية الرواية والأداء والضبط، فتحلق حوله الطلاب بمسجده بالكرخ في قطيعة الفقهاء في بغدادَ دارِ إقامته.

خريطة

نقلًاعن: شوقي أبو خليل، أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، 2003م، ص241.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

1- **البستي(محمد بن حبان بن أحمد)ت354هـ/965م**

– الثقات، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1973م.

2- **ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي)ت779هـ/1377م:**

– رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار وغرائب الأمصار، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

3- **البلاذري(أحمد بن يحيى بن جابر)ت279هـ/892م:**

– فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، 1988م.

4- **ابن تغري بردي(أبو المحاسن جمال الدين يوسف)ت874هـ/1470م:**

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929م.

5- **ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد الشيباني)ت630هـ/1233م:**

– الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م.

6- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980م.

7- **الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)ت255هـ/ 896م:**

– البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، 1423هـ.

8- **الجرجاني(أبو القاسم حمزة بن يوسف)ت489هـ/1096م:**

– تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، 1987م.

9- الجرديزي(أبو سعيد عبد الحي)ت453هـ/1061م:

– زين الأخبار، تعريب محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية، فاس، 1972م.

10- **ابن الجزري(أبو الخير شمس الدين)ت833هـ/1429م:**

– غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1351هـ.

11- **الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن بن علي)ت597هـ/1201م:**

– المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

12- **ابن الجوزي(أبو المظفر يوسف بن عبد الله)ت654هـ/1256:**

– مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق زاهر إسحق وآخرون، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2013م.

13- **ابن أبي حاتم(أبو محمد عبد الرحمن بن محمد)ت327هـ/938م:**

– الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.

14- **ابن حجر العسقلاني(أبو الفضل شهاب الدين أحمد)ت852هـ/1448م:**

– الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، 2008م.

15- تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ.

16- لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.

17- **الحميري(محمد بن عبد المنعم) ت 705هـ أو 709هـ/1306م أو 1308م :**

– الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

18- **ابن حوقل النصيبي(أبو القاسم محمد بن علي)ت380هـ/990م :**

– صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938م.

19- **ابن خرداذبة(أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله)ت280هـ/893م:**

– المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1988م.

20- **الخطيب البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي)ت463هـ/1071م:**

– تاريخ بغداد، تحقيق د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.



21- ـــ:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ.

22- **ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد)ت681هـ/1282م:**

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

23- **ابن خاوند شاه(محمد)ت903هـ/1498م:**

– روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة د.أحمد عبد القادر الشاذلي، الطبعة الأولى، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1988م.

24- **ابن دحية(أبو الخطاب عمر بن الحسن)ت633هـ/1235م:**

– النبراس في تاريخ الخلفاء، تحقيق مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م.

25- **الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايماز)ت748هـ/1348م:**

– ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1963م.

26- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

27- سير أعلام النبلاء، تحقيق محموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، تقديم بشار عواد معروف، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

28- تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

29- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

30- ـــــ:المعين في طبقات المحدثين، تحقيق د.همام عبد الرحيم سعيد، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان (الأردن)، 1404هـ.

31- ابن رستة(أحمد بن عمر)ت300هـ/912م

– الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م.

32- الزبيدي(أبو بكر محمد بن الحسن)ت379هـ/989م:

– طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1954م.

33- **الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني)ت1205هـ/1732م:**

– تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد، والأنباء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965م.

34- السبكي(تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين)ت771هـ/1370م:

– طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د.محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1413هـ.

35- السمعاني(أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي)ت562هـ/1166م:

– الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى، أبو بكر محمد الهاشمي، محمد ألطاف حسين، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، 1962م.

36- **السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)ت911هـ/1505م:**

– تدريب الراوي في شرح تقريب النوادي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م.

- طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

37- **الشيرازي(أبو إسحاق إبراهيم بن علي)ت476هـ/1083م:**

– طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م.

38- الشهرزوري(أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن)ت643هـ/1245م:

– علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1966م.

39- الأصبهاني(أبو نعيم أحمد بن عبد الله)ت430هـ/1038م:

– معرفة الصحابة، تحقيق عادل العزازي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، 1998م.

40- الإصطخري(أبو إسحاق إبراهيم محمد الكرخي)ت346هـ/957م:

– المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004م.

41- الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك)ت1363/764م:

– الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

42- الأصفهاني(حمزة بن الحسن)ت360هـ/970م:

– تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.

43- **الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير)ت310هـ/923م:**

– تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، دار التراث، بيروت، 1977م.

44- ابن عبد البر القرطبي(أبو عمر يوسف بن عبد الله)ت463هـ/1071م

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1994م.

45- ابن عبد الحق(صفي الدين عبد المؤمن)ت739هـ/1338م:

– مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1955م.

46- ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن)ت571م/1176م:

– تاريخ دمشق، تحقيق أبو سعيد عمر بن غرامة، دار الفكر، القاهرة، 1995م.

47- عياض (القاضي أبو الفضل) ت 544هـ/1149م:

– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1970م.

48- ـ:الإلماع في معرفة أصول الرواية في تقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م.

49- الفاسي المكي(تقي الدين محمد بن أحمد الحسني)ت832هـ/1429م:

– العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

50- ابن قدامة(أبو محمد عبد الله بن أحمد)ت620هـ/1223م:

– المغني، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

51- القرماني(أحمد بن يوسف)ت1019هـ/1611م:

– أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

52- القزويني(زكريا بن محمد بن محمود)ت682هـ/1283م:

– آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م.

53- القلقشندي(أحمد بن علي الفزاري)ت821هـ/1418م:

– صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م.

54- ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر)ت774هـ/1373م:

– البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، بدون تاريخ.

55- مجهول:

– تاريخ سجستان، ترجمة محمود عبد الكريم علي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م.

56- المزي(جمال الدين أبو الحجاج يوسف)ت742هـ/1341م:

– تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

57- **مسكويه(أحمد بن محمد)ت421هـ/1030م:**

– تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، 2001م.

58- **المسعودي(أبو الحسن علي)ت346هـ/957م:**

- المسعودي، التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م.

59- المقدسي(أبو عبد الله محمد بن أحمد)ت378هـ/988م:

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

60- **المقدسي(المطهر بن طاهر)ت355هـ/966م:**

- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، بدون تاريخ.

61- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) ت 711هـ/1311م:

- لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

62- ابن ناصر الدين الدمشقي(محمد بن عبد الله بن محمد الشافعي)ت842هـ/1438م:

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

63- ابن النديم(أبو الفرج محمد بن إسحاق)ت377هـ/987م:

- الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، 1997م.

64-ابن نقطة(أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي)ت629هـ/1231م:

- تكملة الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، السعودية، 1418هـ.

65- النيسابوري(أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله)ت405هـ/1014م

- المستدرك على الصحيحين، تحقيق مقبل الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، 1997م.

66- الهروي(أبو الحسن علي بن أبي بكر)ت611هـ/1215م:

- الإشارات في معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، طومين، دمشق، 1953م.

67- الهمذاني(أبو بكر أحمد بن محمد)ت340هـ/951م:

- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ.

68- أبو الوفاء القرشي(محمد بن محمد بن نصر الله)ت775هـ/1373م:

– الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1332هـ.

69- اليافعي(عبد الله بن أسعد)ت768هـ/1367م:

– مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

70- ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله)ت626هـ/1229م:

– معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

71- ـــ:معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

72- اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)ت284هـ/897م:

– البلدان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

73- ابن أبي يعلى(القاضي أبو الحسين محمد)ت526هـ/1131م:

– طبقات الحنابلة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

74- ابن يونس(أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد)ت347هـ/958م:

– تاريخ ابن يونس المصري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ..

ثانيًا: المراجع العربية الحديثة والأجنبية المعربة

1- **اشتياني(عباس إقبال)**:تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية 205هـ/820م-1343هـ/1925م، تعريب محمد علاء الدين منصور، راجعه السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م.

2- **أمين(د.أحمد)**:ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، 1999م.

3- **بارتولد(فاسيلي)**:تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، القاهرة، 1952م.

4- **باريزي (إبراهيم باستاني):**يعقوب بن الليث الصفار، ترجمة عن الفارسية محمد فتحي الريس، دار الرائد العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

5- **البغدادي(إسماعيل باشا):**هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، 1951م.

6- **التونجي(د.محمد):**المعجم الذهبي فارسي–عربي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.

7- **الجمل(د.محمد عبد المنعم):**الدول الإسلامية المستقلة في المشرق (التاريخ والحضارة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م.

8- **الحديثي(قحطان عبد الستار):**التواريخ المحلية لإقليم خراسان، دار الكتب، بغداد، 1990م.

9- **خليل(د.شوقي):**الحضارة الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 2002م.

10- **الدليمي(محمد حسن):**الاقطاع العسكري في الدولة العباسية447-656هـ، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، 2011م.

11- **ذنون(د.إحسان وآخرون):**الحياة العلمية زمن السامانيين(التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة)، بيروت، بدون تاريخ.

12- **زامباور(إدوارد كارل):**معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن، وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1951م.

13- **السامرائي(خليل):**تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م)، طبع جامعة الموصل، 1988م.

14- **أبو سيف(فتحي):**خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، الطبعة الأولى، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1988م.

15- **شتا(إبراهيم الدسوقي):**المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م.

16- **الشهاوي(إبراهيم دسوقي):**مصطلح الحديث، دار وسام للطباعة، حلوان، 1969م.

17- **عبد الحليم(راضي عبد الله):**دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي 40-132هـ، الأندلس للإعلام والنشر، القاهرة، 1987م.

18- **عرفة(د.محمود):** الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2008م.

19- **العُمري(أكرم ضياء):** موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، 1985م.

20- **الفرفور(د.محمد عبد اللطيف صالح):** مصادر الفقه الإسلامي، دار الكلم الطيب، دار ابن كثير، دار القادري، دمشق، بيروت، 1995م.

21- **الفقي(د.عصام الدين عبدالرءوف):** تاريخ الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.

22- ـــ: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.

23- **القنوجي(صديق بن حسن):** أبجد العلوم، وضع فهارسه عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م.

- **الكتاني(أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض):** المعروف بالكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، الطبعة السادسة، دار البشائر الإسلامية، 2000م.

24- **كحالة(د.عمر):** معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، 2000م.

25- **لسترنج(كي):** بلدان الخلافة الشرقية، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

26- **محمود(د.حسن أحمد):** الإسلام في آسيا الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981م.

27- **القحف(منذر):** الوقف الإسلامي تطوره وإدارته وتنميته، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2006م.

ثالثًا: الدوريات العربية والرسائل العلمية الغير منشورة

1- **البطوش(أيمن عمر):** الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام في العصر العباسي الثاني(247-334هـ/861-945م)، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة مؤتة، الأردن، 2015م.

2- **حريد(كلثوم محمد):** الحركة الحديثية في إقليم سجستان، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، الإمارات، العدد1، يونيو 2019م، المجلد 16.

3- **الزبيدي(عبد القادر أحمد يونس):** الرحلات العلمية بين العراق والمشرق الإسلامي في القرن الثالث للهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعة الموصل، 2005م.

4- **العريفي(أحمد فهد):** عج بن حاج والي الحرمين في آخر القرن الثالث الهجري، العدد11، 12، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، أكتوبر 1998م.

5- **عليبي(جلال):** الحياة العلمية في الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، رسالة دكتوراة غير منشورة نوقشت بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2005م.

6- **العنزي(سلما مالح):** إقليم سجستان وتاريخه السياسي والعلمي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الصفارية (23-247هـ/643-861م)، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الأردن 2019م.

7- **القلا(د.إبراهيم علي):** مدينة بُسْت منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر السلجوقي(30-590هـ/650-1193م)، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، بدون تاريخ.

8- النورستاني(محمد محمدي): مدينة سجستان، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد53، 2010م.

رابعًا: المصادر الفارسية

1- مجهول:

– تاريخ سيستان، (تاليف در حدود 445-725هـ)، باعتناء ملك الشعراء بهار، كتابخانه زوار- طهران، 1314هـ.

خامسًا: المراجع الأجنبية

1. Fisher, W.B, The Cambridge History of Iran, london, 1968, Voll.

2. Melchert Christopher, Religious Policies of the Caliphs from al-Mutawakkil to al-Muqtadir, 232-295AH/847-908AD, Islamic Law and Society, Vol.3, No.3, 1996.

3. Wilber, Donald N., Iran Past and Present, New Jersey, 1976.

الصحابي الجليل "رويفع بن ثابت الأنصاري". إماماً وراوياً.

اسم ولقب المؤلف: زينب عبد الله أحمد كرير

الدرجة العلمية والوظيفة: أستاذ مشارك. جامعة صبراتة، كلية الآداب والتربية، قسم التاريخ.

البريد الإلكتروني: ________________

تاريخ استقبال البحث: 2024/08/11م، تاريخ القبول: 2024/10/12م

الملخص باللغة العربية:

شهدت حركة الفتوح الإسلامية إبّان حكم الدولة الأموية (41هـ -132هـ / 662-750م) بدايةً من عهد "معاوية بن أبي سفيان " فتوحاتٍ مُنظّمة على درجة كبيرة من التصميم والإصرار على رفع راية التوحيد بإفريقية وما يليها غرباً، فتمّ تسيير حملات عسكرية تِباعاً نحو بلاد المغرب، ضمّت **خيرة الشخصيات الإسلامية الذين شرّفتْ أقدامهم الأراضي الليبية**، وبرزت في تلك المعارك الضارية كفاءات فتية لجند المسلمين، كان من بينهم الفارس الفذ **"رُويفع بن ثابت الأنصاري" (موضوع البحث)**.

لقد كانت ليبيا – في هذه المنطقة - بوابة ذلك المجد؛ لأنها كانت حلقة الوصل بين الشام ومصر والبلاد المغاربية، فتتابعَ في هذه الفترة الحاسمة على برقة وطرابلس عدد من الولاة بعضهم من الصحابة والتابعين، برزَ منهم " معاوية بن حُديج السُكوني"، الذي بدوره أقرّ الصحابي الجليل **" رُويفع بن ثابت الأنصاري"** والياً على طرابلس عام (46هـ/667 م)، ليكون مثالاً يُحتذى به في الإمارة والقيادة والتوجيه، وله الفضل – بعد الله – **في رفع راية الإسلام – ولأول مرة - على جزيرة جربة في (47هـ** /667 م- 668م)، أعطى خلالها لفرسانه وجنده دروساً في القيادة الحكيمة، فأرشدهم وذكّرهم، و نهاهم وأمرهم، امتثالاً لما سمِعه مباشرةً من النبي صلى الله عليه و سلم – بحكم صُحبته له .

لقد ثبتَ عن هذا الصحابي الجليل **روايته لأحاديث نبوية عديدة**، تناولتْ مواضيع مهمة لها علاقة بإيمان المسلم وعقيدته، منها ما يتعلق بأدبيات القتال في الإسلام، الأمر الذي يعكس القيم النبيلة لديننا الحنيف، ويفنّد الآراء المُغرضة التي أرادت تشوّيه الإسلام والمسلمين، وأظهرتهم في صورة العربي المتعطش للقتل والغنيمة والسبي، **إضافةً لأحاديث** أخرى تهُمّ الاقتصاد، وتُشرّع للمعاملات المالية، **سيتم رصدها** من حيث الموضوع والإسناد واختلاف الرواية .

تعتمد الدراسة على نصوص مصادر تاريخية و شرعية، تناولت انجازات هذا الصحابي التاريخية المُغيّبة، والمدلولات العميقة لرواياته للأحاديث النبوية، مع بعض الملاحق التي تخص البحث فالخاتمة والتوصيات . والله الموفق.

الكلمات المفتاحية: الفتوح، الصحابي، إفريقية، أحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم- رواية .البيضاء.

Research summary:

The Noble Companion Ruwaifi' bin Thabit al-Ansari: An Imam and a Narrator." The Islamic conquests during the reign of the Umayyad Caliphate (41-132 AH / 662-750 AD) began with organized campaigns, starting from the era of Muawiyah bin AbiSufyan, with a great deal of determination and insistence on raising the banner of monotheism in Africa and further west. Successive military campaigns were launched towards the Maghreb countries, involving some of the finest Islamic figures whose feet honored the Libyan lands. Among these distinguished warriors was the valiant knight "Ruwaifi' bin Thabit al-Ansari" (the subject of the research).

Libya, in this region, was the gateway to that glory because it served as the connecting link between the Levant, Egypt, and the Maghreb countries. During this critical period, Barqa and Tripoli saw the succession of several governors, some of whom were companions and followers. Among them was "Muawiyah bin Hudayj al-Sakuni," who, in turn, appointed the noble companion "Ruwaifi' bin Thabit al-

Ansari" as the governor of Tripoli in the year 46 AH (667 AD). He became a model in leadership and guidance, credited – after Allah – with raising the banner of Islam for the first time on the island of Jerba in the year 47 AH (667-668 AD). During this time, he taught his knights and soldiers lessons in wise leadership, guiding, advising, warning, and commanding them, in accordance with what he directly heard from the Prophet Muhammad (peace be upon him) due to his companionship with him.

This noble companion was confirmed to have narrated numerous prophetic hadiths, addressing important topics related to a Muslim's faith and creed, including the ethics of warfare in Islam. This reflects the noble values of our pure religion and refutes the biased views that aim to distort the image of Islam and Muslims, depicting them as Arabs thirsty for killing, loot, and enslavement!

Additionally, the research will cover other hadiths concerning the economy and financial transactions, scrutinizing them in terms of subject matter, chain of narration, and variations in the narrations.

The study relies on texts from historical and legal sources, highlighting the overlooked historical achievements of this companion and the profound implications of his hadith narrations, along with some appendices related to the research, conclusions, and recommendations. And Allah is the grantor of success.

Keywords :

Islamic conquests – hadiths of Mohammad - Barqa - Narrative - Ruwaifi' bin Thabit al-Ansari.

المُقدّمـة:

يسعى هذا البحث لتسليط الضوء على شخصيات إسلامية بمواصفات قيادية – تكاد تكون مغمورة – لها بصمات غيّرت مجرى التاريخ، والصحابي الجليل "رُويفع بن ثابت الأنصاري" هو أنموذجاً لإحدى هذه الشخصيات التي تشرّبتْ مبادئها من مدرسة النبي

محمد، القائد والمُعلّم - صلى الله عليه وسلم -، فكانت نِتاجاً مُشرّفاً لهذه الصُحبة المباركة، ويعد سجالاً من البطولات على أرض برقة وطرابلس وإفريقية، قُدّر **لمدينة البيضاء** أن تحظى بشرف ضَم **رُفاة أحد الصحابة الكرام للنبي محمد صلى الله عليه وسلم " رُويفع بن ثابت الأنصاري"** .

الهدف من هذه الدراسة، إعطاء هذه الشخصية الفذّة حقها في الفضاء الأكاديمي، ولفت انتباه القرّاء والمهتمين بالإرث التاريخي " الإسلامي والوطني "، بأنه لا يزال هناك شخصيات في الظل، رغم دورها القيادي البارز في حراك الفتح الإسلامي الأول، وأنه في ثنايا المصادر التاريخية أحداثاً تحمل في طياتها الكثير من المعلومات والتفاصيل المُغيّبة، **مع التنويه** أنّ عدم وجود طرح أكاديمي – مُتاح – [1] يخص هذا الصحابي الجليل ودوره الريادي في صناعة المتغيرات الحيوية لتاريخنا الإسلامي والإقليمي كان سبباً جوهرياً لاختيار الموضوع .

يكشف هذا البحث نقطة مهمة جداً جديرة بالاهتمام والتعريف، فعلى الرغم من كون " رُويفع بن ثابت الأنصاري " رجل المرحلة، لشخصيته القيادية في الجانب العسكري والسياسي عامةً ببلادنا وبإفريقية آنذاك؛ فهو أيضاً راوٍ لأحاديث نبوية سمعها، ونقلها **مباشرةً** عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - والتي تؤكد في مجملها على سماحة هذا الدين الحنيف، ومبادئه النبيلة والجليلة، وتنفي عنه ما يحاول أعداؤه إلصاقه به من تُهم وضلالات، وتشويه وشُبهات، وسنتناول لاحقاً مواضيعها مفصّلة بمتن البحث .

تُسلّط هذه الدراسة الضوء على عدة مفاهيم لها علاقة بالهَدي النبوي، من خلال أحاديث نبوية صحيحة - في معظمها - رواها هذا الصحابي الجليل عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم، والتي سمعها منه مباشرةً أثناء مرافقته له، ومشاركته في الغزوات الكُبرى والفتوحات العظمى على أهل الكفر والضلال، فتنوّعت مواضيع هذه الروايات، فمنها العقدي، ومنها الشخصي، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، وكلها تنّصبٌ في المحافظة

---

1 - من خلال البحث عن المادة التاريخية للموضوع – من خلال الشبكة الدولية – تم العثور على عنوان بحث لـ :" صفاء جاسم حمد – نور الهدى محمود ، بعنوان : الصحابي الجليل رُويفع بن ثابت الأنصاري – رضي الله عنه – سيرته وأثره في صدر الإسلام الأول ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، نشره جامعة تكريت ،مج 11، ع 45، ج 2، سبتمبر 2020م. للأسف لم نتمكن من قراءته أو الاستفادة منه للبحث.

على مجتمعٍ إسلاميٍ طاهرٍ، تحكمهُ تشريعات مضبوطة بميزان الأوامر والنواهي الشرعية التي ربطها النبي – صلّى الله عليه وسلم - في أحاديثه الشريفة بأولويات الإيمان وسلامة العقيدة.

المنهج المتّبع في هذه الدراسة هو المنهج السردي والوصفي من مدارس البحث التاريخي .

الدراسات السابقة للموضوع تكاد تكون معدومة، باستثناء مقالات صحفية مُنصفة للصحابي الجليل، ولكنها تفتقر للشروط الأكاديمية، ولعل ذلك كان من أحد أهم الصعوبات التي واجهت البحث، إذ إن مادة البحث هي جمعٌ لبعض تفاصيل مبعثرة في النصوص التاريخية المتعلقة بالأحداث السياسية لفترة ولايته – رضي الله عنه - والأحاديث النبوية المروية عن شخصية البحث – رضي الله عنه - من أمهات الكتب التاريخية والشرعية، بالإضافة لكتب الطبقات والتراجم والأنساب لما فيها من إثراء يخصّ أعلام البحث وتفاصيل حياتهم .

تم تقسيم البحث إلى عدة **عناصر**، وهي : المقدمة

- تمهيد تاريخي عن الخلفية التاريخية لحركة الفتوحات الإسلامية نحو إفريقية، وأبرز الشخصيات القيادية التي كانت مدرسة لشخصية البحث في الفروسية والإقدام .
- التعريف بشخصية البحث " رُويفع بن ثابت الأنصاري " :
  (قبيلته ، إسلامه ، صحبته للنبي - صلى الله عليه و سلم –)
- كلمة في الأنصار والفتوحات الإسلامية التي واكبها هذا الصحابي الجليل .
- " رُويفع بن ثابت الأنصاري " والياً على طرابلس عام (47هـ / 667م)على أيام حكم معاوية بن أبي سفيان (41،60هـ / 641-661م).
- رفع راية التوحيد على جزيرة جربة ، بقيادة " رُويفع الأنصاري " عام (47هـ / 66 م) .
- الأحاديث النبوية التي رواها "رضي الله عنه " ودلالاتها السامية .
- وفاته "رضي الله عنه " / الخاتمة ، فالتوصيات أهم مصادر ومراجع البحث، ثم الملاحق.

-

تمهيد تاريخي :

" الخلفية التاريخية لحركة الفتوح الإسلامية نحو إفريقية وأهم رموزها القيادية" .

توجّه القائد المسلم "عمرو بن العاص" مباشرة أواخر العام (21هجري ، بداية 22هجـ / 641-642م) بعد إتمام فتح الإسكندرية([1]) نحو " برقة*"، وكان ذلك نتيجة منطقية وضرورة استراتيجية لتأمين حدود مصر الغربية من عدوان الروم البيزنطيين، خاصة لوجود الخطر المحدق بالمسلمين من جهة البحر، والذي يكمن في قوة الأسطول الحربي في عرض المتوسط، ففتح برقة كان صمّام الأمان للعرب المسلمين بمصر[2]، وبرغم أنها كانت هي وطرابلس تُدينان بالولاء لبيزنطة؛ إلا أن القبائل البربرية القاطنة في ليبيا عامةً من " لواته و هوّارة و نفوسة [3]" كانت تثور لأجل الاستقلال عن الحكم البيزنطي بين الحين والآخر.

1- عمرو بن العاص بن وائل ، داهية قريش ، يُضرب به المثل في الدهاء والفطنة ، الحزم ، أسلم في أول العام الثامن للهجرة ، مرافقاً لفارس قريش: خالد بن الوليد بن المغيرة، و فرح النبي بقدومه عليه لإعلان إسلامه، و أمّره على بعض الجيش وجهزه للغزو . روى عن النبي الكريم بعض الأحاديث اتفق البخاري ومسلم على بعضه، توفي عام ثلاثٍ و أربعين للهجرة .للمزيد أنظر: ابن سعد ، الطبقات، 254/4 / الطبري ، محمد بن جرير ، 558/4 / أعلام النبلاءج54/3)/ المسعودي ،مروج الذهب ، 212/3).

* برقة : واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، تفسيره خمس مدن ...برقة في صحراء حمراء التربة والمباني ..دائمة الرخاء كثيرة الخير ..." للمزيد ، أنظر : البكري " أبو عُبيد "عبد الله بن عبد العزيز " ت.487هـ ، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح : حماه الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013 م ، ط 1 ، ص10 . كانت تسمى " بنتابوليس " أي المدن الخمس الرئيسة ، وهي قورينة برنيق وتيوكرة وأبولونيا" في العهد البطلمي " للمزيد أنظر: بازامه ، مصطفى ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس، ليبيا، 1972م.

2- كرير ، زينب عبدالله ، برقة صمّام الأمان لمصر ، منشورات بحوث وأعمال مؤتمر مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة ، 2009.

3- يذكر ابن عبد الحكم " أبي القاسم عبد الرحمن القرشي المصري " ، أن بربر فلسطين خرجوا بعد مقتل ملكهم طالوت على يد داود عليه السلام متوجهين نحو المغرب حتى انتهوا إلى أقاليم مصر الغربية، فتفرقوا هنالك ...وتقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة ..، ونزلت هوّارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت" صبرة أو صبراتة " ...وكانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم " ، للمزيد

إنّ نزوع هؤلاء لفكرة الاستقلال عن الروم البيزنطيين، سهّل على ابن العاص ضم برقة سريعاً بجيش يُقدّر بأربعة آلاف رجل من مختلف القبائل التي ساهمت في فتح مصر، وأبدى الأهالي التجاوب من خلال استجابتهم للصُلح ، بدفع جزية سنوية مقدارها ثلاثة عشر آلاف دينار، والذي عُرف تاريخياً بـ" صلح لواتة " [1].عام 22هـ / 643م)، وكان ذلك مدعاة لمواصلة السير نحو أهداف أخرى على الساحل الشرقي لليبيا في محاولة لمنع العدو " الروم البيزنطيين " من اتخاذ أي قاعدة هجومية، تفسد الخطة العسكرية للجيش الإسلامي المتوجه غرباً[2].

إنّ عقد معاهدة أخرى مع أهل أجدابية * ليدل دلالة واضحةً عن سهولة المهمّة وضعف المقاومة، خاصةً وأن الحلقة الأقوى – ألا وهم الروم البيزنطيين – قد انسحبوا نحو البحر؛ ليرتفع صوت التوحيد والتكبير على قلاع الروم البيزنطيين بساحل ليبيا الشرقي.

دفع سكان أجدابية جزية سنوية مقدرة بخمسة آلاف دينار، فتوجه عمرو بعدها بجيشه إلى مغمداش** ما يعرف بـ " خليج سرت اليوم "، ليتم التحرك العسكري بخطة مغايرة في اتجاهين مختلفين بالساحل ونحو الجنوب الليبي،" فلقد كانت استراتيجيته تتركز بالدرجة الأولى في السيطرة على المناطق الساحلية، ولكنه كان يعتقد بأن الهيمنة القوية

أنظر : "فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1991م ، ط1 ص170 / حول التركيبة الديموغرافية لليبيا ، أنظر للبحثين لـ د.سميو ، علي ، عناصر السكان في إقليمي برقة وطرابلس " من ق 5 هـ- 7هـ" ، مجلة البحوث الأكاديمية ، مصراتة ع 3 ، 2015م ، ص403- 433س/ الأمازيغ في إقليمي برقة وطرابلس، الأصل والتسمية، مجلة البحوث الأكاديمية ، مصراتة ،ع .17، 2021م

1- حول شروط الصلح وتفاصيله ، أنظر: ابن عبد الحكم ، م.س ، ص170-171 .

2- كرير ، زينب ، قراءة في إشكاليات الفتح الإسلامي لبرقة(22هـ /64 م) صُلح لواتة نموذجاً، الجامعة الأسمرية، زليتن ، 2003م.

* أجدابية : بالفتح ثم السكون ، ودال مهملة ...، وهو بلد بين برقة و طرابلس الغرب ، ... وأهلها ذوو يسار – وبها نبذ من صرحاء لواتة ، ولها مرسى على البحر ..كثيرة التمر قريبة من أوجلة ، وهي أكثر بلاد المغرب نخلاً وأجودها تمراً ..." الحموي، ياقوت ،ج1، باب الهمزة والجيم وما يليهما ، ص100.

مغمداش: ووردت بالسين ، وهي نفسها مدينة الأصنام الواردة لدى الإدريسي ، هي مدينة الزعفران التي ظهرت عندها مدينة سرت الحديثة الواقعة على مسافة 475كم شرق طرابلس .للمزيد أنظر : نازاري ، فيتوريو ، من تريبوليتانيا إلى أطرابلس " المشهد التعميري خلال العصر الوسيط .."(ت)عبدوني ، حافظ ، مكتبة الكون للنشر، 2020م

المستمرة على الساحل، يجب أن يواكبها تحكم فعّال في الداخل .." [1]، حيث رشح القائد عمرو بن العاص لهذه المهمة أشجع فرسانه "عقبة بن نافع الفهري" الذي وصل بانتصاراته إلى زويلة، ثم فزّان جنوب ليبيا، برفقة القائد "بسر بن أبي أرطأة " *، الذي توجه نحو الجنوب الغربي حيث منطقتي سُوكنة وودّان، في محاولة قوية وجريئة؛ لتحقيق أكبر مكاسب على الساحة، سياسياً وجغرافياً، وحماية الجيش الإسلامي على الساحل من أي جيوب أو عملية التفاف قد يستغلها الأعداء، لخرق هذه الانتصارات الساحقة في فترة وجيزة (22هـ: 23هـ / 642 : 643م)؛ لتصبح السيادة العربية الإسلامية على كل الأراضي الواقعة بين برقة و زويلة [2].

كانت طرابلس الهدف الحيوي للقائد عمرو بن العاص، حيث تمركزت فلول البيزنطيين، وتحصنوا داخل الأسوار، إذ إن وجود منطقة تدين بالولاء للروم البيزنطيين على الأراضي الليبية، هو عامل مهدّد للسيادة الإسلامية على المنطقة، وبالتالي فإن فتح طرابلس هو صمّام الأمان للوجود العربي الإسلامي ببرقة تماماً مثلما قررنا سابقاً أنّ فتح برقة، وضم الشرق الليبي هو صمّام الأمان للسيادة العربية الإسلامية بمصر " ... وليس معناه هذا استمرار التوغل من إقليم للإقليم الذي يليه، فالتوسع لغرض التوسع لم يكن غاية للإسلام ولا هدفاً للدولة الإسلامية آنذاك[3] .

إنّ خطورة الموقف دعت بابن العاص لطلب مزيدٍ من المدد العسكري من مختلف القبائل، فجاء الزبير بن العوام* مع فرسان ..العشائر اليمانية مثل مهرة، وحضرموت

1- ذا النون ، عبد الواحد ، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، دار المدار الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ، توزيع دار أويا للطباعة والنشر، 2004م ، ط1 ، ص95

* بُسر بن أبي أرطأة: : الأمير أبو عبد الرحمن القرشي العامري الصحابي ، حدثّ عن النبي حديث ، روى عنه جنادة بن أبي أمية ، ....شهد فتح مصر ، وولي الحجاز واليمن لمعاوية ...كان فارساً شجاعاً ..كانت له نكاية بالروم ، عاش حتى سنة سبعين " ، للمزيد أنظر : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ، ج 3، ص411.

2- ذكرت أغلب المصادر تفاصيل تلك الانتصارات بروايات متعددة ، للمزيد ، راجع : البلاذري ،فتوح البلدان ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ..ابن الأثير، الكامل في التاريخ . وبطرح أكاديمي مميز لحراك الفتح العربي أنظر: عمامو ، حياة ، أسلمة بلاد المغرب ، دار أمل للنشر ، صفاقس ، 2004م ، ط2.

3- بازامه : ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ص76

وخولان ولخم والصدف ومن عشائر الحجاز مثل فهر والأنصار وبني عبد العُزّى من قريش، لينضووا تحت إمرة عبد الله بن الزبير[1] و غيره من القادة .

" إن تعليل اندفاع المسلمين نحو الفتح في حماسٍ بالرغبة في المغانم فقط، أو حبّاً في المغامرة لذاتها، لا يمكن أن تُمليه روح حيادية، ... ففي عقيدة المسلم رغبة في إعلاء كلمة الدين، ... وخوض المعارك أملا في الاستشهاد في سبيل الله، ... وفي جيش المسلمين ما يفترض وجوده في أبسط الجيوش تنظيماً من تصرف وفق الأوامر والتعليمات التي تصدر من أعلى القيادات إلى أدناها، ... إن القائد بدوره لا يصدر عن إرادة ذاتية مباشرة مستقلا عن الخليفة والخلافة " [2] ، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب على علمٍ بما يُستجد على أرض ليبيا من شرقها لغربها ، وفي ذات الوقت كان القائد عمرو بن العاص حريصاً على التقيّد بأوامر الخليفة، مثلما حدث بعد استكمال فتح طرابلس ثم صبراتة و جبل نفوسة *.

تشير بعض الروايات التاريخية [3] إلى رفض الخليفة الفاروق مواصلة الفتح نحو إفريقية عام (23هـ / 643-644م)، ويذكر الذهبي[4] أن " أول ما غُزيتْ إفريقية في سنة سبع وعشرين للهجرة أيام الخليفة الثالث عثمان، في حملة عبد الله بن أبي سرح الشهيرة على حاكم الروم و البربر " جرجير" الذي كان تحته مائتي ألف من الروم، ومما يذكره بعض المؤرخين [5] "... أنّ **رُويفع بن ثابت** - غزا مع عبد الله بن سعد إفريقية، فافتتحها، فأصاب

1- ابن عبد الحكم ، م.س ، صـ 118-119-122-128 /ص61 ،93.

2- بازامه ، مصطفى ، صـ75

* نفوسة : سلسلة جبلية شاسعة شمال غرب ليبيا ، تمتد على شكل هلال تبتدئ من جنوب شرق تونس حتى نالوت ، وصولاً إلى غريان ، وتستمر بشكل متقطع حتى مدينة الخمس شرق طرابلس ، وصف المنطقة الكثير من الرحالة بكثرة عيون الماء و الأشجار والمدن و القرى الجبلية ، والجبلُ آهلٌ بالسكان منذ القدم ، أغلبهم من الأمازيغ " البربر" ، وأشهرهم " نفوسة وهي أكبر القبائل وهوّارة ومزّاتة وسدراتة ولماية وزناتة وزواغة " ، تحتوي المنطقة على إرثٍ تاريخيٍ، لازالت آثاره بادية للعيان حتى اليوم !. وقد فصّل ذكرها " هنريكو دي اغسطيني " في كتابه " سكان ليبيا " ، ترجمة : خليفة التليسي .

3- ابن عبد الحكم ، م.س، صـ172 .173 ./ البلاذري (أبي الحسن أحمد بن يحي)، فتوح البلدان، (تح):س رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م .

4- سير أعلام النبلاء ، ج3، صـ36

5- رواية عن " ابن لهيعة " عن أبي الأسود ، حدثني أبو إدريس .للمزيد أنظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، صـ36/ ابن عبد الحكم م.س ، صـ260.

كل إنسان ألف دينار"، مما يؤكد فروسية هذا الصحابي منذ شبابه ومواكبته لحراك الفتح الإسلامي الأول .

التعريف بشخصية البحث " رُويفع بن ثابت الأنصاري " *:

اسمه : رُويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة بن عمرو بن زيد مَناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار.

نسبه : الأنصاري، المدني، النجّاري، الخزرجي، الحجازي : " الأنصاري، النجّاري، المدني، ثم المصري .." ، وهو في سِير أعلام النبلاء[1] : " ...الأنصاري، النجاري، المدني، ثم المصري ، الأمير، له صُحبة ورواية . حدّث عنه بُسر بن عبدالله، وحنش الصنعاني، وزياد بن عبيدالله، وأبو الخير مرثد اليزني، ووفاء بن شريح، وآخرون " . صنّفه ابن حجر أنه "صحابي " جليل، ورُتبته عند الذهبي "له صُحبة *"، في طبقة رواة التقريب : " صحابي " " رُويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاري. من بني مالك بن النجار"[2]... ، ويُقال رفيع الأنصاريّ، قال ابن أبي حاتم : ثابت بن رفيع له صُحبة، سمعتُ أبي يقول : هو شامي، وهو عندي "رُويفع بن ثابت"[3].

** أقوال علماء الجرح والتعديل في الصحابي "رُويفع بن ثابت الأنصاري "أبو حاتم الرازي :" له صحبة ، روى عنه حنش بن عبدالله الصنعاني ، وشيبان بن أمية القتباني ، سمعت أبي يقول ذلك " الجرح والتعديل، لابن حاتم 520/3" / **ابن حجر** :صحابي " تهذيب التهذيب " 617/1"صحابي " تقريب التهذيب " 330/1 / **الذهبي** : له صحبة " الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة " 408/2"/ المزّي : له صُحبة .سكن مصر واختط بها " تهذيب الكمال ،254/9 "/ ابن الأثير ، عزالدين ،أُسد الغابة في معرفة الصحابة، (في ترجمة رافع بن ثابت ، أكل مع النبي صلى الله عليه و سلم – رطباً ، عِداده في أهل مصر، روى بكر بن سوادة عن شيخ سمع رافع بن ثابت .أخرجه ابن منده ، وأبو نعيم ...وَهمَ فيه بعض المتأخرين ، وإنما هو" **رُويفع بن ثابت الأنصاري. يُنظر** :الذهبي ، شمس الدين ، ج3 ص36.

* **في تعريف الصحابي** ، قال البخاري : " من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين ، فهو من أصحابه " . قال ابن حجر " أصحّ ما وقفتُ عليه ..أنّ الصحابي من لقي النبي مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغزُ..." .للمزيد أنظر: الدرر السنية ، الموسوعة العقدية ، بإشراف : علوي السقّاف .الشبكة الدولية

2- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج1، ص504 .

3- نفسه .

روى البخاري عن عُبيد الله بن موسى، عن إسرائيل عن زياد المصفر، عن الحسن البصري، أخبرني ثابت بن رفيع من أهل مصر، و كان يُؤمّر على السرايا، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إياكم والغُلول ...الحديث" [1] .هكذا أخرجه في تاريخه، وتابعه أبوبكر بن أبي شيبة وسعيد بن مسعود وغيرهما عن عبيد الله بن موسى .[2]. رَوى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعنه بشر بن عُبيدالله الحضرمي وحَنْش الصنعاني وأبو الخير وآخرون.

يُعدُّ القاضي ابن منظور، جمال الدين " محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرُويفعي الأفريقي " صاحب كتاب " لسان العرب " من نسل الصحابي الجليل " رُويفع بن ثابت الأنصاري "، وُلد بطرابلس وقيل بمصر، وولي القضاء، لعلمه وشرف نسبه، رجع لمصر آخر عمره وتوفي بها (711هـ/ 1311-1312م).

رُويفع بن ثابت الأنصاري " والياً*ومُجاهداً :

1- أخرجه أحمد في المسند 128/4/ 330/5،318/ و ابن حبان في صحيحه حديث رقم 1693" .

2- أخرجه ابن مندة و ابن السكن و غيرهما عن عبيد الله بن موسى " و سيأتي شرح الروايات لاحقا".

* الولاية : لغةً القيام بأمر شيء والتسلّط عليه ..وملك أمره .أما اصطلاحاً فهي مرادفة للإمامة .

** - مَسلمة بن مخلد ، ابن الصامت ، الأنصاري الخزرجي ، الأمير ، نائب مصر لمعاوية ، ...له صحبة ، ولا صحبة لأبيه ..حدّث عنه أبو أيوب الأنصاري ، ..كان من أمراء معاوية 47هجـ.ثم ولي له و ليزيد إمرة مصر ، قال الواقدي : توفي النبي عليه الصلاة و السلام و لمسلمة بن مخلد أربع عشرة سنة ، توفي بالإسكندرية 62هجري ، للمزيد أنظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج3، صـ 425.

لمعرفة المزيد عن مناقب مسلمة بن مخلد الأنصاري – رضي الله عنه – ابن عبد الحكم ، م.س / ابن حجر ، الإصابة ...

***معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة، أبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني ، الأمير ، قائد الكتائب ، له صحبة و رواية قليلة عن النبي صلى الله عليه و سلم ، وروى أيضاً عن عمر وأبي ذر و معاوية...ولي إمرة مصر لمعاوية وغزو المغرب ...وفي رواية أن عائشة سألت عنه أحد رجال مصر : كيف وجدتم ابن حديج في غزاتكم هذه ؟! قال : خير أمير ، ما يقف لرجل منا فرس ولا بعير إلا أبدله مكانه بعيرا...الذهبي سير أعلام النبلاء ، ج3، صـ37 ".

إنّ وجود رُويفع بن ثابت، الخزرجي الأنصاري قد توافق مع ولاية مَسلمة بن مَخلد لمصر**، وتمّ الاستعانة به لأقدميته في المعارك الأولى نحو برقة، ودرايته بجغرافية المنطقة، واستقراره بها بعيداً عن الأحداث السياسية الجارية في الحجاز والشام بعد الفتنة الكبرى، إثر مقتل الخليفة الثالث في ذي الحجة س(35هـ / 655-656م)، ونرجح ولاية رُويفع على طرابلس، سنة ست وأربعين من قِبل معاوية بن حُديج *** لمعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما -، وتمّ فيها غزو إفريقية ورفع راية التوحيد عليها.

وفي رواية [1] عن ابن البرقي* ذكر فيها رُويفع قائلاً: توفي ببرقة وهو أميرٌ عليها، وقال ابن يونس، مات سنة ست وخمسين، وهو أمير عليها من قبل مَسلمة بن مخلد .

وردَ في ذكر "غزوة رُويفع بن ثابت " " أنّ أبو سعيد بن يونس قال : " ..**كانت لرُويفع بالمغرب وإفريقية ولايات وفتوحات**، وشهد قبلها فتح مصر واختط بها داراً "[2].

قال أبو عمر بن عبد البر: ولي معاوية بن أبي سفيان رُويفع بن ثابت على طرابلس سنة ست وأربعين، فغزا منها إفريقية سنة سبع وأربعين، ودخلها، وانصرف من عامه ."

في المعالم [3] : " حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي، قال : أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني، قال أخبرنا محمد بن أحمد الرازي، قال : أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهاني، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الرازي، قال : أخبرنا أحمد بن محمد السعدي، قال :أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي بن هارون الحربي، قال حدثني أحمد بن خالد السرخسي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق

1- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج1، ص504.

* ابن البرقي: الحافظ ، العالم " أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم الزهري ... حدّث عنه أبو داود والنسائي، وقال عنه النسائي لابأس به، وقال عنه ابن يونس ثقة ، حدّث بالمغازي وقال : إنما عُرف بالبرقي، لأنهم كانوا يتْجرون إلى برقة .مات سنة تسع وأربعين ومائتين ".للمزيد أنظر : الذهبي ، تذكرة الحفّاظ ، الطبقة التاسعة، ج2، صـ569

2 - ابن مقديش، محمود ، كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، " في ذكر فتوحات المغرب الواقعة أيام الصحابة ومن بعدهم من بني أمية ،غزوة رويفع بن ثابت"، ج1، صـ 220

3 - الدباغ " عبد الرحمن بن محمد الأنصاري " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان .(التراجم و الطبقات)،مج 1 ، صـ131:132.

التجيبي، قال : أخبرنا حنش الصنعاني، قال : " غزونا المغرب وعلينا رُويفع بن ثابت الأنصاري، فافتتحنا جزيرة يُقال لها جربة، فقام فينا رُويفع خطيباً، فقال: " إني لا أقوم فيكم إلا بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام فينا يوم خيبر* حين افتتحناها، فقال " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يأتيّن شيئاً من السبي حتى يستبرئها، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركبن دابةً من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقهُ ردّه فيه ". [1]

إنّ الأخلاقيات السامية التي تخلّق بها هذا الصحابي الجليل، جعلت أبناء إفريقية تدين له بالعرفان والفضل، فأشادوا به في صُحفهم المشهورة [2] بهذا النص، "ففي سنة ست وأربعين للهجرة ولّى معاوية بن أبي سفيان الصحابي رُويفع بن ثابت الأنصاري قائداً على طرابلس، ومنها غزا إفريقية ودخلها، فعلّم القوم صناعة الخط وتقاسيم العمران، وعلّمهم آداب الانتفاع عند المغنم، وشيّد أول مسجد بالأرض الموعودة ، وانصرف من عامه ".

كان " رويفع "من بني النجار، أخوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وكان قريباً من رسول - صلى الله عليه وسلم- ومصاحباً له في غزواته، حضر معه فتح مكة ويوم حُنين وغزوة خيبر، وبعد أن كان فارساً صنديداً تحت لواء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- صار له شرف فتوح الشام، ثم مصر أيام الخلافة الراشدة، وأول عهد معاوية بن أبي سفيان، ليستقر به الأمر بمصر ويختطّ بها منزلاً - على حد ذكر بعض الروايات التاريخية بعد اضطراب الأمور السياسية إبّان: " الفتنة الكبرى" بعد مقتل الخليفة الثالث " عثمان بن عفان (23هـ / 35هجرية)[3].

تولّى معاوية بن أبي سفيان الحكم (41 هجري / 60هجرية)، وكان له الفضل بعد توفيق الله له - بانطلاق الفتوحات العربية الإسلامية من جديد نحو بلاد المغرب، حيث

1- ابن مقديش ، م.س ، ترجمة رُويفع بن ثابت الأنصاري 1/122-125

2-القهواجي، حسين ، صحابة زاروا تونس : رُويفع بن ثابت الأنصاري (القائد الزاهد المتوكل على الله) ، صحيفة الشروق ،تونس ، بتاريخ 26-7- 2012م.

3- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج3، صـ37 .

كانت جهة شمال أفريقيا من أهم الجهات التي كانت تستدعي الاهتمام، نظراً لخضوعها لنفوذ الروم البيزنطيين من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى فهي تتاخم حدود مصر الغربية التي يتربص بها البيزنطيون؛ لاستعادة أمجادهم هناك، لذا قرر معاوية بن أبي سفيان قطع خط الرجعة عليهم، باستنفار الجيوش الإسلامية للضغط على البيزنطيين في أكثر من جهة وأكثر من جهة، وتشتيت قواهم حول العاصمة البيزنطية "القسطنطينية "، وجزر البحر المتوسط، والجبهة المغاربية (المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى) [(1)]..

منح معاوية بن أبي سفيان القائد " معاوية بن حُديج " صلاحيات واسعة لهذه المَهمّة، فثبت في المصادر أنه كان أهلاً لها، إذ إنه قام بعدة غزوات لإفريقية ، منذ عام 41 هـ إلى 46 هجري، وكان معه وتحته كأميرٍ على الحرب خيرة أبناء الصحابة، أمثال عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير، وعبدالملك بن مروان، ويحي بن الحكم بن العاص وغيرهم من أشراف قريش، قدِم في " عشرة آلاف مقاتل ... ففتح سوسة ... وأصابوا مغنماً كثيراً، وقسّم معاوية الفيء بين المسلمين "[(2)].

توالت الانتصارات للجيش الإسلامي، ففُتحت " بنزرت" في 41 هـ، وبعث معاوية بن حُديج " **رُويفع بن ثابت الأنصاري**" إلى **" جربة "**، فافتتحها، وقيل إن رُويفع كان عاملاً لمعاوية بن حُديج على طرابلس سنة ست وأربعين للهجرة [(3)]، فغزا إفريقيه من **طرابلس** سنة سبع وأربعين وفتح جربة"*.

1- للمزيد ، أنظر: مؤنس ، حسين ، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي، إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر...، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992م ، مج 1، ج 1 ، صـ 84-90.

2- بشأن إشكالية التأريخ لغزوات ابن حُديج على إفريقية ، أنظر مقال د. محمد بن عميرة ، حملة القائد معاوية بن حُديج على إفريقية عام 34هـ /654م- 655م. ، جامعة ابن خلدون ، الجزائر

3- بشأن غزوات ابن حُديج، وولاية رويفع الأنصاري أنظر: ابن أبي دينار، "محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني" وفاته غير محددة ، ومقدّرة ب 1690م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (تح): محمد شمام، المكتبة العتيقة ، تونس، ط2 ، 1967م ، صـ28/الزاوي، الطاهر أحمد، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط4، 2004 ، ص79، 84.

* جزيرة جربة : تقع جنوب شرق العاصمة التونسية في خليج قابس، تبلغ مساحتها تقريباً 514كيلومتر مربع، وشريطها الساحلي بطول 125كيلومتر، تتميز بتنوعها البشري والمعماري، منذ القدم ولليوم فيها خليط من الأعراق والأديان المختلفة، مما أضاف لها صبغة التعايش السلمي بين الأديان والثقافات، وينعكس فيها الموروث الحضاري على مر العصور القديمة من الإغريقية والرومانية إلى العربية الإسلامية،

إلا أننا نُرجّح أنه كان والياً مستقلاً على طرابلس، فبعدما استعاد ابن حُديج طرابلس، رشّح **القائد "رُويفع بن ثابت** " ليكون والياً عليها سنة ست وأربعين للهجرة، فغزا منها إفريقية ورفع راية التوحيد عليها.

" أرسل "معاوية بن حُديج "جيشاً في البحر في مائتي مركب إلى صقلية، ففتحوها وسَبو وغنموا، وأقاموا شهرا وانصرفوا بغنائم كثيرة، وبعث ... بالخُمس إلى معاوية بن أبي سفيان "، مع الإشارة إلى أن الخِلاف[1] وقع بسبب الغنائم الوفيرة التي أرادت السرية الاستئثار بها دوناً عن الجيش بعد التغلّب على الأسطول البيزنطي الذي رسا بالساحل بين صفاقس وسوسة؛ إلا أن جيش ابن حُديج السكوني عجّل بمقاومة الروم ببسالة، وتم له فعلياً السيطرة على سوسة، وعلى خط الدفاع الثاني للبيزنطيين بإفريقية، وهو حصن " جلولاء"*، وبعد استشارة معاوية بن أبي سفيان بشأن تقسيم الغنائم، أمر بتوزيعها على كافة الجيش المشارك في الغزوة، وعاد ابن حُديج إلى برقة، ثم مصر دون أن يترك عاملاً بدله بإفريقية [2]، الأمر الذي يوحي بعدم تخوّف المسلمين من انقضاض البربر من بعدهم، ومن جانب آخر يعني وجود نوع من التوافق بين المسلمين الفاتحين والسكان المحليين .

فُتحت "جزيرة جربة " بقيادة الصحابي الجليل" **رُويفع بن ثابت** الأنصاري" عام سبع وأربعين للهجرة، التي كان يسكنها البربر وأخلاطٍ من الشعوب والطوائف، وقد تحدثت الروايات عن كثرة السبايا في هذه الغزوة، فقام رضوان الله عليه بتذكير المسلمين بأحكام وطء السبايا، وفق ما أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقام خطيباً، قائلاً لهم: لا أقول فيكم إلا ما سمعتُ سول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول يوم حُنين **: " لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يسقي ماءه زرع غيره، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم

فالعثمانية، وبناءً على ذلك تم إدراج جزيرة جربة ضمن قائمة التراث العالمي " اليونسيكو " .صلاح الجودر ، جزيرة الأحلام " جربة التونسية " ، جريدة الأيام ، البحرين ، الأحد ، 22اكتوبر 2023م ، العدد 12615.

1- حول الإشكال الذي حصل حول نفل ابن حديج الجيش النصف بعد الخُمس من الغنيمة، أنظر : ابن عبدالحكم، م.س صـ 193 .

* جلولاء : قرب معسكر القرن، القريب من أرض القيروان بإفريقية .

2- مؤنس ، م.س ، مج 1، ج1 ، صـ85

الآخِر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يبيع مَغنماً حتى يُقسم"[1].

لقد كان - رضي الله عنه- فقيهاً من أصحاب الفُتيا من الصحابة، وكان خطيباً مفوّهاً "[2] ، "... كان يستحي من الله أن يتكلم في باب التوكل وعنده درهم، وكان يمقت اللغط، فيتجاوز ..أُسوة بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم- وأتباعه، وطاعة لأمره، ففي أسرع أمدٍ بالقيروان أحكم الأُصول، وحفظ الحدود وتمسك بالسُنن، ثم أوجب ولي الأمر نفي الأهواء عن الأفعال والأقوال بحسب مصادفات أسرارهم، وما انضوت عليه ضمائرهم، وكان أكثر الخلق ليناً ومعرفةً بطباع البلدان، ومن مآثره الجليلة وضعه مسجد الأنصار سنة 47 هجرية / 668 م على وجه التقريب قبل أن تخطط القيروان وهو محروس ومُنار ويصدّ غزوات الروم والبربر"[3].

بقي رُويفع الأنصاري في ولاية طرابلس الغرب، إلى أن عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حُديج، وولّى بدله " عقبة بن نافع الفهري"، وفي سنة إحدى وخمسين للهجرة، عُزل عقبة عن قيادة الجيش وولّى" مسلمة بن مَخلد " على مصر وإفريقية، والذي بدوره أقرّ " رُويفع بن ثابت الأنصاري" على ولاية برقة وطرابلس، وبقي عليهما أميراً إلى أن مات عام

** حُنين ، واد بين مكة والطائف، وهي غزوة وقعت في شوال العام الهجري ورد ذكرها في القرآن، في قوله تعالى " لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ..." .ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج 4 ./ وردت في رواية " يوم خيبر" غزوة خيبر ف العام 7هـ ضد يهود حصن خيبر، ووجه الشبه في الموضوع أن فشت السبايا من خيبر في المسلمين ... وقال ابن عقبة : وكانت أرضاً خيمة، شديدة الجَهد – أي التعب _ ، فجَهد المسلمون جهداً شديداً و أصابهم مسغبة شديدة .... وأن رسول الله قام يومئذٍ في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم، .. نهاهم عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تُقسم " للمزيد ، أنظر : الكُلاعي ، سليمان بن موسى الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثلاثة الخلفاء ،(تح) : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، مج1، ص479-480.

1-أخرجه أبو داود و الترمذي و صححه ابن حِبان ، وحسنّه البزار.

2- الصلّابي ، علي محمد، الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، 2008، ط2، مج 1.

3- القهواجي ، حسين ، م.س .

ست وخمسين للهجرة [1]، ويؤكد غيره ذلك بقوله عنه: " صحابي جليل، شهد فتح مصر، وله آثار جيّدة في فتح بلاد المغرب، وماتَ ببرقة والياً عليها .. **قبره معروف** في الجبل الأخضر ببرقة في مدينة **البيضاء**، وهو آخر من توفي من الصحابة هناك [2].

الأحاديث النبوية التي رواها "رضي الله عنه " ودلالاتها السامية:

قال ابن عبد الحكم في معرض حديثه عن ذِكر "رُواة الأحاديث " قائلاً : " هذه تسمية من رَوى عنه أهل مصر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه سلم – ممن دخلها فعُرف أهل مصر بالرواية عنهم، ومن شاركهم .. من أهل البلدان وما تفرّدوا به دون غيرهم .. وتركت قوماً يذكر الناس أن لهم صُحبة ..."[3].

لقد أفرد صاحب كتاب " فتوح مصر وأخبارها نصوصاً خصّ بها الصحابي " رُويفع بن ثابت الأنصاري " وبدأه بقوله " ولهم – أي أهل مصر - عنه أحاديث أقلّ من العشرة "[4]، حديث ابن عبد الله بن عيّاش القتباني عن أبيه عن شييم بن بيتان عن شيبان بن أمية، عن رُويفع بن ثابت قال: كنتُ في مجلس فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- **قال : وكنت ، من أحْدَثِهم سِنّاً**، فنظر إليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: رُويفع، لعله سيطول بك العمر، فأخبر الناس أنه من استنجى بروث دابة أو بعظمٍ، أو تعّلق وتراً -أي

1- يذكر ابن ناجي في معالم الإيمان، أن رُويفع توفي ببرقة في سنة ثلاث وخمسين للهجرة، وقبره بها معروف، وكان قد اندرس، ثم وُجد بعد ذلك، وعند رأسه بلاطة فيها مكتوب : هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ابن البرقي : وقد رأيت قبره ببرقة ، مج 1.ص132

2- العراقي، (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم) ت ،806هـ ، شرح التبصرة والتذكرة ، تح: عبداللطيف الهميم – ماهر ياسين، دار الكتب العربية، بيروت ،2002 م ، ط1 ، ج1 ، ص43 (الشبكة الدولية)./ أنظر الملاحق التي بها صور متداولة لضريحه ومسجده – رضي الله عنه – بمدينة البيضاء .

3- م. س ، ص248 ، 279.

4- م. س ، ص 279. ولمعرفة رُواة أحاديث متسلسلة راجع المصدر السابق ، ص 279-280.

* رجيع دابة : أي بعر الإبل أو الغنم أو البقر. أو عظم يتمسّح به من البول أو الغائط . والعلّة في ذلك أن النبي أخبر بأن الرجيع والروث هو طعامٌ وعلفٌ للجن ودوابهم، فقد ورد عن عبدالله بن مسعود قوله عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن " رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني .

تميمة -أو عقد لحيته في الصلاة ، فقد برئت منه ذمة محمد " " حدثناه إدريس بن يحيى" عن رويفع بن ثابت – رضي الله عنه – قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال :

" يا رُويفع، لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته، أو تقلّد وتراً، أو استنجى برجيع* دابةٍ أو عظمٍ، فإنّ محمداً بريء منه "[1]. تصنيف الحديث في العقيدة " الإيمان بالله عزوجل ، وتوحيد الألوهية ".

وباختلافٍ بسيط للحديث نفسه، روى شييم بن بيتان، أنه سمع رويفع بن ثابت يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم– قال:" يا رُويفع بن ثابت، لعل الحياة أن تطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته، أو تقلّد وتراً، أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظمٍ، فإنّ محمداً منه بريء".[2]

- ورد في حديث " عبد الله بن عياش بن العباس القتباني عن أبيه عن شييم بن بيتان عن شيبان بن أمية، عن رُويفع بن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من ردّته الطيرة** عن شيء، فقد قارف الشرك " .

<u>شرح الحديث</u> :

جرت سُنة الله في الخلق أنه كلما امتد الزمان وابتعد عن زمن النبوات، أنّ كثيراً من الناس يبتعدون عن منهاج النبوة، وعن أصول الشرع، أو يتخففون منها، لذلك يحتاجون دائماً من يجدد لهم أمر دينهم، ويعِظهم ويذكّرهم بالشرائع والكثير من الأمور المنسية .

لذلك نجد النبي - صلى الله عليه وسلم - يتنبأ بالغيبيات للصحابي الجليل " رُويفع بن ثابت " بأنه سيطول به العمر بعده، وهذا ما حصل فعلاً ! إذ إن العمر طال بـ "رُويفع " حتى توفى عام ست وخمسين للهجرة ! مع التذكير أنه لم تثبت تاريخ ولادته في المصادر التاريخية،

1- ورد هذا الحديث بإسناد حسن جيد ، التخريج :أخرجه أبو داود (36)، والنسائي (5067) وأحمد (16995) باختلاف يسير. (العيني ، نخب الأفكار ، 517/2) ،المصدر: الشبكة الدولية ، الدرر السُنية.

2- الذهبي ، سير أعلام النبلاء .

** الطيرة من التطيّر، وهي التشاؤم بما يسمع أو يرى ." موسوعة الأحاديث النبوية " الشبكة الدولية .

وطول المدة هذا سيترتب عليه أن يدرك أُناساً يخالفون هَدي النبي بأمورٍ خصّها بالذكر في مُجمل الأحاديث المروية عن هذا الصحابي الجليل [1]، وهي :

- عقد اللحية وتجعيدها حتى يعقده على بعضه البعض، من باب العُجب والتكّبر، وقلة المرؤة ، والتشبه بالأعاجم وغير المسلمين بعقدها في الحروب؛ لأن هذا مخالف للسُنة التي تأمر المسلمين بإعفاء اللحى و تسريحها .
- نوّه النبي الكريم لأمرٍ آخر من البدع الشركية وعدم سلامة العقيدة، وهو لبس التمائم في الرقبة وعلى الصدر " ..أو تقلّد وتراً ..."، أو ألبسها للأطفال، أو للفرس وما شابه؛ لتقيه الشرور والآفات، وتدفع عنهم العين والحسد أو ما شابه، وهذا منكر في الدين، وباب عظيم للشرك، وهو من فِعال أهل الجاهلية؛ لأن الله تعالى هو الحافظ وهو المانع لأي سوء قد يحيط بعباده، فشدّد النبي عن كراهة ذلك شرعاً، وبراءة دين محمد منه.
- في جانب آخر يؤكد النبي الكريم على أنّ دين الإسلام هو دين الفطرة السوّية والطهارة، وهو يتبرأ مما يخالفها بقوله " ...أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظمٍ ..."، فكيف لمسلمٍ مؤمن بهدي نبي الإسلام أن يستخدم عظم حيوان أو روثه في التطّهر من الغائط أو التبوّل؟ ناهيك عن أن هناك تحذير للمسلم من أي مكان به نجاسة، وهو عرضةٌ للجان والشياطين، وبالتالي نوّه الحديث عن ضرورة التحرّز للمسلم من تلك الأمور، والحرص على النظافة باستخدام الماء، وكل شيء طاهر، لما في ذلك من أهمية في الحياة الشخصية للمسلم، وغرس مفاهيم وقيم عامة تنعكس إيجابيا على المجتمع.
- لفتَ الحديث الشريف إلى عِظم الأمور المذكورة وفداحتها، ومخالفتها للشرع الحنيف، وأمرُ النبي – صلى الله عليه وسلم – رُويفع بن ثابت بأن يخبر الناس بها، فيه قاعدة شرعية بوجوب التبليغ والنهي عن المنكر المخالف للشرع، وأنّ من يفعل ذلك، فقد بريء منه رسول صلى الله عليه وسلم- ودينه، في إشارة إلى ضرورة إتّباع السُنّة الحنيفة وعدم مخالفة الهدي النبوي.

1- للتفاصيل ، يُنظر : (أنظر : سنن أبي داوود (1/ 28،36) - سنن النسائي ، (135/8) (5067) ، مُسند أحمد (204/28)(16995)،المُلّخص في شرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان، ص84، الدُرر السُنية، الموسوعة الحديثية .(الشبكة الدولية).



أمّا رواية حنش الصنعاني[1]- وهو من علماء التابعين وفضلائهم - قال: غزونا مع رُويفع المغرب، فافتتح قريةً يُقال لها " جربة "، فقام خطيباً، فقال: لا أقول فيكم إلا ما سمعتُ من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول فينا يوم خيبر*: " لا يحلّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يصيب امرأة من السبي ثيّباً - أي ليست بِكرا- حتى يستبرئها، ولا يحلّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يبيع مَغنماً حتى يُقسّم، ولا يحلّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يركب دابة من فئ المسلمين حتى إذا أعجفها – أي هزلها - ردّها فيه، ولا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يلبس ثوباً من فئ المسلمين حتى إذا أخْلقهُ- هلهله بالتقادم -ردّه !! "[2].

- ثبت عن الصحابي " رُويفع بن ثابت " – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" لا يحلٌّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر، أن يسقي ماءه زرع غيره "**[3].

---

1 - أخرجه أبو داود و الدارمي ورجاله لابأس بهم .للمزيد أنظر صفحة ابن العثيمين، أهل الحديث والأثر، محمد بن صالح، شرح كتاب الجهاد ، 2004م "الشبكة الدولية "..

* كان القائد رويفع فارساً في غزوات سبقت، ويعلم أن السبي والغنائم كثيرة بإفريقية، فذكرهم بفتح خيبر حين كان مع رسول الله " وفشت السبايا من خيبر في المسلمين ...وقال ابن عقبة : وكانت أرضاً وخيمة، شديدة الجَهد – أي التعب _ ، فجَهد المسلمون جَهداً شديداً وأصابهم مسغبة شديدة، وأن رسول الله قام يومئذٍ في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم، .. نهاهم عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع " الكلاعي ، م.س / وعن بيع المغانم حتى تُقسم " ص479 .المعجم الكبير للطبراني ، جامع السُنة وشروحها .

2- قال أنس بن مالك : كان رسول الله إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أغار، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم- حتى إذا أصبح لم يسمع آذاناً، فركب وركبنا معه ...واستقبلنا عمّال **خيبر** غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمداً والخميس معه !! فأدبروا هرابا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" الله أكبر خربت خيبر ! إنّا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين " . أنظر الحديث في : صحيح البخاري (104/1، 105، = 19/2، 58،235/4) _ صحيح مسلم (1043،1044) سنن النسائي (132/6) مُسند الامام أحمد (102/2، 164،186، 246،263)، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج1/2/ 77،79)ابن كثير: البداية والنهاية .

3-أخرجه أبو داود والترمذي و صححه ابن حِبان ، وحسنه البزّار.

يعلّق الشيخ ابن باز – رحمه الله – عن حديث رُويفع بن ثابت بقوله " يدلُّ على أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج الحامل، ولا يجامعها إذا كانت أمة، حتى تضع الحمل، إذا كان الحمل من غيره، فلو شرى أَمةً حاملاً، لم يجز له أن يطأها حتى تضع حملها، لقوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخِر، فلا يسقي ماءه زرع غيره "، يعني حمل غيره، فإذا كانت الأَمة حاملاً مسبيّة، واشتراها، فإنه يمهلها حتى تضع، وليس له وطأها حتى تضع، أما الحُرّة فليس له زواجها حتى تضع؛ لأنها في العدّة، فلا يحل له نكاحها حتى تضع الحمل، سواءً كان زوجها ميتاً أو مطلّقة، أو حمل من زنا، فيجب عليه ألا يتزوجها حتى تضع الحمل، وحتى تتوب إذا كانت من زنا ..."[1].

روى يحيى بن أيوب العلّاف، قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، قال حدثنا عبدالله بن محمد الفهمي، قالا: حدثنا ابن لُهيعة، حدثني الحارث بن يزيد عن حنش الصنعاني، قال : فتحنا حِصناً ومعنا رُويفع بن ثابت في غزوة جربة، فأتى علينا رُويفع بن ثابت ، فقال لنا : من أصاب منكم من هذا السبي فلا يطأها حتى تحيض ، فإني سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : **"** لا يحلٌّ لرجل أن يسقي ماءه ولد غيره **"**.[2]

- حدثنا أحمد بن عبدالله بن زكريا الأيادي، قال، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، قال : حدثنا بقية بن الوليد، حدثني محمد بن الوليد الزبيدي، عن إسحاق، عن حميد بن عبدالله العدوي، عن عبدالله بن أبي حذيفة، **عن رُويفع بن ثابت**: قال، سمعتُ رسول الله ينهى أن تُوطأ الحامل حتى تضع، وقال: إنّ أحدكم يزيد في سمعه وفي بصره، وأن توطأ السبايا حتى يطهرن"[3]. **نلحظ في** كل تلك الروايات تأكيداً على الأدبيات الرفيعة

1- صفحة الإمام ابن باز، الشبكة الدولية.

2- ورد عن النبي بألفاظٍ مختلفة ، منها" لا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره " وفي لفظٍ آخر" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه زرع غيره "، رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وصحّحه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير.

3-سنن أبي داود " سليمان بن الأشعث الأزدي " ، كتاب النكاح ، باب وطء السبايا ، مج2 ، ص248/مسند الإمام أحمد " أحمد بن حنبل " ،مسند الشاميين مج 4، ص108" والحديث حسّنه الألباني في صحيح أبي داود

والنبيلة التي يجب أن يتحلّى بها الجندي المسلم، فيُكوّن صورة إيجابية لدى الآخر، ويشجعه على الدخول في دين الله الحنيف .

- رواية " صاحب المكس في النار" : عن قُتيبة بن سعيد، قال: حدثنا ابن لُهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير، قال : عرضَ مَسلمة بن مخلد- وكان أميراً على مصر -على **رُويفع بن ثابت أن يولّيه العشور* فقال**: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقول: إنّ صاحب المكس في النار "[1]، ويعضّده حديث عقبة بن عامر عن رسول الله سمعه يقول: " لا يدخل الجنة صاحب مكس "[2].

المكس هو ما يُسمى حالياً " الضرائب "، والعوائد التي تجمعها الدول تحت مُسميّات عديدة كالضرائب التجارية والعقارية والتراخيص والرسوم واستصدار الشهادات ..، والبطاقات المتعددة الأغراض، والحكمة من تغليظ هذ الجُرم، هو أن هؤلاء الموظفين بالدولة يستعملون " قوة القانون "؛ لإخافة وإرهاب الناس باستعمال صلاحياتهم المهنية، وبالتالي يتم الدفع حتى بالإكراه، وبغير حق، فانتشر الفساد لمحاباة هؤلاء لتتم المصلحة تحت أي مُسمى .

- أمّا رواية حديث أحمد بن رشدين المصري، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، وحرملة بن يحي، قالا: حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكر بن سوادة، أخبره أنّ سحيماً حدّثه عن رُويفع بن ثابت، قال: قُرّب لرسول الله تمر ورطب، فأكلوا منه حتى لم يبقوا شيئاً إلا نوى ومالا خير فيه، وفي رواية " إلا نواة "، فقال رسول الله : تدرون ما هذا؟ فقالوا الله ورسوله أعلم، قال : تذهبون الخّير فالخيّر، حتى لا يبق منكم إلا مثل هذا"[3] ...،

---

* العشور: ما يُفرض على أموال أهل الذمة المُعدّة للتجارة عند دخولهم دار الإسلام، وليس على المسلم عشور.

1 - مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث رُيفع بن ثابت الأنصاري " حديث رقم : " 17001..حديثٌ حسن، أخرجه الطبراني في الكبير بنحوه، وابن لهيعة

2- حديث صحيح ، أخرجه أبو داود، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في مستدركه، والدارمي في مسنده، كلهم من رواية ابن إسحاق، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم.

3- صحيح ابن ماجه (4038)، والبخاري في التاريخ الكبير 25/9// والحاكم 481-480/4 من طريق يونس عن الزهري، عن أبي حميد ...عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم // صحيح الإسناد ، أقره

وأشار إلى حشف التمر! أي لا يبقى منكم إلا نخالة الناس وأشرارهم وأرذالهم، ولايزال الأمر في قهقري " وفي الحديث إخبار للناس أنه سيأتي زمان تفسد فيه الأخلاق، فيُكذّب الصادق ويخوّن الأمين، ويؤتمن الخائن ويُصدق الكاذب، نسأل الله السلامة .

إنّ معنى الحديث موافق لحديث أنس – رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌ منه، حتى تلقوا ربكم " [(1)]، وهذا السياق موافق لرواية قول النبي صلى الله عليه وسلم :"... و لتنتقون كما يُنتقي التمر من أغفاله*" فليذهبنّ خياركم، ويبقى شراركم "[(2)]

قال ابن بطال* :" إنّ موت الصالحين من أشراط الساعة وفيه الندب إلى الاقتداء بأهل الخير، والتحذير من مخالفتهم خشية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبأ الله به .. وفيه تنبيه على فتن آخر الزمان للتحذير منها [(3)].

لقد خطب قائد الجيش "رُويفع بن ثابت الأنصاري " وذكّرهم بأحاديث النبي ومنهجه – صلى الله عليه وسلم – في الغزو، وذلك حتى يأمنْ عليهم الفتنة في الدين أمام المغريات المُتاحة أمامهم بعد النصر، من مغانم وأموال وسبايا وخيل وزروع وغيرها من متاع الدنيا ومغرياتها... فأراد أن يذكّرهم بالهدي النبوي بمخافة الله و تقواه، وعدم تجاوز حدوده تأكيداً على صحة العقيدة والإيمان .

الذهبي // أخرجه ابن حبان "7225" والطبراني " 4492" من طرق عن ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكر بن سوادة : أنّ سحيماً حدثه رويفع بن ثابت الأنصاري، أنه قال ..الحديث أعلاه".

1- حديث صحيح، رواه البخاري في الصحيح عن أنس رضي الله عنه، وفي لفظٍ آخر:" لا يكون عامٌ خيرٌ من عام !...الخ "

* الأغفال جمع غُفل، والغُفل من لا يُرجى خيره، ولا يخشى شره "، والقصد إن التناقص التدريجي في استقامة الناس من أشراط الساعة ! والله المستعان .

2- قال ابن رجب في جامع العلوم و الحكم ،139/1.

* أبو الحسن " علي بن خلف البكري البلنسي " يُعرف بابن اللجام ،شارح صحيح البخاري، من كبار علماء المالكية، ترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك ت:449هـ " . المكتبة الإسلامية ، الشبكة الدولية

3- (موقع جامع الكتب الإسلامية "كتب التخريج والزوائد / أحاديث الغربة وآثارها، مج 1ص136،138) الشبكة الدولية

- حديث أبي لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمي عن رُويفع بن ثابت عن رسول الله– أنه قال: "من صلّى على محمد، وقال اللهم أعطه المقعد المقرّب عندك يوم القيامة وجبتْ له شفاعتي "[1]

روى الإمام أبو داود [2] – رحمه الله – قال : حدثنا يزيد بن خالد بن عبدالله بن موهب الهمداني قال، حدثنا المفضل يعني ابن فضالة المصري عن عياش بن عباس القتباني أن شييم بن بيتان* أخبره عن شيبان القتباني قال: إن مَسْلَمة بن مَخلد استعمل رُويفع بن ثابت على أسفل الأرض، قال شيبان: فسِرنا معه من كوم شُريك إلى علقماء أو من علقماء** إلى كوم شريك " يريد علقام " فقال رويفع: " إنْ كان أحدنا في زمان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليأخذ نضو*** أخيه على أنّ له النصف مما يغنم ولنا النصف ..."

وللحديث مناسبة، مفادها أن " مَسلمة بن مخلد كان أميراً لمعاوية بن أبي سفيان على مصر، فاستناب رُويفع بن ثابت على جزء من أرض مصر، وكان شييم بن بيتان صاحب رويفع بن ثابت - رضي الله عنه –فلما ذهب إلى البلد الذي عُيّن فيه والذي أُستنيب فيه من قِبل والي مصر "مسلمة بن مخلد"، كان يمشي هو وإياه في الطريق إلى ذلك المكان الذي

1- وقال بعضهم و" أنزله المقعد المقرب "، حدثه سعيد بن أبي مريم وأبو الأسود النضر بن عبدالجبار وأسد بن موسى.أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، الصفحة أو رقم الحديث "5142" ، التخريج : سأخرجه أحمد " (16991)، والبزّار (2315) الطبراني في المعجم الأوسط " 3285".

2- كتاب الطهارة ، باب ما يُنهى عنه أن يُستنجى به .ج1، صـ10

* شييم بن بيتان القتباني البلوي المصري، روى عن أبيه بيتان القتباني، وجنادة بن أبي أمية ورُويفع بن ثابت الأنصاري، وشيبان بن أمية القتباني ..صُنّف في الثقاة، وذكره ابن حبان في كتاب " الثقاة " ، روى له أبو داود والترمذي والنسائي .أنظر: المزي " جمال الدين أبو الحجاج ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج12، صـ 612.(الشبكة الدولية).

**كوم علقام ، أو كوم علقماء : موضع أسفل مصر، وكوم شُريك قرب الإسكندرية، كان عمرو بن العاص قد أنفذ له شريك بن سَميّ بن عبد يغوث الغطيفي، وحدث أن كثرت عليه الروم فاعتصم بهذا المكان وقاتلهم في انتظار جيش عمرو بن العاص الذي التحم بجيش الروم وتم النصر عليهم، وسمي باسم شُريك تقديراُ لبسالته وحسن تصرفه . للمزيد أنظر: الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي، معجم البلدان ، ج4، صـ495.

*** النضو هو البعير الذي أنضاه العمل، وهزله الكد والجهد، والنضو:الدابة التي هزلتها الأسفار..." للمزيد، أنظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مج 15 ، صـ 320.



يُقال له : علقام، وكانا يسيران من بلدٍ لبلد، من " كوم شريك " إلى "علقماء" أو من علقماء إلى كوم شريك يريد "علقام"، يعني يريد البلد الذي أُسند إليه القيام بولايته، فكانا في هذه المسافة التي بين هاتين البلدتين في أثناء الطريق يتحدثان بهذا الحديث، فقال: " إنّا كنا في زمن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يأخذ أحدنا النضو"، فكان أحدهم يأخذ البعير على النصف مما يغنم وكأنه استأجره، ومالكه يأخذ النصف من الفوائد جرّاء ذلك العمل
.

هذه المعاملة أقرّها الإسلام، وقد أجازها بعض أهل العلم، ومنعها آخرون من أهل العلم؛ إلا أنّ ما ورد عن الصحابي رُويفع بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، **هو نوع من المضاربة** التي أجمع معظم علماء المسلمين عليها، بدفع المال إلى عامل ليعمل به، ويستثمره بمقابل حصة من الربح يتفق عليها الطرفان، وهي مثل نظام" المغارسة" والمُساقاة، وهو نظام كان معروفاً عند معاملات أهل الحجاز، بدليل أن النبي عامل يهود خيبر على نصف ما يخرج من الثمر أو الزرع[1] .

- حدثنا يعقوب، قال: حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني عبيد الله بن أبي جعفر المصري، قال: حدثني من سمع حنشاً الصنعاني يقول: سمعت رُويفع بن ثابت الأنصاري يقول، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبتاعنّ ذهباً بذهبٍ إلا وزنا بوزنٍ، ولا ينكح ثيّباً من السبي حتى تحيض"[2].

1- ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء4، فصل تقسيم الثمار والزروع في خيبر بين المسلمين واليهود بالعدل ."ثبت في الصحيحين أن رسول الله لما افتتح خيبر العام السابع للهجرة عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .للمزيد أنظر :صحيح البخاري من رواية عبدالله بن عمر عن أبيه " عمر بن الخطاب " رضي الله عنهما. وقد بلدة خيبر أرض زراعية تسكنها الطائفة اليهودية، فلما افتتحها المسلمين عنوةٌ قسم النبي أراضيها بين الغانمين، وكانوا منشغلين عن الحرث والزرع بالجهاد في سبيل الله، وكان اليهود أبصر منهم بأمور الفلاحة والزراعة، لهذا أقرهم النبي على ما كان تحت أيديهم من البساتين والأراضي على أن يكون لهم النصف مما يخرج من الثمار مقابل عملهم، وللمسلمين النصف الآخر كونهم أصحاب الأرض. للمزيد أنظر: موسوعة الأحاديث النبوية، الشبكة الدولية.

2- "صحيح لغيره ، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن حنش الصنعاني، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح، مُسند أحمد، مُسند الشاميين "حديث رُويفع بن ثابت".

- وفي مسند أحمد حديث " لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلً بمثل، ولا الفضة بالفضة إلا مثلاً بمثل " مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [1]، و**الحديث ورد بأكثر من رواية**، لخّصها الشيخ ابن عثيمين [2] في شرحه للحديث بقوله:" إن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، و البَر* بالبَر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والمِلح بالمِلحِ، هذه ستة أشياء مثلاً بمثل، سواءً بسواء، يداً بيد، وتفصيل ذلك إذا بعت، وجب أمران: التساوي في المكيال ..، والتقابض قبل التفرق...".

ننوّه هنا أنّ الصحابي الجليل "رُويفع بن ثابت الأنصاري"، حين تلا تلك الأحاديث على رجال جيشه، استدلّ بشواهدها التاريخية إبّان مرافقته للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم - فأراد التذكير برسالة الإسلام السامية وأهدافها النبيلة، وخطب في رجال جيشه، وأرشدهم لكلام القائد القدوة - محمداً صلى الله عليه وسلم – وروى أمامهم أحاديثه الشريفة التي تذكّرهم بأخلاقيات المسلم الخاصة والعامة، حيث لا خروج عن الجماعة، ولا خرق لما نهى عنه النبي الكريم إلا بما أمر الله من تقسيم للأسهم والغنيمة، فلا حرق للزرع ولا اغتصاب للنساء، ولا إهانة للعجزة من الشيوخ والأطفال والعُزّل، هذه السيرة العطرة تنسف كل الاتهامات الباطلة التي أرادت تشويه الإسلام وتسييسه وفق أيدولوجيات وأجندات بعيدة كل البعد عن روح ديننا الحنيف، وهنا يكمن السر في انضواء الكثيرين تحت مظلة الدولة العربية الإسلامية في مدة زمنية وجيزة .

وفاته "رضي الله عنه ":

" يذكر التاريخ لأمير الحرب الفارس الفذ " رُويفع الأنصاري " أنه قضى حياته كلها مجاهداً، كغيره من ذوي الهمم العالية من المجاهدين، ورافق أعلام الفتح الإسلامي من مبدأ سيرها من المدينة المنورة، فالشام، إلى نهاية مستقرها في المغرب العربي، ويُذكر له أنه من الدعاة الأوائل الذين نشروا الإسلام في أرض الشام ومصر والمغرب عامة وفي البربر

1- مسند أحمد ، مسند الشاميين ، حديث رُويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه .

2- (صفحة رسمية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، بيان معنى حديث : " الذهب بالذهب " الشبكة الدولية)

* البر: من أسماء الحنطة .

خاصة فتحَ جزيرة جربة، ومات بعيداً عن أهله، **فاستقرت روحه في سفوح الجبل الأخضر الأشم من أرض ليبيا العربية في برقة، حيث لا يزال يذكرونه بالتقدير والإكبار** "[1]

تواتر في بعض الروايات التاريخية [2] أنّ رُويفع مات ببرقة زمن ولاية مسلمة بن مخلد على مصر وإفريقية على عهد معاوية بن أبي سفيان، وقد شهد بذلك أحمد بن البرقي، وقال:" توفي رُويفع ببرقة وهو أميراً عليها، وقد رأيت قبره بها " ، ومع ذلك نجد أنّ بعضاً من المؤرخين يذكر سنة وفاته أنها كانت عام ثلاث وخمسين للهجرة، وقد أثنى عليه ابن كثير بقوله: " صحابيٌ جليل شهد فتح مصر، وله آثارٌ جيدة في فتح بلاد المغرب، ومات ببرقة والياً من جهة مسلمة بن مخلد نائب مصر "[3].

" كان قبر رُويفع قد درس وانمحت معالمه، وعلى غير قصد عثر إنسان على حجرٍ مكتوب عليه " هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله "صلى الله عليه وسلم " فمنذ ذلك أصبح معروفاً في برقة لا يختلف عليه اثنان، تلتمس عنده الرحمات بفضل صحبته للنبي "صلى الله عليه وسلم.." [4].

ننوّه في هذا الصدد، أنّ الشيخ الزاوي في كتابه " تاريخ الفتح العربي في ليبيا " وهو يحدّث القارئ عن أمجاد الصحابي الجليل " رُويفع بن ثابت "، ثم وفاته ببرقة، لم يذكر مستند معلومته المذكورة في كتابه عن العثور على حجر مكتوب عليه هذا قبر رويفع ....،

1- خطاب ، م.س ، ص36

2- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج3 ، ص36 / للمزيد من التفاصيل حول الصحابة الذين دُفنوا بأرض ليبيا ، أنظر البحث القيّم لـ : الهاجري ، سعود عبدالله ، تنبيه القرابة بمن مات في ليبيا من الصحابة ، حولية كلية الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، 2016م ،المجلد السادس ، الإصدار الثاني ، للعدد 28، ص161-185

3- ابن كثير ، م،س ، ج 8، ص ، لاحظنا أن الطاهر الزاوي اعتمد عليه في إقرار سنة وفاة رويفع س، مرجع سابق ، ص83.

4- لم يشر الزاوي لمصدر معلومته تلك ! ، م.س ، ص 84./ ومصداقاً لكلام الزاوي يستشعر القارئ لكلمات الشيخ " عبد السلام أبوحويش " إمام مسجد: رُويفع بن ثابت الأنصاري " بمدينة البيضاء، يستشعر الإجلال والتقدير الذي يكنه أهالي المدينة لهذا الصحابي الجليل، منوّهاً – في ذات الوقت - عن الضجّة التي حصلت بشأن هدم المزارات ودحض التبرك بأولياء الله الصالحين بحجة أنها شركيات تذهب بصحة العقيدة . للمزيد من التفاصيل تابع ردود الشيخ ، صحيفة بلاغراي ، البيضاء ، بتاريخ 1-يونيو 2019م .

وبمطالعتنا للمادة التاريخية لهذه الزاوية، عثرنا على ذات المعلومة عند الدبّاغ [1]، فقد ذكر أن رُويفع توفي ببرقة في سنة ثلاث وخمسين للهجرة، وقبره بها معروف، وكان قد اندرس، ثم وُجد بعد ذلك، وعند رأسه بلاطة مكتوب عليها: هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ابن البرقي: وقد رأيت قبره ببرقة ..." ، وهذا ما يجعلنا نكاد نجزم أن مصدر المعلومة للزاوي هو كتاب "معالم الإيمان ..."، ولم نجد فيما وقع بأيدينا من مصادر لحياة هذا الصحابي الجليل من يذكر هذه المعلومة سوى الدبّاغ والزاوي، وحيث إنّ أبي زيد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الدبّاغ المتوفى عام 696هـ يسبق زمنياً الشيخ الطاهر أحمد الزاوي المتوفى عام 1986م ، فإنّ الأخير اعتمد على المعلومة من المصدر المذكور، فلعلها تكون أكثر مصداقية بتقادم المُدة.

" كان رضي الله عنه حَسن السيرة، عفيفاً صارماً حذراً متيقظاً سخيّا..، وبرغم أنه شهد معارك كثيرة برية وبحرية بجربة، وقضى على فساد أهلها في البر والبحر، ونشر فيهم قيم الدين الحنيف، وضم البربر إلى المسلمين، .. رغم تلك الفتوحات المباركة، لم يؤْثر عنه أنه أثرى من الغنائم أو من منصبه إبّان قيادة تلك الجيوش، أو كونه والياً على جموع المسلمين بأرض برقة وطرابلس، فعاش فقيراً ومات فقيراً دون أن يخلف ديناراً أو دارا !" [2] .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعة، ولليوم يظل مسجد سيدي رويفع الأنصاري مَعلَماً تاريخياً من معالم مدينة البيضاء، وشاهداً على هويّة هذه المدينة العربية والإسلامية الذي نفخر به، وحقٌ لأهلها الكرام التفاخر به .

<u>الخـــاتمة</u> :

جاء ثناء الله تعالى على الأنصار في كتابه العزيز؛ ليثبت فضلهم يؤكد مكانتهم في الإسلام، فهم قومٌ لهم المكانة العالية في السابقين، والمجاهدين، والصالحين، والذاكرين، والمؤثرين، والمُنفقين، قال الله تعالى فيهم (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتّبعوهم بإحسانٍ رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدّ لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك هو الفوز العظيم**)([3]) .

1- م،س ، مج 1.ص132

2- خطاب ، م.س ، ص36

3 -سورة التوبة الآية 101

- لقد ثبت في الحديث أنّ اسم الأنصار سمّاهم به الله تعالى، تأكيداً لنصرتهم لنبي الإسلام وتشريفاً لهم ليتبؤوا مكانةً سامية بين صحابة النبي الكريم، فلقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :" اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار" . وشخصية البحث " رُويفع بن ثابت الأنصاري" هي من سلالة هؤلاء الأشراف عليهم رضوان الله .

- كان رُويفع الأنصاري يسوس رجاله سياسة حكيمة، قوامها المحبة المتبادلة، مع الاحتفاظ له بالهيبة، يتفقد من أمور أصحابه جميع ما يعود نفعه عليهم، ويستقبل مُحسنهم بالتكرمة، ويجعل عامة أصحابه في لين الكلمة بمنزلة خاصة، من غير أن ينقص أحداً من ذوي البلاء حقه وثوابه .

- كان شجاعاً مقداماً كامل العقل، طويل التجربة، بعيد الصوت، مأمون النقيبة، بصيراً بتدبير الحرب ومواضعها حسن التعبئة، يدخل الأمن عليهم، والخوف على عدوهم مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو، حسن السيرة عفيفاً صارماً حذراً متيقظاً سخياً، وبرغم أنه شهد معارك كثيرة برية وبحرية بجربة، وقضى على فساد أهلها في البر والبحر، ونشر فيهم قيم الدين الحنيف، وضم البربر إلى المسلمين، .. رغم تلك الفتوحات المباركة، لم يؤثر عنه أنه أثرى من الغنائم أو من منصبه إبّان قيادة تلك الجيوش، أو كونه والياً على جموع المسلمين بأرض برقة وطرابلس " .. فعاش فقيراً ومات فقيراً دون أن يخلف ديناراً أو دارا .

- لم يثبت أن " رُويفع الأنصاري " شارك في الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، لا بلسانه ولا بسيفه، وآثر البقاء بمصر منعزلا عن مغبّة تلك الأحداث حتى انكشفت أمورها، واستقر للمسلمين مركزية الحكم الأموي عام 41هجري، وفي هذا منهج للمسلم القدوة، فيكون سليم اليد والقلب تجاه أي فتنة قد يساهم فيها بالسيف أو باللسان، فتكون دماء المسلمين دَيناً في ذمته أمام الله تعالى.

التوصيات:

توصي هذه الدراسة بالاهتمام بالمعالم التاريخية والحضارية لبلادنا، والتي تعد شاهداً على هوّية ليبيا الإسلامية، ودورها في الحراك الحضاري للأمم المختلفة عبر العصور، وجامع وضريح الصحابي الجليل " رُويفع الأنصاري " بمدينة البيضاء خير دليلٌ شاهد على

ذلك، بالإضافة لقبور الصحابة في مدينة درنة، وغيرها من الشواهد التاريخية والأثرية – المُهمّشة – والمتعلقة بعصور مختلفة إبّان دخول الأقاليم الليبية تحت الحكم العربي الإسلامي، والتي لازالت مُغيّبة ببلادنا إلى وقتنا الحالي !

أمام ذلك نناشد المؤسسات الأكاديمية، والمسؤولين بوزارة الثقافة، ومراقبي مصلحة الآثار، والمهتمين بتوثيق هذا التراث الحضاري والتاريخي، بتكثيف الدراسات المعمارية والأثرية المتخصصة، ومتابعة الزيارات الميدانية المتعمّقة للأكاديميين، وتوصيفها لتلك المشاهد التاريخية، ورصد ومعالجة المتغيرات الطارئة على ذلك الموروث الذي عانى كثيراً –ولايزال- من الإهمال والتهميش، والسعي حثيثاً لإيجاد دعم المنظمات الأممية الراعية للتراث الإنساني.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.
- البخاري " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة " ت.256هـ " ، الجامع المُسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُننه وأيامه "، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ،السعودية ، 2012م /1433هـ
- بازامه ، " محمد مصطفى " :
- ليبيا، هذا الاسم في جذوره التاريخية، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ط2 ،1975م.
- ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس، ليبيا، 1972مس
- البكري " أبو عُبيد "عبد الله بن عبد العزيز " ت.487هـ ، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تح : حماه الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013م.
- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن بن علي ...الشيباني) ت.630هـ، الكامل في التاريخ، (تح) عمر تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2012م ، ط2.
- الجربي ، محمد أبو راس ، مؤنس الأحبّة في أخبار جربة ، تحقيق وتعليق : محمد المرزوقي، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب، نشره : المعهد القومي للآثار والفنون ، تونس، المطبعة الرسمية ، 1960م.

- ابن حجر، الحافظ شهاب الدين(أحمد بن علي ..العسقلاني ت : 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، مراجعة وضبط النصوص والفهرسة، صدقي جميل العطار، سدار الفكر، بيروت . لبنان ، ط ،2001م.
- الحموي ، (شهاب الدين ،أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ، ت .626ه) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1995م ،ط 2.
- حنبل ، أحمد بن " ت" 241ه ، مُسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 2008م، ط1.
- ابن خلدون ، (عبد الرحمن بن محمد... ، ت ، 808ه) ، تاريخ ابن خلدون المسمى: " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاته _ مراجعة : سهيل زكّار ، دار الفكر، ج 6، 1996م، ط 3،ج6.
- الدباغ ، أبو زيد " عبد الرحمن بن محمد الأنصاري " ت (699هجري) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان .(التراجم و الطبقات)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، تحقيق : عبد المجيد الخيالي ، 2006م. ، مج 1 .
- ابن أبي دينار، "محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني" وفاته غير محددة، ومقدّرة بـ 1690م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، (تح): محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس، ط2 ، 1967م.
- ذا النون ، طه عبد الواحد ، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار المد الإسلامي ، بيروت ، نشر دار أويا ، طرابلس ،2004، ط1.
- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ...
- تذكرة الحفّاظ ، الطبقة التاسعة ، ج2، ص569 .
- الزاوي ، الطاهر أحمد ،
- تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط4،2004م.
- ولاة طرابلس ، من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت، والسيد محمد الرماح بشينة ، ليبيا ، 1970م ، ط 1.

- ابن سعد، (محمد بن منيع الزهري ،ت.230هـ) كتاب الطبقات الكبرى، (تحقيق) علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2001م ، مج1 ، صـ223

- الشوكاني ، محمد بن علي ، الأدلة الرضيّة لمتن الدُرر البَهية في المسائل الفقهية ، تحقيق : حلاق ، محمد صبحي، دار الهجرة ، صنعاء ، 1991م -1411هـ ، ط1.
- العراقي ، (أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم) ت ،806هـ ، شرح التبصرة والتذكرة ، تحقيق : عبداللطيف الهميم – ماهر ياسين، دار الكتب العربية، بيروت،2002 م، ط1، ج1(الشبكة الدولية).
- عمامو ، حياة ، أسلمة بلاد المغرب ، دار أمل للنشر ، صفاقس ، 2004م ، ط2.
- الصلّابي ، علي محمد ، الدولة الأموية ، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت ، 2008، ط2، مج 1.
- الطبري (أبو جعفر ،محمد بن جرير .ت.310 هـ) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، (تح) : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، لبنان ، مج 2 .
- الكُلاعي ، أبو الربيع "سليمان بن موسى الحميري" ، الاكتفاء بما تضمنّه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلّم، والثلاثة الخلفاء، ت.634هجري تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 99-2000م ط1، مج2.
- المقدسي ، (عبدالله بن قدامة ت.620هـ)، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار
- صفحة الإمام ابن باز ، الشبكة الدولية.
- المقدمي ، أبي عبدالله محمد بن أحمد ، القاضي (ت.301هـ) ، كتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكُناهم ، تحقيق : محمد بن إبراهيم اللحيدان ، دار الكتاب و السُنّة ، ط1، 1415هـ - 1994م .
- مقديش ، محمود ، كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،" في ذكر فتوحات المغرب الواقعة أيام الصحابة ومن بعدهم من بني أمية "غزوة رويفع بن ثابت "، ج1.
- " نازاري ، فيتوريو"، من تريبوليتانيا إلى أطرابلس " المشهد التعميري خلال العصر الوسيط .." (تعريب) : عبدوني ، حافظ ، مكتبة الكون للنشر ، 2020م.

المجلات العلمية و المقالات الصحفية :

- الخالدي ، أسرار بنت عايف ، طبقات القرّاء في المغرب ، من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، المنيا ،2019م ،ع(39).
- خطاب ، محمود شيت ، رُويفع بن ثابت الأنصاري ، فاتح جزيرة سجربة، من تونس الخضراء، الوعي الإسلامي ،(1967مايو ، م ، - غرة صفر ، 1387هـ)السنة الثالثة، ع 26، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الكويت ، صـ34-36
- سميو ، علي ، عناصر السكان في إقليمي برقة وطرابلس " من ق 5 هـ- 7هـ" ، مجلة البحوث الأكاديمية ، مصراتة ع 3 ، 2015م ، صـ403- 433.
- الأمازيغ في إقليمي برقة وطرابلس، الأصل والتسمية ، مجلة البحوث الأكاديمية ، مصراتة، ع .17، 2021م
- الشرباصي ، أحمد ، مُجاهد من طرابلس : رُويفع بن ثابت الأنصاري، مجلة التضامن الإسلامي، وزارة الحج ، 1977م، 1397هـ ، العدد 9-10 س31، ص 94-98 .
- القهواجي ، حسين ، صحابة زاروا تونس : رُويفع بن ثابت الأنصاري (القائد الزاهد المتوكل على الله) ، صحيفة الشروق ، بتاريخ 26-7-2012م.
- الهاجري ، سعود عبدالله ، تنبيه القرابة بمن مات في ليبيا من الصحابة ، حولية كلية الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، 2016م، المجلد السادس، الإصدار الثاني، للعدد 28، صـ161-185.
- الهاجري، سعود عبدالله ، تنبيه القرابة بمن مات في ليبيا من الصحابة، حولية كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، 2016م، المجلد السادس، الإصدار الثاني، للعدد 28، صـ161-185.
- محمد بن عميرة ، حملة القائد معاوية بن حُديج على إفريقية عام " 34هـ /654م- 655م، جامعة ابن خلدون ، الجزائر.

الملاحق

انظر: صحيفة بلاغراي (البيضاء – ليبيا) ، الشبكة الدولية

زارت صحيفة بلاغراي البيضاء الإلكترونية مسجد الصحابي الجليل رويفع الأنصاري للتعريف به لكونه معلم من معالم مدينة البيضاء .

ولقائنا مع الإمام عبد السلام بوحويش خطيب سابق لمسجد الصحابي رويفع الأنصاري ومساجد مدينة البيضاء ورئيس قسم الرياضيات بجامعه عمر المختار ، حدثنا قائلا :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

إن توثيق المساجد العتيقة هو جزء مهم من توثيق هوية ليبيا، وفي هذا الصدد نشكر صحيفة بلاغراي الموقرة على هذا المجهود الذي تبذله، وكما يقولون:

علي قدر أهل العزم تأتي العزائم .... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغار صغائرها .... وتعظم في عين العظيم العظائم

أيها الساده إذا جاز لباريس أن تتخذ برجها من الحديد لتفتخر به، وتجعله معلما، وإذا جاز للندن أن تتخذ الساعة تجعلها معلماً، وإذا جاز للأمريكان أن يتخذوا تمثال الحرية ويجعلونه معلماً، وإذا جاز لإخواننا وأحبائنا في مصر الشقيقة أن يجعلوا من الأهرامات التي بناها الفراعنة معلماً، فإن أهل ليبيا وأهل البيضاء، جعل الله سبحانه وتعالى لهم معلماً

يتخذونه فخراً، وهو السيد رويفع بن ثابت الأنصاري صاحب رسول لله صلي الله عليه وسلم، أيها السادة أن سيد رويفع بن ثابت الأنصاري هو هبه من الله عز وجل لهذه البلاد، ومالنا ألا نتخذه فخراً، وسيدنا الحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم يقول: (ما من رجل من أصحابي يدفن ببلده إلا كان إمامهم).

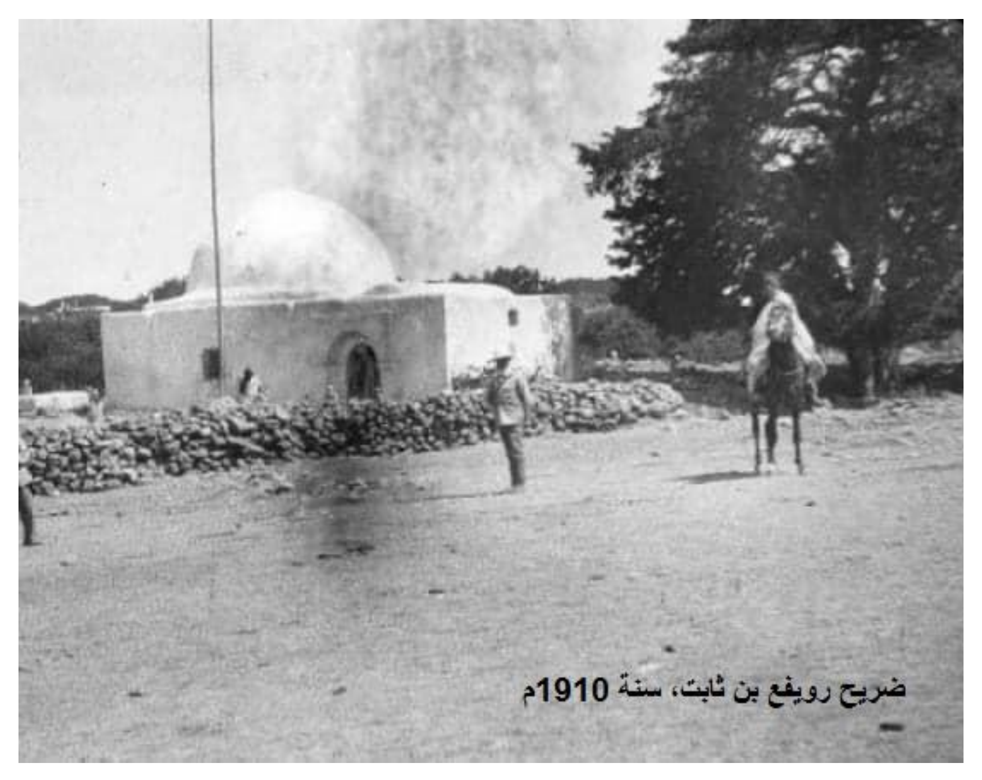
إذا هو السيد رويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارث بن مالك من بني النجار الخزرجي الأنصاري من أخوال سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم، إذًا فهو صحابي من صحابه الرسول صلى الله عليه وسلم الذين قال الله فيهم "محمد رسول الله والذين معه" وهو أنصاري من الذين قال الله عز وجل فيهم ((والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجه مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة))، وهو إلى ذلك أخوال سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وأنتم تعرفون مدي معزة العربي ومحبته إلى أخواله، ولذلك لم يكن واحد من عامه الصحابة، بل كان السيد رويفع بن ثابت الأنصاري قريب جداً من رسول لله صلي الله عليه وسلم، حتى أنه روى عنه عده أحاديث، ولشده قربهم لسيدنا رسول لله صلى الله عليه وسلم فقد كان سيدنا مصطفى صلى الله عليه وسلم ربما يوجه الخطاب له شخصياً يقول سيدنا رسول لله صلى الله عليه وسلم: (يارويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي ولقد زف لنا سيد رويفع بن ثابت الأنصاري بشرى سارة عندما روى عن سيدنا رسول الله أنا من قال اللهم صلي على محمد وأنزله المقعد المقرب يوم القيامة وجبت له شفاعه، ولقد حضر سيد رويفع بن ثابت الأنصاري بالجهاد تحت لواء سيدنا المصطفي صلي الله عليه وسلم يوم فتح مكة، ويوم حنين ويوم خيبر، فهو صحابي من صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فاتح من الفاتحين، ثم كان له الشرف أن كان في الجيوش التي فتحت الشام وفلسطين، ثم في سنه عشرين الهجرية فتح الجيش الذي كان من ضمنه مصر، وعينه لمدة خمسة وعشرين سنه أميرا علي المنطقة الواقعة ما بين القاهرة اليوم والإسكندرية، ثم عندما أذن الله لكتائب فتح الإسلامي بدخول هذه البلاد المباركة كان في طليعتها سيدي رويفع الأنصاري، ففي سنه 45 هجري دخلت الجيوش شمال أفريقيا، وكان معهم سيدي رويفع الأنصاري، وفي سنه 46 هجري عين والي علي مدينه طرابلس، وفي سنه 47 هجري فتح جزيره جربة، ثم طاب له المقام في برقة لسابق عناية أزلية في هذه البلاد، فعاش فيها وأقام فيها حتي توفي، وهو والي



عليها سنه 56 هجري، وفي رواية في 53 هجري، وبني بجوار ضريحه مصلى كان يصلي فيه المسلمون يوم كان لا مسجد في هذه المنطقة، اللهم إلا مسجد السيد محمد بن علي السنوسي في الزاوية الذي بُني سنة 1840م، وضل المسلمون يصلون في هذا المصلي السيد الشيخ القضاي بلقاسم الغرياني، وسيدي الشيخ علي محمد بوغزيل وفي سنه 1958 و1959 أي منذ 60 سنة بني هذا المسجد المبارك الذي نحن فيه الآن، وتولي الخطابة والإمامة مشايخ الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت، نذكر منهم الشيخ السيد طنطاوي الذي علا درجات هذا المنبر، ثم بعد ذلك كان شيخ الأزهر وغيره من مشايخ مصر الكرام، ومشايخ العالم الإسلامي، والحقيقة لا يستطيع الإنسان أن يذكر كل من أمَّ وصلى في هذا المسجد فهم كثر؛ لأنها من فترة طويلة كما ترى، ولكن نذكر منهم على سبيل المثال- ويسامحنا من لانذكر منهم، ولا تسعفنا الذاكرة والوقت- نذكر منهم: السيد الشيخ محمد عمار مصري الجنسية، والشيخ مسعود الجزائري رحمه الله، والشيخ السيد يونس الجوير رحمه الله، وبارك الله في بقية الأخرين، ولقد كان القرآن الكريم يتردد في جنابات هذا المسجد من مشائخ نذكر منهم: السيد رمضان البكوش والسيد محمد مراجع، والشيخ عبد القادر بوغندورة، السيد عبد السلام المغربي، والسيد الشيخ موسي عبد الرحمن العلواني، والشيخ علي الشيخي، ومشائخ كثر، ولقد فاز بالأذان في هذا المسجد وقيمون فيه نالوا شرف خدمته علي سبيل المثال: السيد مبروك بشنينه، السيد جمعه الفزاني، السيد عبدالكريم ديلوم، السيد طارق بو حليمة، أسأل الله أن يبارك فيهم جميعاً، ويرحم ومن توفي برحمته، وأضاف " احويج " أن في هذا المسجد توجد خلوة لتحفيظ القرآن الكريم للشيخ المحفظ إبراهيم محمد جادالله، يقوم بتحفيظ أطفالنا القرآن الكريم جزاه الله خيرًا، ولما كان لهذا المسجد من البعد الروحي المهم، فإنه لم يغفل عن المسؤولين، وتولي المسؤولين في هذا البلاد المباركة عنايتهم به، بعد توجيهات السيد رئيس الوزراء عبدالله الثني بعمل توسيع لهذا المسجد وفرشه وصيانته بالكامل، ولقد جاء شخصيا جزاه الله خيراً للاطمئنان عن المسجد التي تمت صيانته.

أيها السادة هذا المسجد مساحته تقريبا في حدود 1500متر، وهو متسع لعدد من المصلين بهذا الحجم، ونوه " احويج " أن هناك من يتحرج بالصلاة في هذا المسجد بحجة وجود مقبرة، نقول لهم نحن أيها السادة لسنا أفضل من السيدة عائشة التي انتقلت بعد

وفاة الحبيب صلي الله عليه وسلم سنة 58 هجري، يعني بعد 47 سنة من وفاة سيدنا المصطفي صلي الله عليه وسلم، فقد كانت تصلي في حجرتها مع علم إلقاء الصحابة وفيها ثلاثة قبور هم خير البرية، هم الحبيب المختار صلى الله عليه وسلم، وسيدنا سيد أهل الغار حبيب المصطفي، وجاره في الغار سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تكون الأُمنية الأخيرة لزعيم الأمة سيدنا عمر بن الخطاب أن يدفن بجوار صاحبيه، فيستأذن في ذلك فلا يتهمه أحد بأنه مشرك قبور، وإنما يتضح ويبدو أن تلك رغبة السيدة عائشة فتقول: لقد كنت أريد هذا المكان، ولكني اليوم أوثر به عمر رضي الله تعالي عنه.


ضريح رويفع بن ثابت، سنة 1910م



ضريح الصحابي رويفع بن ثابت
لأنصاري بمدينة البيضاء 1930



الفقهاء والمحدثون في طرابلس وبرقة منذ الفتح الإسلامي حتى استقرار بني سليم فيهما (22.هـ / 450.هـ).

Alfuqaha' wa Almuhdithun in Tripoli and Barqa from the Islamic conquest until the settlement of Banu Salim in them (22 AH / 450 AH).

اسم ولقب المؤلف: عبد الباسط عبد ربه محمد إدريس.

الدرجة العلمية والوظيفة: محاضر. جامعة درنة، كلية التربية - فرع القبة، قسم التاريخ.

البريد الإلكتروني: basatidris70@gmail.com

تاريخ استقبال البحث: 2024/08/01م، تاريخ القبول: 2024/09/15م

الملخص باللغة العربية:

رغم أن الجانب الديني كان أحد أهم الجوانب التي حظيت باهتمام سكان طرابلس وبرقة، ومع هذا لا نستطيع القول إن الحياة الدينية في البلاد كانت تسير متساوية مع المراكز الدينية الكبرى في بلاد المغرب مثل القيروان وفاس أو بلاد المشرق كالقاهرة وبغداد، كما لا يعنى أن البلاد كانت تفتقر للعلماء البارزين في هذا المجال، وإن كان ضعيفاً رغم ما كان بها من علماء، وما قدموه من ذخائر العلوم الدينية لا يستهان به.

الكلمات المفتاحية: طرابلس، برقة، الحياة الدينية، علماء الحديث.

Research summary:

Although the religious aspect was one of the most important aspects that received the attention of the people of Tripoli and Barqa, we cannot say that religious life in the country was on par with the major religious centers in the west, as Kairouan and Fez, or the East as Cairo and Baghdad. It also does not mean that the country lacked prominent scholars in this field, even if it was weak, despite the

scholars it had and the treasures of religious sciences they provided, which should not be underestimated.

Keywords : Tripoli - Barqa - Religious life – Scholars.

المقدمة :

تناولت العديد من الدراسات التاريخية تاريخ طرابلس وبرقة في العصر الإسلامي، دون أن تعطى الأهمية الكبيرة للجانب الديني الذى شهدته البلاد خلال الفترة المذكورة، وإن كانت هناك عدة كتابات تناولت هذا الجانب لكنها لا تزال في بداية المشوار.

لقد بدأ الاهتمام بالجانب الديني مع دخول الإسلام للبلاد، وحيثما وجد المسلمون وجدت المساجد التي كان لها دور أساسي في تعليم المسلمين الجدد مبادئ الدين الإسلامي، ثم بعدئذ ظهرت المكتبات والمدارس التي كان دورها عظيماً في انتشار الفكر الإسلامي في المنطقة، وبالتالي شهدت طرابلس خاصة نهضة علمية، أسهمت في تطور المدينة ثقافيا وعلميا وفكريا ودينيا .

تأتى أهمية الموضوع في كونه من المواضيع التي قلما كتبت الأقلام عنها، نظراً لقلة المعلومات عنه، وغموضها في المصادر الإسلامية، وكذلك تباين آراء الرحالة حول الوضع الديني في المنطقة .

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على حيثيات ضعف الحياة الدينية في طرابلس وبرقة، ومحاولة إبراز أهم المجالات الدينية التي برز فيها الليبيون، وتوضيح دور بعض الفقهاء في نشر التعليم الديني في طرابلس وبرقة .

عليه سيتمحور البحث حول أربع مباحث رئيسة كالتالي :

المبحث الأول: تعليل ضعف الحياة العلمية في طرابلس وبرقة .

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الدينية في طرابلس وبرقة .

المبحث الثالث: الإنتاج الديني لعلماء طرابلس وبرقة .

المبحث الرابع: أبرز علماء الدين في طرابلس وبرقة وإنتاجهم العلمي .

المبحث الأول: تعليل ضعف الحياة العلمية في طرابلس وبرقة

لا شك أن الاهتمام بالدراسات الإسلامية بدأ مع دخول المسلمين إلى البلاد، وتمثل في بناء المساجد أول المعالم الإسلامية التي كانت تُشيد في المناطق المفتوحة، والتي وقع على عاتقها تعليم المسلمين الجدد التعاليم الإسلامية خاصة في الفترة المبكرة، حيث كان من ضمن الجيوش الإسلامية الكثير من الصحابة الذين تكفلوا إلى جانب مهمة الجهاد نشر الدين الإسلامي بين البربر[1].

وعلينا قبل أن نمضي في تتبع ملامح الحياة الدينية في طرابلس وبرقة خلال الفترة التي نعالجها، يجدر بنا أن نتوقف قليلا؛ لنحاول تفسير ضعف الحياة الدينية والعلمية أيضاً في طرابلس وبرقة، من خلال طرح السؤال التالي: لماذا لم تشتهر طرابلس وبرقة في المجال الديني والعلمي كما هو الحال في مصر والقيروان وفأس والأندلس والعراق؟

حاول بعض الباحثين تفسير هذه الظاهرة، منهم إحسان عباس الذي علل أسبابها، بأن العلماء الليبيين لم يتصلوا ببلاط الملوك في القيروان أو القاهرة، إذ إن أغلب العلماء والأدباء ترجع شهرتهم إلى اتصالهم ببلاط السلاطين، كما جذبت الرحلة عدد كبير من أبناء البلاد فهاجر الكثير منهم إلى خارجها[2].

أما النعمان عبد المتعال في كتابه شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، فعلل ذلك بسبب عنف المعارك، وقسوة القتال، وأن جُل الفاتحين لهذه الميادين كانوا من عرب اليمن الذين لم يرزقوا ما رُزق العدنانيون من اقتدار على التعبير الشعرى، وأضاف أن القبائل العربية المهاجرة كانت يمنية، والشعر في مضر لا في اليمن[3]، وعبداللطيف البرغوثي أرجع مستوى الضعف الثقافي في طرابلس وبرقة لعدة أسباب منها: بُعد برقة وطرابلس عن مركز الخلافة، اتساع البلاد وفقرها وقلة عدد سكانها، والفرق الاجتماعي بين البربر والعرب، وهجرة العلماء والأدباء، ويرى أيضاً أن طرابلس استطاعت أن تكون عاصمة في بعض

---

1 صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978م ، ص 243 .

2 إحسان عباس : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي ،1967م ، ص 208 .

3 النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، 1965م ، ص 168 .

الفترات، إلا أن هذا لم يستمر طويلا؛ لأن المدينة كانت تفتقر للمقومات الحضارية التي تجعل منها عاصمة، لهذا نلاحظ أن قبلة العلماء دائما تكون نحو العواصم الكبرى [1].

ويفسر بشير رمضان التليسي أسباب هذه الظاهرة إلى عدم وجود علماء لهم شهرة داخل البلاد أو خارجها، وخلو البلاد من التآليف العلمية والأدبية، وعدم وجود نشاط علمي حافل، وفي رأى التليسى أن قبلة العلماء دائما تكون نحو العواصم الكبرى، فأغلب النفوس تطمع إلى الشهرة، إن لم تكن تطمع إلى الثروة [2].

ويعلل أتورى روسى ضعف الحركة العلمية في طرابلس إلى عدم وجود رعاية من الأشخاص الذين ارتبط بهم تقدم العلم والحركة العلمية، فطرابلس في نظره كانت بعيدة عن الحركة العلمية أسوة بمثيلاتها في المغرب أو المشرق، وإن احتفظت حسب قوله بشكل محدود ومتواضع بذخائر العلوم الدينية والدنيوية [3].

غير أن الباحث أحمد مختار عمر في دراسته عن النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، حاول أن يُثبت أن لعلماء ليبيا دوراً مهماً في الحركة الثقافية عموماً والدراسات الإسلامية خصوصاً، بل ذهب إلى القول بإن علماء ليبيا شاركوا في معالجة بعض القضايا التي كانت تحدث بالمناطق المجاورة تارة بالفتوى، وتارة بالمشاركة في إفحام الخصوم، وأضاف أن منهم من تولى خارج البلاد مناصب مهمة كالقضاء[4]، كما أن الباحث يوسف أحمد بن حواله في كتابه الحياة العلمية في إفريقية لا يذهب إلى ما ذهب إليه السابقون، فهو يرى أن طرابلس تُعد من المراكز العلمية الرئيسة في إفريقية؛ لأن طرابلس تمثل حلقة وسط بين المشرق والمغرب الإسلاميين، فموقعها جعل منها نقطة

---

1 عبداللطيف محمود البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد العثماني، الجامعة الليبية . بنغازي ، 1972م، ص 293- 300 .

2 رمضان بشير التليسي : الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، دار الغرب الإسلامي . بيروت ، 2003م ، ص 243 .

3 إتورى روسى : ليبيا منذ الفتح العربي حتى عام 1911م، (ترجمة خليفة محمد التليسى)، الدار العربية للكتاب، ط2 ، 1991م ، ص126 .

4 أحمد مختار عمر: النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، الجامعة الليبية، 1971م ، ص125 .

التقاء، وتفاعل وجسر عبور للقوافل التجارية التي كانت تحمل إلى جانب البضائع الكتب والأخبار من البلاد الوافدة منها، سواء من الشرق أو من الغرب، كما أعطاها موقعها فرصة لمرور الكثير من المسافرين والرحالة والحجاج والعلماء والأدباء المغاربة من المشرق إلى المغرب، أو الذاهبين من المشرق إلى المغرب لأسباب سياسية أو تجارية أو غير ذلك [1]، وكثيراً منهم كان يفضل البقاء فيها لمدة من الزمن، مما أعطى فرصة لليبيين الذين لم تكن امكانيتهم تسمح لهم بالسفر خارج البلاد أن يلتقوا بالأعلام والعلماء، ويأخذوا عنهم[2] .

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية الدينية في طرابلس وبرقة

المساجد :

لم يقف دور المسجد عند أداء العبادات، بل كان للمسجد دور اجتماعي، وسياسي، والمعروف أن المدارس الفقهية الكبرى كانت في المساجد، وأن الأئمة العظام كانوا يلقون تلامذتهم فيها للاستماع إلى دروسهم، وفيه أيضا يتجمع طلاب العلم مع أساتذتهم، وبعض المساجد تحوى أماكن لسكني الأساتذة والطلاب المغتربين [3] .

أقيمت المساجد في جميع الأنحاء التي دخلها الإسلام في طرابلس وبرقة، فهي مؤسسة إسلامية لا غنى للجماعة المسلمة عنها[4]، ولم تكن مدينة أو قرية ليبية تخلو من مسجد أو أكثر، ومنها ما أسس في وقت مبكر مع الفتح، وفى عهد بنى الأغلب أسست الكثير من المساجد خاصة في السواحل؛ لاتخاذها كرباط للعباد، ومحارس تؤمن فيه الدولة للمرابط احتياجاته اليومية، مقابل أن يقوموا بدور خفر للسواحل[5]، ولعل بناء الفاطميين للمساجد يدخل ضمن رغبتهم في اتخاذها مراكز لتدريس المذهب الإسماعيلي حسب قول بشير التليسى

---

1 يوسف بن أحمد حواله : الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى منذ اتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ج1، جامعة أم القرى . مكة المكرمة ، 2000م ، ص193-195.

2 عبدالباسط محمد عطوة : دور العرب الوافدين المشارقة والمغاربة والأندلسيين في ثقافة الليبيين خلال العصر الإسلامي منذ الفتح حتى القرن الثامن الهجري، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014 م ، ص102-104 .

3 أحمد مختار عمر: مرجع سابق ، ص 101 .

4 عبداللطيف محمود البرغوثي : مرجع سابق ، ص290.

5 إحسان عباس : مرجع سابق ، ص 104 .

[1]، ولقد لفت نظر التيجاني كثرة مساجد طرابلس حتى قال عنها: " مساجد البلد لا تحصى كثرة، وهي تكاد تناهز الدور عددا، وقال في مكان آخر" بخارج البلد مساجد كثيرة مشهورة بالفضل "[2]، وقوله " وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة "[3]، ومعظم تلك المساجد كانت بمثابة مراكز علمية تنشر العلوم والمعارف، وتسهم مع جميع المراكز والوسائط في إثراء الحياة العلمية، ومن أمثلة تلك المساجد مسجد عمرو بن العاص في طرابلس، ومسجد طرابلس الأعظم الذى بناه خليل بن إسحاق أحد عمال الفاطميين، ومسجد الناقة الذى ينسب للمعز بالله الفاطمي، علاوة على وجود مساجد خاصة بناها عدد من علماء وفقهاء البلاد، كمسجد خطاب المنسوب لأبى نزار خطاب البرقي، ومسجد الجدة[4]، وإلى جانب هذه المساجد توجد الكتاتيب، ودورها ينحصر في تعليم الصبية القراءة والتلاوة والكتابة والحساب، ومن أمثلة تلك الكتاتيب كُتاب أبى ركوة في برقة [5]، وكُتاب عمر بن يمكتن في طرابلس[6]، كما وجدت في المساجد الكبرى حلقات العلم، حيث يتجمع طلبة العلم حول شيخ من المشائخ؛ ليسمعوا منهم ويسألوهم ويناقشوهم [7].

المكتبات وخزائن الكتب :

تُعد المكتبات من الأماكن المهمة في نشر العلم، وكانت البلاد تزخر بالعديد من خزائن الكتب في المساجد والمدارس والزوايا، بالإضافة إلى الخزائن التي يحتفظ بها العلماء والفقهاء في دورهم[8]، إلا أن عدم استقرار الأوضاع السياسية في البلد، أدى إلى سلب ونهب

---

1 بشير رمضان التليسي: مرجع سابق ، ص 301 .

2 أبو محمد عبدالله بن محمد التيجاني: رحلة التيجاني، (قدم لها حسن حسنى عبدالوهاب) ، الدار العربية للكتاب . تونس ، ليبيا ، 1981م ، ص 247-254 .

3 نفسه ، ص 218 .

4 يوسف بن أحمد حواله : مرجع سابق ، ج1 ، ص223-225.

5 عبداللطيف محمود البرغوثي : مرجع سابق ، ص 293 .

6 يوسف بن أحمد حواله : مرجع سابق ، ج1 ، ص 232 .

7 عبداللطيف محمود البرغوثي : مرجع سابق ، ص293.

8 فراس سليم حياوي وآخرون: الحركة الفكرية في طرابلس الغرب في عهد بنى خزرون، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، جامعة بابل . العراق، العدد7 ، 2017م ، ص269 ؛ محمد مصطفى المنتصر: الجذور

وحرق هذه المكتبات مثل: خزائن جبل نفوسة التي كانت مملوءة بالكتب النفيسة، التي حرق معظمها في الفتن المتصلة التي لحقت بالجبل، إلا أن هناك الكثير منها لم تصله يد العابثين منها، المكتبة العامة المسماة بخزانة نفوسة في مدينة شروس، وقد كان بها الألاف من الكتب، وكانت مقصد لكثير من طلاب العلم الإباضيين [1]، كما أن دكاكين الوراقين كان لها دور في الحياة الثقافية، فلم تقتصر مهمتها على بيع الورق وأدوات الكتابة وبيع الكتب، بل كانت تقوم بدور كبير في نسخ الكتب، وتصحيحها، وتجليدها، وعرضها، والتعريف بها، ونشرها، وتوزيعها، كما كانت ملتقي للعلماء والأدباء والمثقفين، وليست لمجرد بيع الورق والكتب [2].

المدارس :

اتصلت المدارس بالمساجد، والهدف منها تعليم الصبية القراءة والكتابة، بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والفقه وغيرها من العلوم[3]، ولقد أسهم جبل نفوسة بشكل كبير في انتشار الفكر الإباضي في طرابلس وإفريقية، حيث اعتبر الجبل من أهم المراكز الثقافية الإباضية، فقد عده عوض الشرقاوى كهف العلماء ومقصدهم[4]، ورغم أنه لم تقم في جبل نفوسة مراكز تعليمية كما في جامع الزيتونة وجامع القرويين، إلا أن كثرة المدارس وحلقات العلم، خَرّجت الكثير من العلماء نشروا الفكر الإباضي [5]، ومن مدارس الإباضية التي نشأت في القرن الثاني الهجري، وظلت تشيع العلم إلى القرن الحادي عشر مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس، وكان لهذه المدرسة مجموعة من الفروع في

التاريخية للمذهب المالكي في ليبيا، مجلة العلوم الإنسانية . كلية الآداب الخمس، جامعة المرقب، العدد18، مارس 2019 م ، ص 87 .

1 عوض الشرقاوي : التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2011 م ، ص 146 .

2 يوسف بن أحمد حواله : مرجع سابق ، ج1 ، ص 255 .

3 فراس سليم حياوى وآخرون : مرجع سابق ، ص268 .

4 عوض الشرقاوي : مرجع سابق ، ص 143 .

5 حسن أحمد إبراهيم : مراكز الإشعاع الحضاري في منطقة طرابلس (جبل نفوسة نموذجاً)، ندوة دور طرابلس الغرب في نشر الثقافة العربية الإسلامية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2009م ، ص 43 .

مختلف القرى والمدن[1]، ومدرسة عمر بن يمكتن في قرية إيفاطمان، وتعد أول مدرسة في جبل نفوسة لتعليم القرآن الكريم، وتعود إلى القرن الثاني الهجري[2]، ومدرسة أبى يحي سليمان بن ماطوس من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجري[3]، ويذكر أحمد مختار أنها من أعظم المدارس التي نشرت العلم، وورد إليها الطلاب من كل مكان، ومدرسة أبى هارون موسى بن يونس الجلالمى، وكان يجمع الأموال للإنفاق على الطلبة الذين أتوا إلى المدرسة من مناطق نائية[4]، وبالنسبة للفتيات، فقد تأسست مدرسة خاصة بهن هي مدرسة أم يحي في امسين، تأسست خلال القرن الثالث الهجري، وكان بها مبيت تأوي إليه الفتيات القادمات من بعيد [5].

الرحلات وحلقات العلماء الزائرين :

كانت تُعقد حلقات دراسية للعلماء المارين بالبلاد، وفيها يتم تبادل الأفكار والمعلومات فيما بينهم، ويتم ذلك إما عند ذهابهم أو عودتهم إلى بلادهم بعد أداء فريضة الحج في مكة المكرمة، أو عند مرورهم بالبلاد لأغراض أخرى[6]، وكان مرورهم بالمنطقة أشبه أشبه بالمواسم الثقافية، حيث كان للطلبة الغير قادرين على السفر لطلب العلم، الفرصة في نهل العلم من أولئك العلماء الزائرين، ومن أمثلة هذه الحلقات ما عقدها محمد بن عيسى الذى مرّ بطرابلس في القرن الرابع الهجري، وأخذ عنه طلاب العلم الشيء الكثير، وكذلك الفقيه أبو الحسن محمد بن إبراهيم الأندلسي الذي زار طرابلس أثناء قدومه

---

1 أحمد بن عبدالواحد الشماخي : كتاب السير، (تحقيق أحمد بن سعود السيابي)، ج1 ، وزارة التراث القومي والثقافة . سلطنة عمان ، ط2 ، 1992 م ، ص 142 .

2 على يحي معمر: الإباضية في ليبيا، مؤسسة تاوالت ،(د . ت) ، ص 46 .

3 محمود حسين كوردى : الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون 2-8 هـ ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2008 م ، ص 66 .

4 أحمد مختار عمر: مرجع سابق ، ص 112-113.

5 محمود حسين كوردى : مرجع سابق ، ص ص71-72 ؛ حسن أحمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 45 .

6 محمد هشام النعسان : الحركة العلمية في طرابلس الغرب خلال القرنين 5-6 هـ /11-12م ، ندوة دور طرابلس الغرب في نشر الثقافة العربية الإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2009م ، ص 32، فراس سليم حياوي وآخرون: مرجع سابق ، ص269 ؛ إتورى روسى: مرجع سابق ، ص126 ؛ محمد مصطفى المنتصر: مرجع سابق ، ص 87 .

لتأدية فريضة الحج، وعقد حلقات علمية أفاد منها طلاب العلم في طرابلس في مجال الفقه وعلوم القرآن [1]، كما ارتحل عدد من أبناء برقة وطرابلس يطلبون العلم، إما إلى القيروان أو إلى القاهرة أو مكة والمدينة، وفى هذا الصدد يقول: ابن غلبون " إن طرابلس كانت تعتمد في ثقافتها على من يفد علها من الحجاج وطلاب العلم مشرقيين ومغربيين، وعلى من بصحبتهم أمراء أفريقية في طريقهم إلى الحج من أهل العلم والفضل"[2]، مع تحفظنا عن هذا الكلام لما فيه من مبالغة حول دور العلماء المارين بالبلاد .

ومن العلماء المغاربة الذين مروا بطرابلس وبرقة وهم في طريقهم إلى المشرق، الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (160- 240هـ) الذي أقام في برقة وطرابلس مدة من الزمن في طريق رحلته لطلب العلم في المشرق سنة 188هـ ، حيث ينسب إليه قوله: إنه سمع منى أهل إجدابية العلم سنة191 هـ، ثم انتقل إلى طرابلس وأقام بها فترة من الزمن [3]، والذي نُقل عنه أيضا قوله: " كان بأفريقية رجال عدول، بعضهم بالقيروان وتونس وطرابلس، لو قورنوا بمالك بن دينار لساووه"، كما سئل سحنون عمن لقى من الصالحين عند رجوعه من الحج ماراً ببرقة وطرابلس فقال: " رأيت بطرابلس رجالاً ما الفضل بن عياض بأفضل منهم "[4]، ومحمد بن سيار القرطبي الذى مر بطرابلس سنة 294 هـ وسمع من علمائها، كما مرّ بها محمد بن عيسى البياني العام 332هـ، والتقى بحماد بن شقران الاستجي ببرقة العام 338هـ خلال عودته من المشرق[5]، ومنهم أيضا العالم الفقيه والمؤرخ ابن خلدون الذي زار مدينة طرابلس، وبقى فيها لفترة من الزمن يدرس ويحاضر فيها، ويجالس علماءها والمتصوفين فيها[6]، ومحمد بن حيون بن عمران الأنصاري الذى توفى بطرابلس أثناء عودته

---

1 صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص244.

2 أبى عبدالله محمد بن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، (صححه الطاهر أحمد الزاوي) ، دار المدار الإسلامي . بيروت ، 2004م ، ص 140 .

3 القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية . المملكة المغربية ، ط2 ، 1983م ، ص47.

4 أبو العرب محمد بن أحمد ابن تميم القيرواني : طبقات علماء أفريقية ،(تحقيق على الشابي ونعيم حسن الباقي) ، الدار التونسية . تونس ، 1968م ، ص 73-83 .

5 بشير رمضان التليسى : مرجع سابق ، ص 221 .

6 عبدالباسط محمد عطوة : مرجع سابق ، ص 107 .

من المشرق سنة 346 هـ [1]، ومما يدل على أن تلك الرحلات كانت تعطي فرصا لطلاب العلم في طرابلس وبرقة وغيرها من الأقاليم بلقاء العلماء من الأندلس والمغرب وإفريقية، وأخذ عنهم كثير من العلوم وهم في بلدهم[2]، نذكر منهم " ابن الأجدابي وهو من علماء القرن الخامس الهجري، ولم يكن له رحلة خارج طرابلس، وعندما سئل من أين له هذا العلم ولم ترحل؟ أجاب: " اكتسبته من بابي هوارة وزناتة "، وهما بابان من أبواب طرابلس، وإجابته هذه إشارة إلى أنه استفاد علمه من لقائه للعلماء الذين يمرون بطرابلس، عن طريق هذين البابين مشرقين أم المغربين، ومعنى هذا أن طرابلس كانت ملتقي كبار العلماء [3]، ومنهم الشيخ " أبو فارس بن عبد العزيز بن عبيد، ومن شيوخه الفقيه " أبو الحسن إبراهيم محمد الأندلسي البسطي، الذي اجتاز طرابلس قافلا من الحج، فقرأ عليه بعض العلوم الدينية لابن الخطيب[4]، ومنهم الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي، وصل طرابلس قاضيا وغيرهم كثير[5]، وهذا يدل على أن المدن الواقعة في الطريق إلى الحج أو التجارة كانت تحظى باستقبال العلماء من المشرق أو المغرب أو الاندلس على حد سواء[6].

كما ارتحل بعض من علماء طرابلس وبرقة إلى مصر والقيروان وصقلية والأندلس؛ لتلقى العلم والعودة بعدها للبلاد، كما فعل ابن المنمر عندما ارتحل إلى القيروان، لأخذ العلم من الشيخ أبى محمد بن أبى زيد القيرواني في القرن الرابع الهجري، ومنهم من انقطعت صلته ببلده بعد هجرته وإن احتفظ بنسبه، كما فعل إبراهيم بن قاسم

---

1 صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص 246 .

2 جمعة محمود الزريقى : تراجم ليبية دراسة في حياة وأثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديماً وحديثاً ، دار المدار الإسلامي . بيروت ، 2005م ، ص 457 .

3 الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار . المشهورة بالرحلة الورثيلانية – (تحقيق محمد ابن أبي شنب) ، مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ، 2008م ص 204 ؛ إتورى روسى : مرجع سابق ، ص 127 .

4 التيجاني : مصدر سابق ، ص 220 .

5 أحمد حسين النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني . طرابلس، (د . ت)، ص165 .

6 عبدالباسط محمد عطوة : مرجع سابق ، ص38 .

الأطرابلسى الذى هاجر إلى الأندلس، ومنهم من خرج هارباً من الولاة خاصة الولاة العبيديين، ومنهم من هاجر طلباً للمناصب مثل الشاعر أبو الحسن البرقي أحد مداحي الحاكم بأمر الله في مصر، وكذلك أبناء الوداني اللذين أصبحا من شعراء صقلية، وقد يرحل بعض العلماء من برقة وطرابلس [1].

المبحث الثالث : الإنتاج الديني لعلماء طرابلس وبرقة

كانت طرابلس وبرقة عامرة بالفقهاء والأدباء والقراء، ونستدل على ذلك ما أورده البكري من أن أهل ودان كان عندهم فقهاء وقراء وشعراء [2]، فإذا كان هؤلاء بتلك الناحية النائية، فما بالك بالمدن القريبة من الساحل [3]، ولقد برز في طرابلس وبرقة عدد غير قليل من العلماء، كان لهم الفضل في إثراء الحركة العلمية في البلاد، الأمر الذى أثار دهشة الزائرين الذين دونوا انطباعاتهم، إما بالسلب أو بالإيجاب حسب محمد عطوة، وإن كانوا برزوا أكثر في العلوم الدينية [4].

علم الفرائض :

يُعد علم الفرائض من أجل العلوم، وفنا شريفا، لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول به إلى الحقوق في المورثات بوجوه صحيحة يقينية، وأشهر من ألف فيه على بن زكرون، وابن المنمر، وُيعد كتابه من أحسن التأليف على مذهب مالك ومن أشهرها [5].

علم القراءات :

هو علم يبحث في كلمات القرآن الكريم من حيث أحوالها، كالمد والقصر والنقل، وهذا مستمد من السنُة والإجماع، والهدف منه صيانة القرآن من التحريف والتغير، فالعلماء يستنبطون كم حرفاً يقرأ به القارئ معنى لا يوجد في قراءة آخر، فالقراءة حجة في

1 إحسان عباس : مرجع سابق ، ص211-212 .

2 أبى عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري : المسالك والممالك ، (حققه جمال طلبة)، ج2 ، دار الكتب العلمية . بيروت ، 2002 م ، ص 184 .

3 إحسان عباس : مرجع سابق ، ص 105.

4 عبدالباسط محمد عطوة : مرجع سابق ، ص 39 .

5 التيجاني : مصدر سابق ، ص265 .

استنباط الأحكام [1]، وقد برز في طرابلس عدد من القراء منهم أبو الحسن علي بن محمد الطرابلسي، وأبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي، وخلوف بن عبد الله البرقي النحوي [2].

علم الحديث :

من أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين خلفا عن سلف بعد كتاب الله، ويُعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، وهذا العلم جمع أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله ورواياتها وضبطها وتحرير ألفاظها[3]، ومن أبرز علماء الحديث في طرابلس وبرقة نذكر منهم ابن زكرون الطرابلسي[4]، وأبو جعفر أحمد بن نصر الداودي، وأبوبكر بن محمد البرقي [5].

علم الفقه :

هو النظر في الأدلة الشرعية حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف[6]، ومن أبرز فقهاء البلاد، نذكر أبو عثمان سعيد خلفون الحشاني، وأبو نزار خطاب البرقي، وأبو جعفر أحمد بن خلف الأجدابي، وأبو الحسن علي بن محمد بن المنمر، وأبو خزر النفوسي وغيرهم[7].

المبحث الرابع : أبرز علماء طرابلس وبرقة

شهدت برقة وطرابلس وجبل نفوسة ظهور عدد من العلماء والفقهاء خلال فترة الدراسة، تركوا أثراً علميًا وثقافيًا، وأشادت بذكرهم كتب التراجم والطبقات نذكر منهم :

---

1 فراس سليم حياوى وآخرون : مرجع سابق ، ص 270-271 .

2 أحمد حسين النائب الأنصاري : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ،(تقديم وتعليق محمد زينهم محمد عزب) ، الفرجاني للنشر والتوزيع . طرابلس ، 1994 م ، ص 73 .

3 فراس سليم حياوى وآخرون :2017م ، ص 272-273 .

4 جمعة محمود الزريقي : مرجع سابق ، ص 360.

5 عبداللطيف محمود البرغوثي: مرجع سابق ، ص 314 .

6 فراس سليم حياوى وآخرون : مرجع سابق ، ص 273 .

7 الأنصاري : نفحات النسرين والريحان ، ص 75 .

أبو الحسن على بن زياد العبسي: الطرابلسي المولد التونسي الوفاة، سمع من مالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم[1]، وأخذ منه العلم الكثير من أبناء إفريقية منهم البهلول بن راشد، وسحنون، وأسد بن الفرات الذى كان يقول: إني لأدعو الله عزّ وجل لعلى بن زياد مع والدى؛ لأنه أول من تعلمت العلم على يديه، ولم يكن سحنون يقدم عليه أحد من إفريقية، وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى إفريقية، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، وكان أهل العلم في القيروان إذا اختلفوا في مسألة، كتبوا إليه لاستشارته، كما كان البهلول يستفتيه في عدة أمور، قيل عنه لم يكن في إفريقية في عصره مثله، وقيل ما أنجبت إفريقية مثله[2]، أرسل إليه أمير إفريقية يعرض عليه القضاء فرفض المنصب، ثم عرض عليه يزيد بن حاتم تولى القضاء في القيروان فخرج منها إلى تونس، وينقل حمزة أبو فارس عن الشاذلي النيفر قوله: " يرجع الفضل كله في تأسيس المدرسة التونسية، وغيرها من المدارس بإفريقية، سواء بالقيروان أو بقية أمهات المدن الأخرى إلى على بن زياد، وهذه المدرسة التي وضع لبنتها على بن زياد هي مدرسة مالك بن أنس "[3]، وقيل إنه أدخل المذهب المالكي إلى إفريقية سنة 150هـ [4]، توفى سنة 183هـ [5].

أبو عبدالله محمد بن معاوية الحضرمي الإطرابلسي: أخذ عن الإمام أبى معمر عباد بن عبدالصمد التميمي البصرى الذى مر بطرابلس، ارتحل إلى المدينة وله صحبة مع مالك بن أنس، وسمع منه الموطأ[6]، كما سمع من الليث بن سعد، وعبدالله بن لهيعة الحضرمي،

---

1 محمد بن محمد بن قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (خرج حواشيه عبدالمجيد خيالي)، ج1، دار الكتب العلمية . بيروت ، 2002م ، ص 91 .

2 قاسم على سعد : جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ج2 ، دار البحوث للدراسات الإسلامية والتراث . دبى ،2002م ، ص 850-851 .

3 حمزة أبو فارس: دور ليبيا في نشر المذهب المالكي حتى القرن الخامس الهجري، مؤتمر الإمام مالك، الجامعة الاسمرية الإسلامية ، 2013 م ، ص 1079 .

4 محمد مصطفى المنتصر: مرجع سابق ، ص 98 .

5 الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا ، دار المدار الإسلامي . بيروت، ط3، 2004م ، ص 260-261 .

6 قاسم على سعد : مرجع سابق ، ج2 ، ص 1205 .

وروى عنه الإمام حبيب بن محمد الطرابلسي، وأبو عبدالله بن وضاح القرطبي وغيرهم، لم نقف على تاريخ معين لولادته ووفاته [1].

أبو حفص عبدالجبار بن خالد بن عمران السرتي: ولد سنة 194هـ ، كان فقيهاً فاضلاً ذا ثقة، طويل الصلاة كثير الدعاء، سمع من سحنون، وهو من كبار أصحابه، وسمع منه أبو العرب وابن اللباد وغيرهم، وكان من عقلاء إفريقية، وقيل إن سحنون كان لا يبدأ درسه إلا بعد حضوره[2]، وذكر الدباغ أن سحنون كان يقول عبدالجبار تقي في بطن أمه، توفي في 281هـ[3]، وصلى عليه ابن حمديس والقطان، وقيل إنه ختم القرآن ثلاثين ألف ختمة [4].

عبدالله بن الشعاب: ولد بطرابلس ونشأ فيها، وكان تاجراً لا يأكل إلا من كسب يده، ومسجده معروف بمسجد الشعاب، قيل إن صاحب المسجد عجز عن إتمامه، وأقر بعجزه أمام القاضي، فتطوع الشعاب بإتمامه [5]، توفي سنة 243 هـ [6].

أبو الأسود موسى بن عبدالرحمن بن حبيب القطان أو العطار الطرابلسي: ولد عام 232هـ قال القاضي عياض أصله من عجم قمودة، ومولى لبنى أمية [7]، سمع عن الإمام محمد بن سحنون وغيره، تولى قضاء طرابلس، ثم عزله إبراهيم بن أحمد الأغلبي عنه، وسجنه لوشاية، وله مؤلف في أحكام القرآن يبلغ أثنى عشر جزءاً[8]، كان ثقة ومن الفقهاء

---

1 إبراهيم محمد أبودبوس : الإمام محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي "سيرته ومروياته" ، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية . العدد السادس خاص، ديسمبر 2022م ، ص 850-853 .

2 مخلوف : مصدر سابق ، ج1، ص 106، الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا ، دار المدار الإسلامي . بيروت، ط3، 2004م ، ص 201-202 ؛ قاسم على سعد : مرجع سابق ، ج2 ، ص 607-608 .

3 أبوزيد عبدالرحمن الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، (تحقيق محمد أبو النور ومحمد ماضور) ، مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس ، ج2 ، (د . ت) ، ص 125 .

4 ناصر الدين محمد الشريف : الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق . عمان، 1991 م ، ص 54 .

5 صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص 248 .

6 ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق، ص 45 .

7 القاضي عياض : مصدر سابق ، ج5 ، ص 90 .

8 الدباغ : مصدر سابق ، ج2 ، ص 337 ؛ صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص 251 .

المعدودين، قيل عنه ما أُعجب أهل مصر ممن قدم عليهم من القيروان إعجابهم به، قيل عنه كان من أوعية العلم والفقه، توفي سنة 306هـ [1].

أبو الفضل العباس بن محمد الصواف الغدامسي: أصله من غدامس وسكن المنستير، ويروى عن نفسه أنه قدم من غدامس إلى إفريقية سنة 286هـ، وكان الناس يطرقون بابه للدعاء، ونُسب إليه قوله سألت الله عزّوجل في شيئين فأعطانيهما، سألته أن ينزع عن قلبي حب غدامس فنزعه، وسألته أن يكفيني مؤنة البراغيث فكفاني، وقيل في كرمه إنه أهدى لغلام ورثاً تركه له ابن عمًا له، توفي في غدامس، توفي سنة 309هـ [2].

أبو محمد عبدالله بن إسماعيل البرقي: من أهل الفقه والأدب توفي عام 317 هـ ، قال في رياض النفوس من أهل الفقه والأدب، وغلب عليه أخر أيامه الورع[3]، توفي مرابطا في سوسة وله أربعون سنة [4].

أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلى: أصله من الكوفة، وكان والده هاجر إلى طرابلس واتخذها مقراً له، وبها ولد المترجم له، أخذ عليه العديد من فقهاء الأندلس والمغرب توفي في طرابلس 322 هـ[5]، وفي ترجمته في كتاب الجواهر الإكليلية، ذُكر أنه أنه ولد في 182هـ وتوفي في 261هـ، وذكر أنه فرّ لطرابلس أيام محنة القرآن [6].

أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشاني أو الحساني: أصله من قرية حسان ومن أكابر الصوفية، اجتمع بكثير من الأولياء وأخذ عنهم، سكن المسجد المنسوب إليه في طرابلس، واشتهر بلقب المستجاب، وكان محرز بن المؤدب لما رجع من الحج إلى تونس، سئل من رأيت

---

1 إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، (تحقيق مأمون بن محى الدين بن الجنان) ، ج1 ، دار الكتب العلمية . بيروت ، 1996م ، ص 242 ؛ قاسم على سعد : مرجع سابق ، ج4 ، ص 1283-1284 .

2 الدباغ : مصدر سابق ، ج1 ، ص ص440 – 445 ؛ الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا ، ص 198-200 .

3 الدباغ : مصدر سابق ، ج2 ، ص 200 .

4 القاضي عياض : مصدر سابق، ج6، ص 33، ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص 63-64.

5 جمعة محمود الزريقي: مرجع سابق ، ص 460 ؛ صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص 249 .

6 ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص 50 .

في طريقك من الصالحين، فأجاب رأيت بطرابلس رجل وامرأة، أما الرجل فأبو عثمان الحساني، وأما المرأة فسمدونة، توفى سنة 362 هـ [1].

أبوعبدالله محمد بن إسحاق الجيلي أو الحبلى: قاضى برقة وكان عاملها الفاطمي ابن الكافي، فأتى إليه العامل الفاطمي وقال له: إن غداً العيد، فأجاب القاضي بضرورة رؤية هلال العيد، لأنه لا يجب إفطار الناس قبل التأكد من رؤية هلال العيد[2]، لكن ابن الكافي أصر على كلامه، وأضاف بأن كتاب أتى إليه من القيروان يفيد بذلك، ولما أصبح الناس قدم ابن الكافي إلى القاضي بهيئة العيد والطبول فرفض القاضي الخروج قائلا " والله لا أخرج و لا أصلى و لا أُفطر في يوم من أيام رمضان ولو علقت يدى"، فمضى ابن الكافي إلى المسجد وأمر غيره بالصلاة والصعود للمنبر للخطبة بين الناس، ثم أرسل إلى القيروان يخبرهم بما جرى، فطلبت القيروان مثول القاضي بين يديها، ولما وقف بين يدى الخليفة الفاطمي، خيره بين الدخول في طاعتهم والعفو عنه، أو سيكون عقابه كما تمنى، فأمتنع عن الدخول في دعوتهم، فنصب له صاريا، وعُلق بيده حتى مات، وكان ذلك سنة 341 هـ[3].

أبو محمد تميم بن خيران بن تميم السرتي: سمع عن موسى القطان وابن بسطام وابن عياش وغيرهم، كان فقيها وعالما بأخبار إفريقية وأنساب أهلها، وكان يعتمد عليه أهل القيروان في وقته، توفى سنة 346 هـ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة[4].

أبو بكر النحوي محمد بن مؤمن الكندي البرقي: كتب في الحديث والنحو انتقل إلى مصر، توفى سنة 351هـ أو 356 هـ [5].

---

1 الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 202؛ الأنصاري : نفحات النسرين والريحان ، ص 75 ؛ الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا ، ص 172 .

2 الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا ، ص 327 .

3 الدباغ : مصدر سابق ، ج3 ، ص 49-50 .

4 قاسم على سعد : مرجع سابق ، ج1 ، ص 363 ؛ ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص 68.

5 عبداللطيف محمود البرغوثي: مرجع سابق ، ص 314-315 .

محمد بن الحسن بن أبى الدسبي أو الدبسي الطرابلسي: كان قاضى طرابلس، فاستدعاه الوزير يعقوب ابن كلس للنظر في بعض الأحكام، ثم أمره على قضاء دمياط و الفرما وغيرهما، نكاية في على بن النعمان القاضي [1]، توفى بعد سنة 369 هـ [2].

أبو الحسين على بن أحمد بن زكريا بن الخطيب أو الخصيب المعروف بابن زكرون الطرابلسي: أحد تلاميذ الشيخ صالح العجلى، وروى عنه أبو الحسن القابسي، رحل إلى مصر والحجاز، ثم عاد إلى طرابلس، وأقام في مسجد المجاز قرابة الأربعين عاماً، تتلمذ عليه العديد من طلبة العلم من خارج طرابلس من بلاد المغرب والأندلس، وسمع منه أبو العباس الغمري السرقسطي عند مروره بطرابلس[3]، له العديد من المؤلفات في الفقه والفرائض، تعلم منه الناس الفقه والحديث والورع، وبه انتفع أهل طرابلس، وكانوا يعظمونه، توفى سنة 370 هـ[4].

أبو نزار خطاب البرقي: صحب العارفين من أهل زمانه وأخذ عنهم، وكان من كبار العلماء والزاهدين[5]، قال عنه التيجاني " كان يسكن في الجامع الذى بخارج المدينة من جهة شرقها على البحر" توفى سنة 373 هـ [6].

أبوعبدالله محمد بن يحى الأجدابي: من أهل إجدابية قال محمد بن هنتون مضيت إلى الحج فمررت بإجدابية، فلقيت الإجدابى سنة 382 هـ في محرس من محارس برنيق يعُرف بميلة[7] .

---

1 الأنصاري : نفحات النسرين والريحان ، ص 92 ؛ حمزة أبو فارس : مرجع سابق ، ص 1083 .

2 ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص 79 .

3 الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 201-202 ؛ عمار محمد جحيدر: تراجم علماء طرابلس وصلحائها في رحلة التيجاني، الهيئة العامة للثقافة، 2018م، ص 62 ؛ الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، ص 257 ؛ جمعة محمود الزريقي: مرجع سابق ، ص 360.

4 قاسم على سعد: مرجع سابق ، ج2 ، ص 839-840 .

5 الورثيلاني: مصدر سابق ، ص 201 .

6 الأنصاري: نفحات النسرين والريحان ، ص 78 ؛ التيجاني: مصدر سابق ، ص234.؛ الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا ، ص 149 .

7 ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص 78.

أبو عبدالله محمد بن حسن الزويلي السرتي: كانت له رحلات في طلب العلم إلى المشرق والمغرب، وكان له ركن في آخر المسجد يجتمع إليه الناس للفتوى في مختلف المسائل[1]، قال عنه ابن الدباغ كان من أهل العلم والفرائض والقرآن، توفى سنة 383 هـ [2].

أبو جعفر أحمد بن خلف الأجدابي: قال عنه الدباغ كان ذا فقه بارع وجدل وأدب، وكان كريم النفس دمث الخلق محبوباً من الناس كافة، توفى العام 391هـ [3]، بينما ذكر أحمد عمر في كتابه النشاط الثقافي في ليبيا أنه توفى عام 381 هـ[4].

أبو جعفر أحمد بن نصر الداوودي: يذكر التيجاني عنه أنه جلس للإقراء والتأليف في طرابلس، فالمصادر أجمعت على أنه ألف كتابه في شرح الموطأ المسمى النامي، وأملاه على طلبته في طرابلس، وفى الفقه كتاب الواعي، وكتاب النصيحة في شرح البخاري، هاجر إلى تلمسان، واستقر بها حتى وفاته عام 402 هـ[5]، واتقن علم الكلام، وألف فيه كتابا في الرد على القدرية سماه الإيضاح في الرد على القدرية، وأيضا له كتاب الأموال، قال عنه ابن فرحون في الديباج "وكان درسه وحده، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل بإدراكه"، وكان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بنى عُبيد، وأنه كتب إليهم بذلك فأجابوه أسكت لا شيخ لك، أي لأن درسه لوحده، ولم يتفقه على يد إمام مشهور[6] .

1 الأنصاري: المنهل العذب ، ص ص90-91 .

2 الدباغ : مصدر سابق ، ج3 ، ص 105 .

3 نفسه : ج3 ، ص 129 .

4 أحمد عمر مختار : مرجع سابق ، ص 136.

5 مخلوف : مصدر سابق ، ج1 ، ص164 .

6 التيجاني: مصدر سابق ، ص 264؛ ابن فرحون المالكي: مصدر سابق ، ج1 ، ص 165-166؛ محمد مصطفى المنتصر: مرجع سابق ، ص 100-101 .

أبو الحسن على بن محمد بن المنمر الطرابلسي: قيل على بن محمد بن المنتصر الطرابلسي[1] وينقل البرغوثي عن سعد زغلول في تعليقه على رواية التيجاني حول ابن المنمر قوله: إن التيجاني خلط بين شخصيتين، فالفقيه أبى الحسن المنمر توفى في 432 هـ، والفقيه أبى الحسن بن المنتصر كان في طرابلس سنة 446 هـ عند وصول العرب إليها، لذلك فسعد زغلول يرى أن ابن المنتصر هو من حرض الطرابلسيين ضد الشيعة، وليس ابن المنمر[2].

ولد في طرابلس عام 348 هـ، ونشأ وتعلم بها، وأخذ عن مشائخها منهم على ابن زكرون [3]، قال عنه التيجاني" الشيخ الفقيه المشهور بفضله وعلمه" [4]، كانت له رحلة إلى الحج سنة 389هـ، وهناك أخذ عن المحدث أبى الحسن أحمد بن عبدالله بن زريق البغدادي، كما ارتحل إلى القيروان، وأخذ عن علمائها، وكانت له رحلة إلى مصر أيضا، ونهل من علمائها[5]، قبل أن يعود إلى طرابلس، وجلس يُعلم الناس الفقه والحساب والفرائض، وأشهر كتبه كتاب الكافي في الفرائض، وأتى إليه الناس لأخذ العلم منه، منهم أبوالقاسم عبدالرحمن القيرواني من أهل الأندلس، وكان شديد التمسك بالمذهب المالكي، هو أول من أظهر السُنة بطرابلس بعد الوقعة الشهيرة بوقعة المشارقة سنة 407هـ التي قُتل فيها الكثير من الشيعة في القيروان، فقد قطع من الآذان حي على خير العمل، وأول من أقام صلاة التراويح، وقدم أبا مسلم مؤمن بن فرج فصلاها بالجامع الأعظم، وأعاد أيضا صلاة الضحى،

---

1 مخلوف : مصدر سابق ، ج1 ، ص 164 ؛ سميرة حمودة : جهود الإمام ابن المنمر في خدمة المذهب المالكي، مجلة أصول الدين ، الجامعة الأسمرية الإسلامية . العدد السادس خاص، ديسمبر 2022م ، ص 70 ؛ ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص82 .

2 محمود عبداللطيف البرغوثي: مرجع سابق ، ص 309-310 .

3 الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 205 ؛ ابن غلبون : مصدر سابق ، ص 349 ؛ قاسم على سعد: مرجع سابق ، ج2 ، ص 871 .

4 التيجاني: مصدر سابق ، ص 265.

5 سميرة حمودة : مرجع سابق ، ص 73-75 .

وكان الفاطميون قطعوا تلك الصلاتين، ومنعوا الناس من أدائها، تعرض للنفي من بنى خزرون حكام طرابلس، فلجأ إلى قرية غنيمة، ومكث بها حتى وافاه الأجل سنة 432 هـ [1]،

أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن الأجدابى: كانت له صحبة مع أبا الحسن القابسي، وسمع من تميم بن أبى العرب وغيره، ألف مناقب ربيع القطان من مشاهير فقهاء القيروان، توفى عام 432 هـ [2].

على الطرابلسي: محدث ونحوى بارع ولد العام 348هـ. نشر السنة في المغرب، وحارب الفاطميين توفى سنة 432 هـ [3].

أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد المصري الحضرمي المعروف باللبيدي: من مواليد لبدة ومن مشاهير علماء إفريقية ومؤلفيها وعبادها تفقهاً، وسمى من شيوخ إفريقية وعباد أهل الرباط، وحاز رئاسة العلم في القيروان، سمع من الشيخ أبى الحسن القابسي الذى وجهه لتفقيه أهل المهدية، له كتاب في الفقه، وكتاب اختصار المدونة يسمى الملخص، وكان ينشد الشعر، وكتاب جامع في المذهب، يقع في أكثر من مائتي جزء، وكتاب زيادات الأمهات ونوادر الروايات، توفى بالقيروان سنة 440 هـ وقيل 420 هـ [4]، قال عنه يوسف حوالة " من مشاهير علماء وفقهاء إفريقية المتأخرين، كان لمؤلفاته الفقهية الغزيرة أثر كبير في تثبيت المذهب المالكي والتمكين له " [5].

---

1 الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 206 ؛ الأنصاري: نفحات النسرين والريحان ، ص 84-85؛ ناصر الدين محمد الشريف: مرجع سابق، ص 82- 87؛ محمد مصطفى المنتصر: مرجع سابق، ص 100 .

2 قاسم على سعد : مرجع سابق ، ج1 ، ص 418 ؛ الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا ، ص 146 .

3 محمد بن عبدالمنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، (تحقيق إحسان عباس) ، مكتبة لبنان . بيروت ، ط2 ، 1984 م ، ص 342 .

4 الدباغ : مصدر سابق ، ج3 ، ص 176 .

5 يوسف بن أحمد حواله : مرجع سابق ، ج1 ، ص 378.

أبو مسلم مؤمن بن فرج الهوارى الطرابلسي: كان فقيها يقرأ الدروس من المسجد الذى عُرف باسمه، وكان ابن المنمر يقدمه للصلاة بالناس في رمضان، بعدما أعاد ابن المنمر صلاة التراويح التي منعها الفاطميون ، توفى سنة 442 هـ [1] .

أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي: فقيه متكلم لغوي أديب[2]، وقال عنه التيجاني " أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة "[3]، ينتسب إلى قبيلة لواتة البربرية وأجدابية بلده، كان يقُبل على من كان يجتاز بطرابلس من العلماء فيأخذ عنهم من المشارقة ومن المغاربة[4]، ومن حرصه على تلقى العلم ذكر التيجاني عنه قائلاً: " ولم تكن له رحلة عن طرابلس إلى غيرها، وقد سئل أنَّى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال اكتسبته من بابي هوارة وزناتة" [5]، وهما بابان من أبواب طرابلس، ويشير إلى أن ما استفاده من العلم بلقاء من يفد على طرابلس، فيدخل من هذين البابين من المشرق والمغرب .

ويبدو أن ابن الأجدابي كان ميسور الحال، لأن التيجاني قال بعقب ذلك "وكان له اعتناء بلقاء الوفود والقيام بضيافتهم"، وكان حريصا على تحصيل العلم كما كانت له عناية بنسخ بعض تصانيف الأئمة بخطه[6]، وكان من أحسن الناس خطاً، ذكر التيجاني أن الأمير أبا زكريا الحفصي، وكان شديد البحث عن خط ابن الأجدابي، سمع أن بطرابلس كتابين بخطه كتاب الفصيح لثعلب، وكتاب أمثلة الغريب المصنف لأبي الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل، فأرسل في طلبهما .

أشهر مؤلفات ابن الأجدابي كتابه المختصر في اللغة(كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ)، انتفع به الناس دهراً طويلاً، وذاع صيته حتى كاد ابن الأجدابي ألا يُعرف إلاّ به، و(كتابه الأزمنة والأنواء) ، ولا يعرف من آثار ابن الأجدابي إلى هذه الغاية غير هذين الكتابين،

1 الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 205 ؛ ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص 88 .

2 الأنصاري : نفحات النسرين والريحان ، ص82 ؛ محمد هشام النعسان : مرجع سابق ، ص 35 .

3 التيجاني : مصدر سابق ، ص

4 محمد هشام النعسان : مرجع سابق ، ص35 .

5 التيجاني: مصدر سابق ، ص 244 ؛ الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 205 .

6 الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا ، ص 51 .

وكلاهما مطبوع، وذكر له التيجاني كتابين في العروض أحدهما: مختصر والآخر مطول، وكتاباً في الأنساب اختصر فيه كتاب الزبير بن بكار نسب قريش، وزاد فيه زيادات، وكتاباً في الرد على ابن مكي الصقلي في كتابه تثقيف اللسان[1]، ورسالة في الحُول، وكان ابن الأجدابي أحول، وكان سبب تأليفها أنه حضر يوماً بطرابلس عند القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن هانش فحكم القاضي بحكم أخطأ فيه، فرد عليه ابن الأجدابي فقال له اسكت يا أحول، فما استُدعيت ولا استُفتيت فألف تلك الرسالة [2]، وذكر ابن عبد المنعم في الروض كتاباً سماه (شحذ القريحة)، ولم يذكر مضمونه إلا أن عنوانه ربما دل على أنه في الأدب[3]، ولا تُعرف سنة وفاته، وعلى الأغلب توفي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في طرابلس بعد سنة 456هـ أو بعد سنة 463هـ[4]، في حين حين ذكر الزاوي في كتابه أعلام ليبيا أنه توفي بين أعوام 444هـ و476هـ [5]، وقبره خارج المدينة إلى الشمال الشرقي منها، وبحسب وصف التيجاني قبره معظم، يكثر الناس من زيارته والدعاء عنده، وكانت داره في وسط المدينة لا تزال قائمة إلى السنة التي كتب فيها التجاني رحلته سنة 707هـ. وكان خطه على بعض جدرانها لايزال باقياً [6].

أبو عبدالله محمد بن سعيد بن شرف الأجدابي: وصفه مخلوف بالإمام الفقيه المتفنن بالعلوم الأديب، روى عن القابسي وأبي عمران الفاسي وغيرهما، رحل إلى صقلية ثم الأندلس عند ابتدأ الفتنة بالقيروان 447هـ [7].

ومن أبرز علماء الإباضية خلال فترة الدراسة نذكر:

---

1 نفسه ، ص 244-246 .

2 الورثيلاني: مصدر سابق ، ج1 ، ص 205 ؛ الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية ، ص50 .

3 الحميري: مصدر سابق ، ص12.

4 ناصر الدين محمد الشريف : مرجع سابق ، ص 95 .

5 الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا ، ص 231.

6 التيجاني : مصدر سابق ، ص 245.

7 مخلوف : مصدر سابق ، ج1 ، ص163 .

محمد بن عبدالحميد مفيطر النفوسي الجذاوي: سافر إلى أبي عبيدة ورجع من عنده قبل أن يصله حملة العلم الخمسة، ومن المحتمل أنه أول من جمع القرآن في جبل نفوسة وحفظه[1]، وقيل إن من أرسله إلى البصرة سلمة بن سعد [2].

إسماعيل بن درار الغدامسي: أحد طلبة العلم الذين تتلمذوا على يد أبي عبيدة، تولى القضاء على دولة عبد الأعلى بن السمح المعافري في طرابلس[3]، وقيل إنه قبل مفارقته لأبي عبيدة سأله عن مسائل في الأحكام حتى قال له أبي عبيدة: هل تريد أن تكون قاضيا؟ فأجابه أرأيت إن ابتليت بذلك [4].

أبو زكريا التوكيتي: قيل إن رجلا من أهل المشرق زار الجبل، ولما توجه إلى تاهرت سألوه عن علمائها، فقال لهم الجبل هو أبو زكرياء وأبو زكرياء هو الجبل [5].

محمد بن يانس الدركلي أبوالمنيب: أحد الذين تتلمذوا على يد إسماعيل بن درار الغدامسي وانتدبه الإمام عبدالوهاب لمناظرة المعتزلة في تاهرت[6]، وُيعد من أبرز علماء التفسير عند الإباضية [7].

أبو يحيى بن ماطوس الشروسي: من أشهر علماء الإباضية في القرن الرابع الهجري، وانتشرت فتواه بين أبناء الإباضية انتشارا واسعا [8].

الخاتمة :

بدأ الاهتمام بالجانب الديني مع دخول الإسلام للبلاد، ببناء المساجد التي كان لها دور محوري في تعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي، لذلك حظيت الدراسات الإسلامية باهتمام

---

1 صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص 251 .

2 مسعود مزهودي : مرجع سابق ، ص381 ؛ عوض الشرقاوي : مرجع سابق ، ص 148 .

3 احسان عباس : مرجع سابق ، ص111 .

4 الشماخي : مصدر سابق ، ص 231؛ صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق ، ص 251 .

5 عوض الشرقاوي: مرجع سابق ، ص 149 .

6 إحسان عباس: مرجع سابق ، ص 111 .

7 عوض الشرقاوي: مرجع سابق ، ص147 ؛ محمود حسين كوردي: مرجع سابق ، ص141 .

8 احسان عباس: مرجع سابق ، ص 112 .

علماء طرابلس وبرقة، لكن هذا الاهتمام لم يبلغ الأهمية الذى بلغته في أماكن أخرى كالقيروان، ولعل هذا الضعف تمثل في عدة نقاط منها، هجرة الكثير من أبناء البلاد خارجها؛ لأن قبلة العلماء دائما تكون نحو العواصم الكبرى، وكذلك بُعد برقة وطرابلس عن مركز الخلافة .

الحركة العلمية في البلاد وخاصة الدينية نشطت في البلاد نوعا ما، بازدياد المساجد وبناء المكتبات والمدارس، وأيضا الرحالة الذين كانوا يستقرون بالبلاد فترة من الزمن كانوا خلالها يعقدون حلقات الدرس مع أبناء البلاد .

يُعزى إلى أبناء هذه البلاد نشر الفقه المالكي، فأغلب المصادر تحدثت عن العالم على بن زياد المولود في طرابلس، والذى يعد أول من فسر قول مالك للمغاربة .

المصادر والمراجع :

أولاً المصادر:

1- أبى بكر عبدالله بن محمد المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ،(حققه بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي) ، ج1، ط2 ، دار الغرب الإسلامي . بيروت ، 1994م .

2- أبى عبدالله محمد ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، (صححه الطاهر أحمد الزاوي) ، دار المدار الإسلامي . بيروت ، 2004م .

3- أبى عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري: المسالك والممالك ، (حققه جمال طلبة)، ج2 ، دار الكتب العلمية . بيروت ، 2002 م .

4- أبو محمد عبدالله بن محمد التيجاني: رحلة التيجاني، (قدم لها حسن حسنى عبدالوهاب) ، الدار العربية للكتاب . تونس ، ليبيا ، 1981م .

5- أبو العرب محمد بن أحمد ابن تميم القيرواني : طبقات علماء إفريقية ، (تحقيق على الشابي ونعيم حسن الباقي) ، الدار التونسية . تونس، 1968م .

6- أبوزيد عبدالرحمن الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، (تحقيق محمد أبو النور ومحمد ماضور) ، مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس ،ج2، (د . ت) .

7- إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، (تحقيق مأمون بن محى الدين بن الجنان) ، دار الكتب العلمية . بيروت ، 1996م .

8- أحمد حسين النائب الأنصاري : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ،(تقديم وتعليق محمد زينهم محمد عزب) ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع . طرابلس ، 1994 م .

9- أحمد حسين النائب الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع . طرابلس ، (د. ت) .

10- أحمد بن عبدالواحد الشماخي: كتاب السير، (تحقيق أحمد بن سعود السيابي)، ج1 ، وزارة التراث القومي والثقافة . سلطنة عمان ، ط2 ، 1992 م .

11- القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، ط2، 1983م .

12- الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار . المشهورة بالرحلة الورثيلانية (تحقيق محمد ابن أبي شنب)، مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة، 2008م .

13- محمد بن عبدالمنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، (تحقيق إحسان عباس) ، مكتبة لبنان . بيروت ، ط2 ، 1984 م .

14- محمد بن محمد بن قاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، (خرج حواشيه عبدالمجيد خيالي) ، ج1، دار الكتب العلمية . بيروت ، 2002م .

ثانياً المراجع العربية :

1- إحسان عباس : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع . بنغازي ،1967م .

2- أحمد مختار عمر: النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي ، الجامعة الليبية ، 1971م .

3- الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي . بيروت، ط3، 2004م .

4- الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور . طرابلس ، 1968 م .

5- النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، 1965م .

6- جمعة محمود الزريقي : تراجم ليبية دراسة في حياة وأثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديماً وحديثاً ، دار المدار الإسلامي . بيروت ، 2005م .

7- رمضان بشير التليسي : الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، دار الغرب الإسلامي . بيروت ، 2003م .

8- صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978م .

9- عبداللطيف محمود البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد العثماني ، الجامعة الليبية . بنغازي ، 1972م .

10- عبدالباسط محمد عطوة : دور العرب الوافدين المشارقة والمغاربة والأندلسيين في ثقافة الليبيين خلال العصر الإسلامي منذ الفتح حتى القرن الثامن الهجري، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2014 م .

11- على يحي معمر: الإباضية في ليبيا، مؤسسة تاوالت الثقافية ، (د.ت) .

12- عوض الشرقاوي : التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2011 م .

13- عمار محمد جحيدر : تراجم علماء طرابلس وصلحائها في رحلة التيجاني ، الهيئة العامة للثقافة ، 2018م .

14- قاسم على سعد : جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الاسلامية والتراث . دبى ،2002م .

15- مسعود مزهودى : جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بنى هلال إلى بلاد المغرب ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2003 م .

16- محمود حسين كوردى : الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون 2-8 هـ ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2008 م .

17- يوسف بن أحمد حواله :الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، جامعة أم القرى . مكة المكرمة ، 2000م.

18- ناصر الدين محمد الشريف : الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية ، دار البيارق . عمان ، 1991 م .

ثالثاً المراجع المترجمة :

1- إتورى روسى : ليبيا منذ الفتح العربي حتى عام 1911م ، (ترجمة خليفة محمد التليسى) ،الدار العربية للكتاب ، ط2 ، 1991م .

رابعا الدوريات :

1- إبراهيم محمد أبودبوس : الإمام محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي "سيرته ومروياته"، مجلة أصول الدين ، الجامعة الأسمرية الإسلامية . العدد السادس خاص، ديسمبر 2022م .

2- سميرة حمودة : جهود الإمام ابن المنمر في خدمة المذهب المالكي ، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية . العدد السادس خاص، ديسمبر 2022م .

3- فراس سليم حياوي وآخرون : الحركة الفكرية في طرابلس الغرب في عهد بنى خزرون، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، جامعة بابل . العراق ، العدد7 ، 2017م .

4- محمد مصطفى المنتصر: الجذور التاريخية للمذهب المالكي في ليبيا ، مجلة العلوم الإنسانية . كلية الآداب الخمس ، جامعة المرقب ، العدد18، مارس 2019 م .

المؤتمرات والندوات :

1- حمزة أبو فارس : دور ليبيا في نشر المذهب المالكي حتى القرن الخامس الهجري، مؤتمر الإمام مالك ، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، 2013 م .

2- محمد هشام النعسان : الحركة العلمية في طرابلس الغرب خلال القرنين 5-6 هـ /11-12م ، ندوة دور طرابلس الغرب في نشر الثقافة العربية الإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، 2009م .

Journal of the center for Islamic Research and Studes. Al_Bayda.

Refereed scientific periodical, issued semi_annually, concerned with Islamic research and studies, issued by the Center for Islamic Research and Studies.



Volume 2 - Issue 3

1446.AH / 2024.AD

Al Bayda / Libya

